



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

**الحياة السياسية في الأندلس في المرحلة الانتقالية منذ خلافة هشام
بن الحكم حتى قيام دول الطوائف (366-422هـ/976-1031م)**

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب : تمام هلاوي كريم

إشراف : أ. د.فايزة محمد الكلاس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد حث الله الناس على طلب العلم في آيات ومواضع كثيرة، ولأن خير الكلام كلام الله، لذلك فخير البدء في هذه الرسالة في أكثر آية في القرآن الكريم دلت على طلب العلم، في قصة نبي الله وكرامته موسى عليه السلام عندما أخبره الله أن هناك رجل أعلم منه في هذا الكون (يعتقد أنه الخضر عليه السلام)، وكان علمه علم لا يدركه البشر، وملخصه الإيمان بالقضاء والقدر، وعلى الرغم من أن ذلك العلم خارج قدرات البشر، أصر موسى على طلبه، فدلّ الله موسى على علامات مكان ذلك الرجل العالم، فكانت ردة فعل رسول الله موسى عليه السلام :

قال تعالى :

يٰٓمُوسَىٰ ٱصْبِرْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلرَّٰثِلِينَ

﴿وَإِذ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا﴾

سورة الكهف ، الآية (٦٠)

يٰٓمُوسَىٰ ٱصْبِرْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلرَّٰثِلِينَ

فتاه : يوشع بن نون .

لا أبرح : لن أرجع .

أو أمضي حقبا: أي حتى أبلغ ذلك الرجل الصالح، واقتض السنين الطويلة بحثا عنه، أو أهلك دون ذلك.

الإهداء

- إلى أرواح الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم لنحيا .
- إلى جميع من علمني من مدرسين ومدرسات وأساتذة جامعيين .
- إلى روح جدتي ، التي أفتقد دعانها (عائشة الناصر) .
- إلى جميع أهلي وأحبتي وأصدقائي ومن أهمهم أمري (أمي - أبي - صديقي وأخي الغالي ومن علمني معنى الوفاء ومجد صالح المويش) .
- إلى إخواني وأخواتي (عليا - هدى - خليل - صالح) .
- إلى ثلاثة أطفال أحبهم : تميم ، صالح ، إبراهيم .

أهدي هذه الدراسة سائلا الله التوفيق

كلمة شكر وتقدير

اعترافا لذوي الفضل بفضلهم ، والفضل كل الفضل لله من قبل ومن بعد
ولأنه ليس بشاكر الله من لا يشكر الناس :

* كل الامتتان والشكر للأستاذة الدكتورة : فائزة محمد الكلاس لأشرافها
على هذه الرسالة ، وتقديم النصح لإنجازها .

* كل الامتتان والشكر لمن ساعد في إنجاز هذا البحث من خلال ترجمة
ما يهم هذا البحث في المراجع الأجنبية (استاذي خالد الخضر) .

* كل الامتتان والشكر لمن كان يعمل من إخوة وأخوات ، وانفق في سبيل
إنجاز هذا العمل (عليا - هدى - خليل - صالح) .

والله ولي التوفيق

الرموز المستخدمة في البحث

ت.ح = تحقيق

ت.ر = ترجمة

ج = الجزء

ص = صفحة

ط = الطبعة

ق = القسم

م = ميلادي

مج = مجلد

هـ = هجري

(رتبت حسب الترتيب المعجمي)

فهرس المحتويات

الإهداء.....	٤
كلمة شكر وتقدير.....	٥
الرموز المستخدمة في البحث.....	٦
فهرس الموضوعات	٧
تقديم	١٢
مدخل : تعريف بأكثر المصادر والمراجع اهمية	١٦

تمهيد

أولا : الأوضاع العامة قبيل المرحلة الانتقالية	٢٥
١- الممالك المسيحية في الشمال	٢٥
أ - ليون	٢٦
ب - قشتالة	٢٧
ج - نافار	٢٨
٢- المغرب	٢٩
٣- الأندلس	٣٢

الفصل الأول : الاستبداد العامري

أولا : وفاة الحكم المستنصر	٣٩
ثانيا : قضية الخليفة هشام	٤٠
١- ظهور ابن أبي عامر	٤٠
٢- تدرجه في المناصب	٤٠

- ٣- القوى الحاكمة بعد وفاة المستنصر ٤١
- ٤- التخلص من المغيرة وتنصيب هشام (المؤيد) خليفة ٤٣
- ثالثًا : الاستبداد العامري ، محمد بن أبي عامر (المنصور)..... ٤٤
- ١- تخلص ابن أبي عامر من منافسيه ٤٤
- أ- الصقالبة ٤٤
- ب- المصحفي ٤٤
- ج -غالب قائد الجيش ٤٧
- د - جعفر بن حمدون (الأندلسي) ٤٨
- هـ - صبح البشكنسية ٥٠
- و - مواجهة الانقلاب في الثغر الأعلى ٥٠
- ٢- سياسة المنصور الداخلية ٥١
- أ - الاعتماد على البربر ٥٣
- ب - الجيش ٥٣
- ج - الأسطول ٥٥
- ٣- سياسة المنصور الخارجية ٥٥
- أ- المغرب ٥٦
- حروب ابن أبي عامر مع بلكين بن زيري ٥٧
- حروب المنصور مع الحسن بن كنون ٥٨
- حروب المنصور مع زيري بن عطية ٥٩
- ب- مع الممالك المسيحية في الشمال ٦٢
- ٤- وفاة المنصور ٦٨

- رابعاً : الاستبداد العامري ، عبد الملك (المظفر) ٦٨
- ١- سياسته الداخلية ٦٩
- ٢- سياسته الخارجية ٧٠
- خامساً : الاستبداد العامري ، عبد الرحمن (شنجول) ٧٠
- سادساً : ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار ٧٢
- سابعاً : استنتاج ٧٤

الفصل الثاني : الفتنة وظهور الأسرة الإدريسية الحمودية

- أولاً : الفتنة ٨١
- ١- خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) ٨١
- ٢- خلافة سليمان بن الحكم (المستعين) ٨٦
- ٣- خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) ٨٧
- ٤- عودة هشام المؤيد خليفة ٨٨
- ٥- خلافة المستعين الثانية ٨٩
- ثانياً : الأسرة الإدريسية الحمودية ٩٠
- ١- نسب الحموديين ٩١
- ٢- ظهور الأسرة الإدريسية الحمودية ٩٢
- ٣- خلافة علي بن حمود ٩٤
- ٤- خلافة القاسم بن حمود ٩٦
- ٥- خلافة يحيى بن علي بن حمود ٩٧
- ٦- خلافة القاسم بن حمود الثانية ٩٨

- ٧- خلافة عبد الرحمن بن هشام (المستظهر) ٩٨.
- ٨- خلافة محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) ١٠٠.
- ٩- خلافة يحيى بن علي بن حمود الثانية ١٠١.
- ١٠- خلافة هشام بن محمد (المعتد) ١٠٢.
- ثالثا : قيام دول الطوائف ١٠٤.
- ١- جنوب الأندلس (بني حمود) ١٠٥.
- ٢- اشبيلية (بني عباد) ١٠٦.
- ٣- غرناطة (بنو مناد) ١٠٧.
- ٤- قرطبة (بني جهور) ١٠٧.
- ٥- بطليوس (بني الأفطس) ١٠٧.
- ٦- طليطلة (بني ذي النون) ١٠٨.
- ٧- بلنسية ١٠٨.
- ٨- سرقسطة (بني تجيب) ١٠٨.
- ٩- دانية والجزائر الشرقية (بنو مجاهد) ١٠٩.
- رابعا : إحصاء ١١١.
- خامسا : استنتاج ١١٤.

الفصل الثالث نظم الحكم وعوامل ونتائج سقوط الخلافة

- أولا : الخطط السياسية ١١٦.
- ١- الخلافة ١١٦.
- ٢- ولاية العهد ١١٨.

١١٩.....	٣- الحجابة
١٢١.....	٤- الوزارة
١٢٣.....	٥- القضاء والشرطة
ثانيا : أسس قواعد نظم الحكم في الأندلس ومدى تناظرها مع أوروبا الغربية	
١٢٤.....	١- الأندلس
١٢٨.....	٢- أوروبا الغربية
١٣٣.....	٣- استنتاج
١٣٦.....	ثالثا : عوامل سقوط الخلافة
١٤٥.....	رابعا : نتائج سقوط الخلافة
١٤٥.....	١- على الأندلس
١٤٧.....	٢- على أوروبا الغربية والممالك المسيحية وحرب البحر المتوسط
١٥٠.....	٣- على المغرب
١٥٣.....	خاتمة
١٥٦.....	الملاحق
١٦٣.....	الخرائط
١٧٦.....	قائمة المصادر والمراجع
١٨٥.....	ملخص البحث في اللغة الانكليزية (abstract)

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آل كل وصحب كل أجمعين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

قال تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (١)

إن هذه الآية الكريمة تدل على فائدة التاريخ والتأريخ، فعلم التاريخ من العلوم الإنسانية المثيرة التي شغلت الناس منذ القدم، فكان الناس يروون القصص والأساطير، وكان الملوك يستأنسون بقصص من سبقهم للاتعاض والعبرة، وكان الكثير من هؤلاء الملوك يعمد الى تخليد ذكراه واسمه بنقش على جدار بناء شامخ، أو على ما يسك من نقود أو ببناء هرم، أو مكتبة، أو مسجد.... الخ ليقينهم التام أن الأجيال التالية ستروى قصصهم وتذكرهم، ولأن علم التاريخ هو السجل الحافل لجهد الانسان وإنجازاته ومسيرته عبر العصور وجيل بعد جيل، كان هناك عدة حوافز شجعت للاهتمام بالتاريخ الأندلسي، منها موقعه الجغرافي المتوسط بين الغرب الأوربي وبلاد الغرب الإسلامي إن صح التعبير، وموقعة كشبه جزيره تعد بوابة لأوروبا، والذي شكل جسرا حضاريا تواصلت فيه الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأوربية الغربية في العصور الوسطى، وما نتج عن هذا الالتقاء من تحولات كبيرة وتبادل كبير ثقافيا وعلميا، وفكريا، فكانت الأندلس وقصورها وهندستها العمرانية، شاهدا على انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا .

لقد أستمروا الوجود الإسلامي في الأندلس لثمانية قرون، خرجت أوروبا بعدها بما نهلت من علوم وفكر من عصورها الوسطى المظلمة، ودخلت في مرحلة تطور حضاري مستمرة حتى هذا اليوم، هذا ولم تخرج الحضارة الإسلامية في الأندلس عن مسار الحضارات الإنسانية، ولا عن مراحل تطورها وأفولها، فبرز فجرها مع موسى بن نصير وطارق بن زياد وأتى ضحاها واضحا مشرقا مع عبد الرحمن الداخل، وانتصفت مع الناصر، وكسفت شمسها مع الدولة العامرية فحجبت الخلافة وانتهت معها الدولة الأموية في الأندلس، لتميل الحضارة الأندلسية، وتتجه نحو الانكسار والأفول، وكان عصرها مع المرابطين والموحدين ، وغروبها مع سقوط غرناطة وقصورها .

(١) القرآن الكريم : سورة يوسف ، الآية ٣ .

وقد اختير من بين هذه المراحل مرحلة قصيرة، كان لها أثر كبير في التاريخ الأندلسي ومسار تحول هام ، وهي الحياة السياسية في المرحلة الانتقالية، منذ خلافة هشام بن الحكم، حتى قيام دول الطوائف .

وأَسباب اختيار البحث هذا المرحلة أنها تعد مرحلة هامة ومصيرية، وعلامة فارقة في التاريخ الأندلسي، كما أن هذه المرحلة تعد من أكثر المراحل إثارة للجدل لدى المؤرخين، فقد كانت بلاد الأندلس أشبه بكيانات مستقلة متعلقة بالمركز متأثرة بذلك بأنظمة الإقطاع الأوربية، كما ان هذه المرحلة كانت بداية مرحلة التراجع في التاريخ الأندلسي، حيث قويت حركة الاستغلاب، حيث أن دولة المنصور بن ابي عامر رغم إخفاقها كانت آخر ومضات عصر الخلافة.

فهذه المرحلة شهدت سقوط الخلافة على الرغم من محاولات إحيائها من قبل بعض الأمراء الأمويين، وظهور الأسرة الحمودية، ودور هذه الاسرة في الأندلس، حيث تعد أول أسرة تعود في نسبها لآل البيت تحكم في الأندلس، ثم ان النتائج التي تمخض عنها سقوط الخلافة، وقيام دول الطوائف، كانت ذات أثر كبير على حروب الاستغلاب أو الاسترداد، كل ذلك يوحي ان سقوط الخلافة في الأندلس كان سقوطا مدويا، خلف أثار سياسية واجتماعية ودينية لا يمكن تجاهلها.

الإشكالية في هذا البحث هي أن المرحلة من أهم مراحل التاريخ الأندلسي، وقد مر التاريخ الأندلسي بعدة مراحل، كان أهمها قيام الخلافة الأموية، ولا شك أن زوال هذه الدولة وانتهيارها يعد من الحوادث الحاسمة، وشارك في هذا الانهيار عدة عوامل منها الاستبداد العامري، ومحاولة أبدال شرعية عامرية محل الشرعية الأموية ، وإخفاق ذلك، وقيام عدة محاولات للوصول للخلافة من أبناء الاسرة الأموية، ومن سواهم من الحموديين الذين هم ادارسه مغاربه واندلسيين، ومثل قوى محليه أخرى .

فما هي الظروف التي كان عليها حال الأندلس خلال تلك المرحلة؟ وكيف أخفق الاستبداد العامري في إسقاط الخلافة، ومحاولة إحلال شرعية جديدة محل الشرعية الأموية؟ وهذا ما لم يحصل في أوربا الغربية حيث أن المنصور بن ابي عامر دمر الشرعية، وإذا ما قارنا ذلك مع فرنسا ودول أوربا الغربية، فإننا لا نرى أي كونت أو بارون يدمر الشرعية، ثم من هي الأسرة الحمودية؟ وهل استطاعت إحياء أمجاد الأندلس؟ وما هو أثرها على الأندلس؟ وماذا نتج عنها؟

وكيف كان نظام الحكم؟ حيث ان الأندلس في ظل الدولة الأموية لم تكن دولة مركزية الإدارة، بل كانت أشبه بكيانات متعلقة بالمركز أي أقرب لنظام الإقطاع في أوربا، وهل أثرت نظم الإقطاع في أوربا على بلاد الأندلس؟ حيث ان الأندلس تعد جزءا من أوربا الغربية، فهل كان ذلك النظام موجود في الأندلس؟ وكيف شغل دورا بإسقاط الخلافة؟ وما هي جذوره في الأندلس ومراحل تطوره والتي توجت في النهاية

بقيام دول الطوائف ؟ فكان الأندلس وكأنه جزء من النسيج الأوربي القريب، فاصبح عبارة عن إمارات وأقطاعات يحكمها أمراء وقادة عسكريون أشبه بكونتات وبارونات العصور الوسطى ، والأهم من هذا وذلك سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف فكيف سقطت الخلافة؟ ولماذا؟ وما هي الآثار الناتجة عن ذلك؟ وما هو أثر قيام دول الطوائف على الأندلس والمجتمع الأندلسي أولا؟ وعلى حروب الاستغلاب ثانيا؟ وعلى مسار التاريخ الأندلسي ثالثا؟

حدود البحث في حقيقة الامر يصعب تحديد أي بحث تاريخي زمانيا أو مكانيا، فالأحداث التاريخية وحدة متسلسلة مترابطة لا تنفصل، وفي اطارها المكاني تؤثر وتتأثر، والأندلس على وجه الخصوص موقعة الرابط بين الغربيين الإسلامي والأوربي باعتباره بوابة وحيدة إلى أوربا الغربية، يجعل كتابة أحداثه التاريخية أمرا صعبا، لارتباطها بالمغرب الاسلامي من جهة والغرب الاوربي المسيحي من جهة اخرى، وبشكل عام يمكن وضعهما على الشكل التالي :

الحد الزمني: (٣٦٦-٤٢٢هـ/٩٧٦-١٠٣١م) منذ وفاة الحكم المستنصر وخلافة هشام بن الحكم، حتى قيام دول الطوائف، وما يتبع ذلك من احداث سابقة أو لاحقه .

الحد المكاني: دراسة الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) (اسبانيا والبرتغال حاليا)، وتأثير أوربا الغربية والمغرب في الأندلس والعكس .

منهج البحث كان منهج البحث قائما على جمع المواد من مختلف المصادر، والعودة الى المراجع العربية وغيرها، منتهجا التحليل العلمي النقدي المعتمد على الاستقراء والمقارنة بين الروايات التاريخية، وسرد هذه الأحداث وتحليلها، ثم استنتاج الحقائق التاريخية .

صعوبات البحث

- ١- تداخل الاحداث التاريخية في الأندلس مع احداث المغرب الاسلامي والغرب الاوربي، مما يتطلب دراسة الاحداث التاريخية الاقليمية في الغربيين الاسلامي والاوربي .
- ٢- قلة اهتمام المصادر والمراجع بالأسرة الحمودية والنظام الاقطاعي في الأندلس والخطط السياسية خلال عصر الفتنة، وتركيزها على عاصمة الخلافة وشخصيات الحكم دون التطرق لأوضاع باقي بلاد الأندلس، فكانت المعلومات غير مترابطة، وصعوبة جمع هذه المعلومات وتوحيدها .

الدراسات المتقدمة

بالنسبة للرسائل الجامعية والأطروحات، فلقد تم البحث عبر المكتبات الإلكترونية عبر الانترنت، ولم يتم العثور على أي رسالة مشابهة في تقسيمات الدراسة وحدودها الزمنية، وهناك رسائل جامعية تناولت ما يماثل أجزاء من هذه الدراسة وهي

*الدولة العامرية هناك رسالتين دون التطرق لمرحلة الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٩-١٠٣١م)

رسالة ماجستير: علي أحمد عبد الله القحطان، جامعة أم القرى سنة، ١٩٨١م عنوانها : الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية (٣٦٨-٣٩٩هـ/٩٧٨-١٠٠٩م)

أطروحة دكتوراه : هاشم عبد الرؤوف محمد مصطفى أبو ملح، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م عنوانها : الدولة العامرية في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٧-١٠٠٩م) .

تقسيمات البحث

ينقسم البحث إلى ثلاثة فصول، تم افتتاحه بتمهيد عن الأوضاع العامة في الممالك المسيحية في الشمال ثم عن الأوضاع العامة في المغرب العربي وظهور الدولة الفاطمية، ثم أوضاع الأندلس منذ خلافة عبد الرحمن الناصر .

الفصل الاول: الاستبداد العامري (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) وحكم الحجاب العامريين .

الفصل الثاني: مرحلة الفتنة، وظهور الأسرة الإدريسية الحمودية، ومحاولات إنقاذ الخلافة الأموية، وإخفاق الحموديين، ومن سواهم من الأمويين في إنقاذ الخلافة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م) .

الفصل الثالث: يتناول دراسة الخطط السياسية في ذلك الوقت كالحلافة وولاية العهد والوزارة والحجابة والقضاء و ثم دراسة نظم الحكم السياسية في أوروبا الغربية والأندلس باعتبار الأندلس جزء من أوروبا الغربية، لان الأندلس لم تكن مركزية الادارة، بل أشبه بكيانات متعلقة بالمركز، اي أقرب لنظام الإقطاع في أوروبا، ثم يبحث في عوامل ونتائج سقوط الخلافة ،وأخيرا الخاتمة التي تتضمن ما توصل اليه البحث من نتائج .

في ختام هذا التقديم أسأل الله عز وجل التوفيق، فيما أصبت فبفضل من الله، وبما أخطأت فمن نفسي، وما التوفيق إلا من عند الله .

مدخل : تعريف بأكثر المصادر والمراجع أهمية

إن أول عمل يجب على الباحث القيام به هو جمع المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث ، يقول الأمام الشافعي : "من بركة العلم نسبته إلى أهله " لذلك فهذه قائمة بأبرز المصادر والمراجع المعتمدة بهذا البحث وتعريف بها ومؤلفيها :

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** : لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي توفي ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، وهو كتاب حقق منه ليفي بروفنسال و ج . س كولان ثلاثة أجزاء، وجزء رابع حققه إحسان عباس يعنى بعصر المرابطين، وجزء خامس حققه يعنى بعصر الموحدين حققه محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنبير وعبد القادر زمامه، وهذا الكتاب مهم جدا لهذا البحث، لما يعطيه من معلومات مفصلة، لم تتقلها المصادر والمراجع الأخرى بهذا التفصيل، وما يزيده أهمية ويجعله يأتي في قائمة المصادر، هو نقله عن كتب ثمينة فقدت مثل تاريخ ابن حيان ، ومنهجه السرد للأحداث بطريقة الحوليات ويغيب عنه النقد، ولوحظ فيه انحياز خلال حديثه عن عصر الفتنة ضد الثورات الاموية التي قامت، وانحيازه اكثر نحو البربر (الأمازيغ) .

- **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة** : ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني توفي ٥٤٢هـ/١١٤٧م، وهذا الكتاب من أربعة أقسام حققها الدكتور إحسان عباس، وهذا الكتاب مهم في كل أقسامه، ويوازي كتاب البيان في أهميته، وهو كتاب أدبي يكثر فيه الشعر والشعراء، ويسرد الاحداث التاريخية بطريقة أدبيه مكثرا فيها من السجع والمحسنات البديعية في بعض الأحيان، وأفاد البحث في قسمية الأول والرابع .

- **المقتبس من انباء اهل الأندلس** : لابي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان القرطبي المتوفى ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، وهذا الكتاب من اهم الكتب والمصادر على الاطلاق، لولا ضياع الكثير منه وما كتبه ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس في تاريخ ابن حيان أو المقتبس، و كتابه المتين يعد اغنى ماله تاريخيه لتاريخ الأندلس حتى وفاته، ولا سيما موضوع هذا البحث حيث إن كل المصادر تنقل عن تاريخه وكتابه .

وما وجد من كتاب المقتبس قطع متناثرة من عشرة اجزاء ، تروي تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى عصر دويلات الطوائف، حققها كل من المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ومحمود علي مكي في القاهرة، الذي حقق الجزء الثاني، الذي يعنى بعهد عبد الرحمن الاوسط وابنه محمد، وتحقيق عبد الرحمن الحجي في بيروت وهو جزء يتحدث عن خمس سنوات من تاريخ الحكم المستنصر من (٣٦٠هـ- ٣٦٤هـ/٩٧٠م - ٩٧٤م)، والراهب ملنشور انطونيا في باريس، الذي حقق الجزء الثالث عهد الامير عبد

الله بن محمد (٢٧٥-٢٨٩هـ/٨٨٨-٩٠١م)، ونشرت ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م عن مخطوطه بمكتبة بودلين بأكسفورد، أفاد الكتاب هذا البحث في التمهيد والحديث عن عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، ثم الفصل الذي يتحدث عن الخطط السياسية ونظم الحكم السياسية، وما أقتبسه ابن عذاري وابن بسام وغيرهم منه يكفي لتعويض فقده .

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** : عبد الواحد المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وحقق هذا الكتاب محمد سعيد العريان، وهو كتاب تاريخي ادبي اجتماعي جغرافي، يتحدث بعبارات سهلة الأسلوب ، أفاد البحث بمختلف جوانبه، ويلخص هذا الكتاب الأحداث التاريخية منذ الفتح الاسلامي، حتى نهاية عصر الموحدين .

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** : أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرشي المكنى ابو العباس القب شهاب الدين المتوفى سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م وكتابه مخطوطة حققها إحسان عباس هو اربع مجلدات ، والمهم لهذا البحث المجلد الاول وهو كتاب ادبي فيه الكثير من الشعر ، وجغرافي يتحدث عن اقاليم الأندلس وكورها ومدنها وشعوبها ، وتاريخي يسرد الأحداث التاريخية حتى بداية قيام دول الطوائف ..

- **أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام** :ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين الخطيب توفي ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، وحقق هذا الكتاب سيد كسروي حسن وهو من جزئيين ، افاد البحث في جزئه الثاني، ويذكر الاخبار بطريقة السرد ، وباختصار ، وفيه وثائق تاريخية هامة ، أفادت البحث منها ، وصية المنصور لأبنة عبد الملك ، وما زاده اهميه عن غيره من المصادر ، اشتماله على تاريخ الممالك المسيحية في شمال الأندلس ، مما جعله اول كتاب شامل عن تاريخ شبه الجزيرة الأيبيرية .

- **مفاخر البربر** : لأبي علي صالح بن عبد الحكيم الإيلاني، وهذا المؤلف كان مجهولا حتى سنة ٢٠١٠م حينما أصدر محقق المخطوط عبد القادر بوياية تعريفا كاملا بالمؤلف والمؤلف في منشور موجود كاملا على الرابط www.maghress.com/dalirif/3734 وهذه المخطوطة حقق جزء منها بروفنسال، ثم حققها في الجزائر عبد القادر بوياية، ويعتني هذا الكتاب بقبائل البربر وانسابهم واعلامهم، وخصوصا قبائل زناته وصنهاجة، ويعلق مقدم هذا الكتاب عليه، بانه أول كتاب في تاريخ الشعوب، حيث يهتم غيره من الكتب بتاريخ الأسر الحاكمة، ويلاحظ في هذا الكتاب انحياز للبربر (الأمازيغ) على من سواهم، ويؤرخ هذا الكتاب للأحداث السياسية في القرنين الرابع والخامس للهجرة، ويوضح مؤلفه

هدفه من كتابته، فبعد البسملة والحمد يقول " لما كانت البربر عند الكثير من جهلة الناس من اخس الامم واجهلها وأعراها من الفضائل وأبعدها عن المكارمالخ " .

- **الحلة السيرة** : ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار توفي ٦٥٨هـ/١٢٦٠ م، وحققه الدكتور حسين مؤنس وهو في جزئين من مخطوط في مكتبة الأوسكيرال بمديرد رقم ١٦٥٤، وهو كتاب تراجم يؤرخ في جزئه الأول للقرون الأربعة الأولى من الهجرة، وهو كتاب هام ودقيق المعلومات، وأفاد البحث في ترجمة أعلام العصر المدروس، وذكر أعمالهم وإن كان ذلك باختصار .

- **صورة الأرض** : ابي القاسم بن حوقل، وهو كتاب طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، وأصله نسخة مخطوطة في اسطنبول رقمها ٣٣٤٦، نسخت سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، ونسخة في جامعة ليدن، ونسخة في أكسفورد، ويتألف الكتاب من قسمين، الاول : وهو ما أفاد البحث، ويتحدث عن ديار العرب، والجزيرة، وصقلية، والأندلس، وبحر فارس، ومناطق أخرى، والثاني: عن السند وخوزستان وما وراء النهر وسجستان وارمينية وكرمان والبال، ومناطق أخرى، وأهمية هذا الكتاب كون صاحبة دخل الأندلس في مهمة استكشافية، لصالح الخلافة الفاطمية في المغرب .

هذه أبرز المصادر المعتمدة في هذا البحث، إلى جانب مصادر كثيرة منها، الصلة لأبن بشكوال، وكتب التاريخ العام، مثل العبر لابن خلدون، وتاريخ ابو الفداء، والكامل في التاريخ لابن الاثير، ومصادر أخرى تحدثت عن اوضاع المغرب، ككتاب اتعاظ الحنفا للمقريزي...الخ

يضاف إلى ذلك كتب التراجم والطبقات ، كشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي وتاريخ علماء الأندلس لابن الفريسي ، وأعلام مالقا لابي عبد الله بن عسكر.....الخ

وكتب الجغرافية ، كالروض المعطار للحميري ، ومعجم البلدان لياقوت الحمويالخ

المراجع

- **دولة الإسلام في الأندلس** : محمد عبد الله عنان ، وهو من أهم الكتب والمراجع العربية في تاريخ الأندلس ، لما يحتويه من معلومات قيمة وثمينة ، وقد أفاد البحث بقسمه المتعلق بالخلافة الأموية والدولة العامرية ، ويتميز بأسلوب سهل وواضح ودقة في المعلومات ، ولكنه يعتمد على كتاب البيان كمصدر أساسي في معلوماته ، وأهم ما فيه دراسته للأوضاع العامة في الغرب الأوربي ، والعلاقات المتبادلة بين الغرب الأوربي من جهة وبلاد الأندلس جهة أخرى ، وكذلك العلاقات المغربية الأندلسية .

- **المسلمون في الأندلس** : رينهارت دوزي ، وهو مستشرق هولندي ، وترجم هذا الكتاب حسن حبشي، وهذا الكتاب من ثلاثة أجزاء غطت التاريخ الأندلسي ، حتى ظهور عصر المرابطين بمختلف مناحيه ، وما أفاد هذا البحث ، هو جزئه الأول الذي أنهى بظهور دويلات الطوائف ، ويعطي هذا الكتاب وغيره من الكتب الأجنبية المعربة والغير معربة ، فائدة لهذا البحث من خلال الاطلاع على وجهة نظر الأوربيين ، في تاريخ اسبانيا الاسلامية .

- **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس** : سالم عبد الله خلف ، وهذا الكتاب أفاد البحث كثيرا في فصله المتعلق بنظم الحكم ، لقلة المراجع التي تتحدث عن هذا الموضوع ، ولقلة تطرق المصادر الى نظم الحكم والخطط السياسية خلال عصر الفتنة ، واسلوبه سهل وواضح ، ويدرس النظام الإداري والمالي والسياسي والديني بالتفصيل ، وقد سهل الكثير في مسار البحث .

- **الحمويون سادة مالقا والجزيرة الخضراء** : لويس سيكو دي لوثينا ، وهو مستشرق اسباني ، ترجم هذا الكتاب محمد عدنان آل طعمة ، وهو واحد من الكتب والمراجع النادرة التي تتحدث عن الأسرة الإدريسية الحمودية ، وما أعطاه هذه الأهمية ، على الرغم من ما يعاب على هذا الكتاب ، من إن معلوماته مختصرة ، واختصاره الشديد للإحداث واسلوبه السردي ، الذي لا ينقد ما جاء في المصادر من معلومات .

المراجع الأجنبية

- حضارة العصور الوسطى: جورج آدم أستاذ التاريخ بجامعة يال، وهذا الكتاب طبع مرتين ١٣١٢هـ/١٨٩٤م و ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، ونشرته ميكروسوفت في أرشيفها ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، على-
الرابط: <http://www.archive.org/details/civilizationonduri00adamuoft>

ويتألف هذا الكتاب من عدة فصول ، ابتدأها بالحديث عن بداية العصور الوسطى ، ثم توسع المسيحية، ثم الغزو الجرمانى، وسقوط روما، ثم البابوية، ثم الغزو الجرمانى، ثم شارلمان وبعد شارلمان، وتضمن الفصل التاسع النظام الإقطاعي، واستفاد البحث منه في هذا الفصل .

- كتاب كامبريدج الجديد العصور الوسطى : لعدد من المؤلفين ، منهم جوناثان شيفارد ، وبيتر سبوفورد ، وبيتر لينهان ، ومارتن بریت ، وديفيد ابوليفيا ، وادوارد بويل ، وآخرون بأشراف تيوتي راوتر ، من ٩٠٠م حتى ١٠٢٤م ، وهو استاذ العصور الوسطى في جامعة ساوث هامبتون، وكتب الكتاب لصالح جامعة كامبريدج ، وأول نشر له ١٩٩٩م ، ثم أعيدت طباعته ٢٠٠٦م ثم هذه الطبعة ٢٠٠٨م ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أبواب، وثمان عشرين فصلا ابتدأها بتمهيد عن القرن الثامن، ثم الباب الاول الكنيسة والاقتصاد والفن... الخ، والبابين الثاني والثالث عن أوروبا الكارولنجية، وأفاد البحث في بابة الثالث ، حيث تحدث في آخر فصلين عن تاريخ الأندلس السياسي، والممالك المسيحية في الشمال، وكتب أجنبية أخرى، مثل كتاب أوروبا الغربية في العصور الوسطى لجوزيف سترابر، وعصر الأيمان لويل ديورانت، وكتب أخرى لم تهئ الظروف ترجمتها، ولكن هذه الكتب الأجنبية، إلى جانب الكتب الأجنبية المعربة، كانت كافية لإعطاء صورة واضحة عن الأقطاع وأوروبا الغربية في العصور الوسطى .



عبد الرحمن الناصر

تمهيد

إنه لمن الصعب دراسة أي حدث تاريخي بشكل منفصل، فالأحداث التاريخية سلسلة مترابطة لا تتفصل، ولأن المرحلة المدروسة تعنى بالمرحلة الانتقالية التي سقطت في نهايتها الخلافة الأموية، وقيام دول الطوائف أثر ذلك، فهذا يقتضي البدء بدراسة الأوضاع العامة في الأندلس، وفي المنطقة المحيطة به، والقريبة منه قبيل هذه المرحلة، منذ خمسة قرون انتهى الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد أن استمر فيها لثمانية قرون، تركت إرثا ثقافيا وحضاريا، لا تزال آثاره باقية حتى هذا اليوم .

الأندلس كما أحب المسلمون تسميتها، أو إسبانيا كما كان يفضل سكان الممالك المسيحية في الشمال، هما أسمين عريقين في شبه الجزيرة الإيبيرية (١)، تشغل بلاد الأندلس معظم شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال حاليا)، ويحدها من الشرق والجنوب الشرقي بحر مانطس أو بحر الروم (البحر المتوسط)، ومن الغرب والجنوب الغربي بحر أقيانس، أو بحر الظلمة، أو البحر المحيط الأعظم (المحيط الأطلسي)، ومن الشمال الممالك المسيحية أشتوريش، أرغون، وقشتالة (٢).

مرت الأندلس بعدة مراحل وتقلبات مختلفة من الفتح إلى السقوط ، فكان فتح الأندلس على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، ولقد مرت الأندلس بست عصور تاريخية هي : ١-عصر الولاة من (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٦م) ٢-الدولة الأموية في أ-الأماة (١٣٨-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م) ب- الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م) ٣-عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١٠٩١م) ٤- المرابطون في الأندلس (٤٨٤-٥٤٠هـ/١٠٩١-١١٤٦م) ٥-الموحدون في الأندلس (٥٤١-٦٣٣هـ/١١٤٦-١٢٣٥م) ٦-دولة بني الأحمر في غرناطة (٦٣٣-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩١م) (٣)

(١) المقرئ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ت.ح: إحسان عباس، مج ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٢٥ + ابن عذاري، ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ت . ح : كولان - بيروفسال ، دار الثقافة ، ط ١، بيروت ، ١٩٩٨ م . ج ٢ ص ١ - ٢ + الحموي ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، مج ١ ، ص ٢٦٢ + الحميري ، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ت . ح : إحسان عباس ، ط ١، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٢ + كولان ج.س: الأندلس ، ت : إبراهيم خورشيد وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٩ .

(٢) المراكشي، عبد الواحد المراكشي: المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب ، ت . ح : محمد سعيد العريان ، ط ٣، القاهرة ١٩٦٣ م . ص ٢٨ + الهمذاني : أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن سحوق : البلدان ، ت . ج : يوسف هادي ، ط ١، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ٦٣ - ١٩٠ + كولان : الأندلس ، ص ١٩٠ .

(٣) عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، ط ٤ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٤م، قسم المرابطين ، ص ٢٥ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، قسم الموحدين ص ١١ + كولان : الأندلس ص ٢٧-٢٨-٢٩ + العربي ، محمود العربي : المكتبة الأندلسية alrostag@hotmail.com

يضاف إلى جانب هذه العصور دولتين ١- الحفصية ٦٢٦هـ-٩٨١هـ/١٢٢٩-١٥٧٤م امتداد للموحدين، وعاصرت بني الأحمر في غرناطة، لكن الدعاء والولاء لها كان في المغرب، ثم الأندلس وصولاً إلى الحجاز عقب سقوط خلافة بني العباس ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ٢- دولة بني مرين ٦١٣-٨٧٧هـ/١٢١٦-١٤٧٢م، عاصرت الدولتين الحفصية، ودولة بني الأحمر، وشاركت بأعمال الجهاد جنوب الأندلس .

قبيل البدء بالوضع السياسي في الأندلس يجب الحديث عن عناصر السكان وهذه العناصر هي

١- العرب : أبرز عناصر السكان، وهم العنصر القائد والمسيطر، لقد دخل العرب الأندلس منذ الفتح الأول ٩٣هـ/٧١٢م، وتسموا بالبلديين (١)، ثم تعاقب وصولهم إلى الأندلس، فمنهم من وصل مع بلج بن بشر القرشي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، ومع أبي الخطاب اليماني سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م (٢)

٢- البربر (الأمازيغ) : يشكل البربر (الأمازيغ) أبرز مكونات المجتمع المغربي، وبعد الفتح الإسلامي للمغرب دخل البربر (الأمازيغ) مع العرب إلى الأندلس ، وقد كانوا عماد قوات الجيش الفاتح، وأبرز قبائلهم: مصمودة - صنهاجة - زناته - مكناسة - هواره - مديونة - كتابه ، سفيله - نقره (٣) .

الصفالبيه : وهم الرقيق المجلوب من أوربا ، وكانوا يجلبون عن طريق التجار اليهود، ليخدموا في القصر بعد أن يتم أخصائهم ، وأزداد الاهتمام بهم منذ عهد الناصر وأشهر قادتهم فائق وجوزر (٤)

(١) دويدار ، حسين يوسف : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، ط١ ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص ١٤

(٢) ابن القوطية ، ابوبكر محمد بن عمر : تاريخ افتتاح الأندلس ، ت. : ابراهيم الإيباري ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٤٠

(٣) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله : فتوح إفريقيا والأندلس ، ت. ح : عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٧١ + النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ص ٤٥ .

Ali khan , Refaquat : **encyclopedia** history of world civilization(Spain) , alkashdeep publishing house ,new Delhi ,1992c,p17

(٤) المقدسي ،شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن احمد بن ابي بكر : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٩م ، ص ٣٤٣ + ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٣٢ + ص ٢٥٩ .

الإسبان : وهم السكان الأصليين ، وهم خليط أوري بفعل تعاقب الحضارات على شبه الجزيرة الأيبيرية ، فكانت ولاية رومانية، ثم حكمها الجرمان، ثم الغوط الغربيين(١)، ثم المسلمين الذين دخلوها بعد، سقوط حكم قيطشه، على يد لذريق. (٢)

المسالمة والمولدون: فهم الذين دخلوا في عقيدة الإسلام من النصارى، أما المولدون فهم في الأرجح أبناء المسالمة، أو هم نتاج الزواج بين العرب والأمازيغ من ناحية وبين الإسبان من ناحية أخرى(٣)

اليهود : استوطن عدد كبير منهم في قرطبة(٤) وغرناطة (٥)، ولهم فيها باب يعرف باسمهم ، وسكن عدد كبير آخر في إشبيلية، ولهم مشاركة ملحوظة في فتح الأندلس ، وفي أحداثها السياسية ، وفي إدارة المدن المفتوحة ، كما استوطنت جماعة كبيرة منهم في طليطلة (٦) ، وفي برشلونة، وفي طركونة (٧)

(١) المقدسي ،شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٩م، ص ٣٤٣ + ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٣٢ + ص ٢٥٩ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٩ ٣٠ + ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص ٧٢ - ٧٣ + الرقيق : الرقيق ، أبو إسحاق ابراهيم بن القاسم : قطعة من تاريخ افريقيا والمغرب ، ت . ح : عبد الله العلي الزيدان - عز الدين عمر موسى ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م، ص ٤٢- ٤٣ + مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها ، ت. ح : ابراهيم الإيباري ، ط٢، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ١٧- ١٨ .

(٣) المسلمون في الأندلس سقوط الخلافة وقيام دولة بني حمود <http://www.islambeacon.com/index.php> ?

(٤) قرطبة : عاصمة الخلافة الأموية ، وتتميز ببنائها وضخامتها وتنظيمها ، ومسجدها الكبير ، وقناطرها واسواقها ، فكانت من اعظم مدن عصرها، لها سبعة ابواب : القنطرة الحديد اليهودي عامر العطارين الجوزة ، ولقصرها ست ابواب : هي السدة الجنان العدل الصناعة الملك الساباط انظر : مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ت . ح : لويس مولينا، ج١، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣، ص ٣٢ + الإدريسي ،أبي عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحسني : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط١ ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩م، مج ٢ ، ص ٥٧٤- ٥٧٥- ٧٦- ٧٧- ٥٧٨- ٥٧٩ + اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : البلدان ، ط ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٠ + الشقندي- ابن سعيد- ابن حزم :نصوص فضائل الأندلس وأهلها: ت.ح: صلاح الدين المنجد ، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٥٥

(٥) غرناطة : أو إغرناطة ، جنوب الأندلس ، مدينة كبيرة ، سكنها الكثير من اليهود ، ويقسمها النهر إلى قسمين ، وهي كثيرة القصور والبساتين ، محكمة البناء ، كثيرة المساجد ، وهي مدينة حصينة يقال لها دمشق الأندلس انظر ابن حزم ، ابن سعيد ، الشقندي : فضائل الأندلس ، ص ٥٦ + العمري : مسالك الابصار ، ج٤، ص ٢٣٠ + الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥ + الإدريسي : نزهة المشتاق، مج ٢ ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩ + ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ، ت. ح : محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٩١- ٩٢ .

(٦) طليطلة : مدينة حصينة وسط الأندلس ، سميت طليطلة لأنها على جبل ، وذات أطلال ، وأهلها عرب وموالي وبربر انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ + الإدريسي : نزهة المشتاق، مج ٢ ، ص ٥٣٦- ٥٣٧- ٥٣٨ + اليعقوبي : البلدان ، ص ١١١ + الرقيق : قطعة من تاريخ افريقيا والمغرب، ص ٤٧ الرشاطي - ابن الخراط الأشبيلي : الأندلس في اقتباس الأتوار، ص ١٥١ .

(٧) دويدار : المجتمع في الأندلس ، ص ٤٨ .

أولاً : الأوضاع العامة قبيل المرحلة الانتقالية

١ - الممالك المسيحية في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية

في أواخر عصر الأمانة الأموية انقسمت بلاد الأندلس فيما يشبه دول الطوائف، وكانت الممالك المسيحية في الشمال أيضاً تعاني نفس الانقسام ، فانقسمت جيليقية واستقل عنها الباسك وكونوا أمانة نبره (نافار) ، كما ظهرت أمانة قطلونيا أو كاتلونيا (برشلونة) حالياً ، وقام الصراع بين هذه الإمارات ، واستعانوا بالمسلمين (١) ، اذا كان هناك توازن عسكري وسياسي ، وانقسامات في كلا المنطقتين ، وكان هناك تبادل وتأثير متبادل بطبيعة الجغرافية ، ولم يمنع الصراع الديني من طلب العون من الطرف الآخر خلال صراع هذه الإمارات فيما بينها ، وسيتضح في هذا البحث كيف استعان المسلمون في الأندلس بنصارى الشمال في عصر الطوائف

في عصر الخلافة الأموية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، كان التوازن العسكري مائلاً للخلفاء الأمويين ، منذ خلافة عبد الرحمن الناصر ، ثم المستنصر ثم مرحلة الاستبداد العامري (٢)، خلال خلافة هشام بن الحكم ، وكان الأندلس موحداً على الرغم من عدم مركزية ادارته ، فقد كانت المدن الأندلسية ملتزمة بتنظيم الأفراد والعتاد والمال خلال الغزوات التي كانت تقررها الإدارة المركزية في قرطبة (٣)، في حين كانت الممالك المسيحية في الشمال فيها مملكتان هما ليون نبره وأمارتان هما كاتلونيا وقشتالة تعاني الثورات والانقسامات ، وفيها الكونتات والبارونات وما بينهم من عداوة ، وما يقومون به من مساعده أمير ضد آخر ، أو ملك ضد آخر للحفاظ على مصالحهم ونفوذهم ، ولم يكن يربطهم بالملك سوى يمين الولاء أو التبعية (٤) حتى ان قشتالة نشأت من خلال ثورة الكونت فرناند غونثاليث، واعلنها أمانة مستقلة وكذلك نبره (نافار) إذا هذا العصر وبحكم النظام الإقطاعي الذي هو نظام سياسي في جوهره ، الذي كان سائداً في ذلك الوقت (٥).

(١) عفان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٥٩١ - ٥٩٢ + كولان ج . س : الأندلس ص ٢٠

(٢) السامرائي، خليل إبراهيم - طه ، عبد الواحد دنون - مطلوب ، ناطق صالح : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط ١، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ٢٠٠٠م ، ص ١٩٨ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٩

(٤) عفان : دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

جعل الممالك المسيحية في حاله صراع وانقسام دائم ، يشبه مرحلة الفتنه قبيل عصر الطوائف ، حيث كانت الممالك المسيحية تطلب المساعدة من مسلمي الأندلس ، وكانت الحاميات الإسلامية تتواجد لحمايه أماره من هجوم أماره اخرى .

أ- ليون

مع بداية حكم عبد الرحمن الناصر ، كانت الممالك المسيحية ولا سيما ليون التي كان يحكمها أردينيو الثاني ، تهاجم حصون وثغور المسلمين في الشمال ، وقد تمكن أردينيو من تحقيق نصر كبير على قوات المسلمين في موقعة شنت أشتين ٣٠٥هـ/٩١٧م (١) ، ولكن وفاة أردينيو الثاني في سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م ، إلى جانب ذلك كانت قوة عبد الرحمن الناصر ورغبته للانتقام لهذه الهزيمة ، وضعت حدا لانتصارات الممالك المسيحية على المسلمين فبعد ، وفاته خلفه أخوه فرويلا وقد توفي ولم يحكم سوى عام واحد ، فحدث صراع بين الفونسو وسانشو ولدي أردينيو وكانت المعارك سجال بينهم ، كان في نهاية مطافها إن سيطر سانشو على جيليقية مدعيا الملك والفونسو على ليون وكلاهما يدعي الملك لنفسه ، ولم تنتهي هذه الحرب الأهلية حتى وفاة سانشو ٣١٧هـ/٩٢٥م واستقر الملك لألفونسو (٢) .

بعد استقرار ملك الفونسو بدأت موجة جديدة من الحرب الأهلية بينه وبين أخيه راميرو ، انتهت بسيطرة راميرو على ليون ، وأستمر راميرو الثاني في حكم ليون حتى وفاته ٣٣٩هـ/٩٥٠م (٣) فنشبت الحرب الأهلية في ليون بسبب وراثة العرش بين ولديه اردونيو وسانشو (٤) ، انتهى هذا الصراع بانتصار اردونيو ونجاحه في تثبيت ملكه، وبسبب ضعف مملكته بفعل الحرب الأهلية، وقوة عبد الرحمن الناصر، اضطر لتوقيع معاهدة صلح مع الناصر، تتضمن تسليم بعض الحصون وهدم أخرى(٥).

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٥٨٩ .

(2) reuter , timothy: the new Cambridge medieval history 900– 1024 c , pr : univercity press Cambridge, 2008c, p 675+ Ali khan : history of world civilization(Spain) , p49

(3) reuter : medieval history 900–1024 c, p 676

(٤) ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٢٨٠ .

(٥) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ٥٩٢-٥٩٣ + دوزي، رينيه: تاريخ المسلمين في الأندلس، ت: حسين حبشي، ج٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م. ج٢ ، ص ٤٥

لكن وفاة أردنيو حالت دون إتمام هذه المعاهدة ، فأخوه سانشو الذي تولى الأمر بعده ، نقض هذه المعاهدة ، فأعلن الناصر الحرب، وغزا ليون ، فاضطر سانشو أن يعقد الصلح من جديد فثار عليه اهل ليون وخلعوه ، وعينوا مكانه عمه أردنيو الرابع ، فطلب سانشو وطوطة ملكة نافار العون من الناصر سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م وتمكن من استعادة عرشه (١) .

توفي الناصر ، ونكث سانشو بعهده ، وخاض معارك مع الحكم المستنصر مني فيها بالهزيمة و طلب الصلح ، واستمر في حكم ليون اثني عشر سنة ، وتوفي ٣٥٦هـ/٩٥٦م ، فخلفه راميرو الثالث و هو طفل في الخامسة من عمره تحت وصاية عمته البيره (٢) ، لكن الاشراف والزعامات المحلية رفضوا، فنشبت ثورات وحرب أهليه ، ولم يفكر زعماء ليون والممالك الأخرى بمهاجمة الأراضي الإسلامية ، بفعل الحروب والصراعات الداخلية بينهم حتى وفاة الحكم المستنصر ٣٦٦هـ/٩٧٦م (٣).

ب- قشتالة

سميت قشتالة بهذا الاسم (castilla) ، لكثرة الحصون والقلاع فيها وكان سكانها من البشكنس ، وعاصمتها برغش ، وكانت خاضعة لحكم ليون ، ولكن الزعامات المحلية فيها والكونتات كانوا يفضلون الاستقلال من تبعيتهم لليون ، فثاروا في عهد أردنيو الثاني ، ولكنه تمكن من إخضاعهم وقد بقيت قشتالة على هذا الحال حتى تولى زعامتها الكونت فرنان غونثالث ، الذي ثار على راميرو الثاني ملك ليون الذي كان في أوج قوته عقب انتصاره في معركة الخندق (٤) .

(1) reuter : medieval history 900-1024 c, p678-679

(٢) ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ج ٢ ص ٢٨٢+ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ٥٩٤ - ٥٩٦ - ٥٩٧ .

+ reuter : medieval history 900-1024 c , p679-680

(٣) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ٥٩٧ .

(٤) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ٥٩١ .

لم تتجح ثورة الكونت دون فران غونثالث على راميرو ، وأخذ اسيرا إلى ليون ، ولكن الزعامات المحلية في قشتالة بقيت ثائرة حتى تمكنوا من تحرير سيدهم فرنان غونثالث ، وإطلاق سراحه مقابل يمين الولاء والتبعية لليون ، وقد كان غونثالث شخص قوي وسياسي كما يصفه المؤرخون ، تمكن من خلال مقاومته الهجمات الإسلامية ولوحده ومن خلال الاستفادة من ضعف ليون وحروبها الأهلية أن يستقل بحكم قشتاله في عهد سانشو بن غرسيه (١) .

ويعلق الدكتور عنان " إننا هنا نقف على حقيقة تاريخية هي اننا نجد قشتالة إحدى ولايات ليون تحارب المسلمين لأول مرة وحيدة وكأمانة مستقلة ، ومنذ ذلك التاريخ تحتل قشتالة مكانها في التاريخ الكفاح السياسي بين اسبانيا النصرانية وإسبانيا المسلمة " (٢) ، استمر فرنان غونثالث في حكم قشتالة حتى وفاته سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م وخلفه ابنه غرسيه فرنانديز (٣) .

ج- نافار

نشأت مملكة نبرة نافار في أواخر القرن التاسع الميلادي ، وكان على عرشها سانشو غرسيه الذي توفي ٣٠٤هـ/٩١٦م، فخلفه ابنه غرسيه سانشيز وهو طفل تحت وصاية عمه غرسيه ثم امه طوطة ، التي استمرت بحكم نافار باسمه حتى ٣٤٩هـ/٩٦٠م وقد كانت تربط نافار بقشتاله وليون علاقات مصاهرة ، وقد وقعت خلال الحرب الأهلية في ليون ٣٤٠هـ/٩٥٠م إلى جانب سانشو ضد اخيه ارنديو (٤)، وعندما عزله اهل ليون ذهب معه إلى الناصر لطلب المساعدة لإعادته إلى العرش بعد وفاة طوطة ٣٤٩هـ/٩٦٠م ، وبقي غرسيه سانشيز يحكم حتى وفاته ٣٦٠هـ/٩٧٠م وخلفه ابنه سانشو غرسيه الثاني (٥) .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ٥٩٤-٥٩٦-٥٩٧ .

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٢، ص٢٨٣+ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ٥٩٤-٥٩٦ .

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٢، ص٢٨٤-٢٨٥ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ص ٥٩٩-٦٠٠ .

(5) reuter : medieval history 900-1024 c, p688-689

٢- الأوضاع العامة في المغرب

بعد سقوط الدولة الأموية، وظهرت الدولة العباسية ، ظهرت دول المغرب المستقلة ، مثل دولة الأغالبة ، ودول الخوارج الإباضية بتاهرت ، والمدرازية بسجلماسه ، وكان ظهور هذه الدول نتيجة عجز العباسيين بالمغرب بشكل عام، وقد بقيت هذه الدول مستقلة ، حتى ظهور الفاطميين الذين اختاروا المغرب لعدم وجود الخلافة فيه ، ولطموحهم ان يكون منطلق لهم باتجاه الأندلس ثم المشرق.

وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وهي بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوجة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، وقد سميت بالفاطمية واشتهرت بالعلوية، وسماها اعدائها بالعبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المهدي (١) أما ظهورها فبدأ من الدعوة الإسماعيلية التي خرجت من السلمية وسط سوريا اليوم ، وكانت تتمحور حول شخصية الأمام ، وقد وصلت الدعوة الفاطمية إلى المغرب عن طريق ابو عبد الله الشيعي ٢٨٠ هـ/٨٩٣م (٢) ، فتمكن من جمع الناس حوله ، والقضاء على دولة الأغالبة ٢٩٦ هـ /٩٠٩م ، ثم تحرير أمام الدعوة الذي كان سجيناً بسجلماسه وهو عبيد الله المهدي (٣) .

وقد مرت الخلافة الفاطمية بمرحلتين مشرقية ومغربية

وخلفاء المرحلة المغربية هم

عبد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩١٠-٩٣٤م) القائم (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م)

المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٦-٩٥٣م) المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) (٤) .

(١) أحمد ،علي احمد : تاريخ المغرب القديم والإسلامي ، منشورات جامعة دمشق دمشق، ٢٠١١م ، ص ١١٤-١١٥ .

(٢) المقرئزي ،تقي الدين احمد بن علي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ت . ح : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ج١، ص ٥٥-٥٦ الخربوطلي ، علي حسني :ابو عبد الله الشيعي ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٢٢ .

(٣) زكار ،سهيل : التاريخ العباسي والأندلسي ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٨٢م ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(٤) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر : تاريخ الخلفاء ، ت. ح :رحاب خضر عكاوي ، ط١ ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ١٩٩٢م، ص ٥٧١ + التويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب في فنون الأدب ، ت.ح: حسين نصار، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م، ج ٢٤ ، ص ١٥٤-١٥٥+علي احمد : تاريخ المغرب ، ص ١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٤ .

لقد نظر الأمويون في الأندلس إلى الدولة الفاطمية نظرة ترقب وخوف وحذر، وقد أرسل الفاطميون عدد من معاونيهم إلى الأندلس، ومنهم ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض، الذي شجع الفاطميين على دخولها يقول ابن حوقل: " فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحار، ومن الجلالة في القدر بما حوته.... ودخلتها أول سنة سبع وثلثين (ثلاثين) وثلثمائة (ثلاثمائة) والقيم بها أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن... بن عبد الملك بن مروان... وفيها عامر، وأكثرها غامر... ويكثر فيها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار.... إن سكة دار ضربه على الدنانير والدراهم ضمانها في كل سنة مائتا ألف دينار... ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على ما هي في يده، مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبراسة ولقاء الرجال.... وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها، ومقدار جبايتها، ومواقع نعمها ولذاتها " (١)، ويتبين من هذا النص تشجيع ابن حوقل للفاطميين على دخول الأندلس.

لقد تمكن الخليفان الناصر والمستنصر من إرسال عدد من الحملات تمكنت من إبعاد الخطر الفاطمي عن الأندلس، مستفيدين من الصراع القبلي بين صنهاجة وزناتة، فساندت زناتة الأمويين، وناصرت صنهاجة الفاطميين واستفاد الأمويون من العامل المذهبي من خلال دعمهم للخوارج الإباضية ضد الفاطميين لذلك توجه الفاطميون بمشروعهم إلى مصر، وبقيت صنهاجة مناصره لهم في المغرب (٢).

لقد كانت القوة الأبرز في المغرب هم الأدارسة، وقد كان أبرز شخصياتها التي قاتلت الأمويين هو الحسن بن كنون، الذي اتخذ من قلعة حجر النسر قاعدة له، وبسبب خوفه من سطوة الناصر أعلن ولائه للأمويين سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وعندما توفي الناصر وأصبح الحكم المستنصر خليفة أعلن ولائه له.

(١) ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ط ٢، دار صادر، بيروت، د.ت، ق ١، ص ١٠٩.

(٢) علي أحمد: تاريخ المغرب، ص ١٢٠-١٢١.

يقول الناصري صاحب كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى : "كان الأمير حسن بن كنون قد بايع العبيديين (يقصد الفاطميين) فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر إلى إفريقية أواخر سنة تسع وأربعين وثلاثمئة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد إلى المرwanيين فتمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة الحكم المستنصر خوفا منهم لا محبة فيهم " . (١) وفي أوائل ٣٦٠هـ/٩٧١م ، سار بلكين بن زيري الصنهاجي يقود جيشا هدفه إعادة سلطان الفاطميين ودعوتهم إلى المغرب ، لكن المستنصر دعم القبائل الموالية مثل زناته ، والحق الهزيمة بالفاطميين (٢) .

استمرت الأوضاع في المغرب في عهد المستنصر غير مستقرة ، وكان الشخص الأبرز في الصراع مع الامويين هو الحسن بن كنون، وقد اتخذ الحسن بن كنون من قلعة الحجر مقرا له ، وقد قطع بيعته للحكم المستنصر ، فأرسل المستنصر غالب قائد الجيش وقال له : "سر سير من لا اذن له في الرجوع إلا منصورا او ميتا معذورا وبسط يدك في الانفاق فإن اردت نظمت الطريق بيننا قطار مال" (٣) هذا الكلام يدل على خوف الامويين من الخطر الذي يشكله الحسن بن كنون والفاطميين ليس بسبب قوته العسكرية ، بل خشية كسبه الحاضنة الشعبية بسبب رفعه شعارات الخلافة والولاء لآل البيت حاصر غالب الحسن بن كنون ونتيجة قوة أمدادات الأندلسيين ، وقلة أمداد الحسن بن كنون ، استسلم ابن كنون ، وأخذ اسيرا إلى المغرب سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤م . واخذه الى مدينة الزاهرة ، ثم أخرجهم المصحفي من الأندلس خوفا من قيامهم بأي نشاط داخل الأندلس (٤) .

(١) السلاوي ، ابو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا لإخبار دول المغرب ، ت. ح. : جعفر الناصري - محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧ ، ج ١ ، ص ٢٥٦ + عنان : دولة الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٩٢

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٩٣

(٣) الإيلائي: مفاخر البربر ، ت. ح. : عبد القادر بويابة ، ط ١ ، دار ابي ررقاق ، الرباط ، ٢٠٠٥م ، ص ٩٩ .

(٤) الإيلائي : مفاخر البربر ، ص ٩٩-١٠٤ + السلاوي : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ + عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٩٧-٤٩٩ .

٣- الأوضاع السياسية في الأندلس

عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٣-٩٦١م)

لقد ظلت الأندلس مستقرة حوالي قرن من سيطرة الأمويين عليها، وتوطدت أسس هذه الدولة، وأخذت تزدهر وتزدهر في عهد عبد الرحمن بن الحكم، ولكن ما لبثت حتى دخلت عليها الفتن وعوامل التفكك، إلى أن جاء عبد الرحمن بن محمد بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٣-٩٦١م) كنيته أبو المطرف، ولقبه الناصر لدين الله ولي الأمانة، وله ٢٣ سنة (١)، وقد مزقت الأندلس الفتن والثورات والحروب، وقد استطاع الخليفة الناصر القضاء على الثورات، وخصوصاً ثورة ابن حفصون، فأعاد للأندلس وحدتها، وأعلن الخلافة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م (٢).

أ- استعادة وحدة الأندلس

عندما تولى عبد الرحمن الناصر الأمانة في الأندلس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، كانت الأندلس تعاني حالة من التمزق والانقسام، عاجزة عن ردع المغيرين على أطراف العاصمة قرطبة عاصمة الدولة (٣)، فور تولى عبد الرحمن الناصر الحكم بدء سياسة حازمة هدفها اجتثاث معاقل التمرد والعصيان الخارجة على الحكومة المركزية (٤)، لقد كانت مهمة عبد الرحمن الناصر كبيرة وصعبة فالأندلس بلد كبير مترامي الأطراف والممالك المسيحية في الشمال كانت تدعم بعض الأمراء المتمردين، بدء الناصر عملياته العسكرية بنفسه فسيطر على رباح ثم استجه (٥) ثم بدء غزوته المعروفة بالمتلون التي وجهت ضربة قاصمة لابن حفصون أبرز الثائرين والخارجين على الحكم الأموي في الأندلس (٦)

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص٣٠-٣١-٣٢+ ابن الفريسي : تاريخ علماء الأندلس، ت. ح : إبراهيم الإبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ج١ ، ص٣١ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧+ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٣٥

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص١٥٧ .

(٤) العبادي ، أحمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة ، بيروت ، د.ت ، ص١٦٨ .

(٥) ابن حيان ابن حيان ، ابي مروان بن حيان : المقتبس في أخبار أهل الأندلس ، ت. ح : شالميطا - كورنيطي ، المعهد الإسباني ، مدريد ، ١٩٧٩م ، ج٥ ، ص٥٥ .

(٦) ابن عذاري : ج٢، ص١٦٢+ ابن حيان : ج٥، ت. ح : شالميطا ، ص٦١ .

ثم تمكن الناصر وواصل انتصاراته، ففضى على ثورة ابن حجاج، واستعاد مدينة اشبيلية (١)، انتصارات عبد الرحمن الناصر على المتمردين كانت سلسلة متوالية يطول سرد احداثها، وكانت سهولة انتصار الناصر تعود إلى ضعف المتمردين الذين مزقتهم وأضعفتهم الصراعات الداخلية

أبرز انتصارات الناصر كانت قضائه على ثورة ابن حفصون بعد ثلاثين سنة من خروجه على السلطة الأموية، وكان ذلك سنة ٣٠٣هـ/٩١٦م يقول ابن حيان " انتهت الحصون التي دخلت في أمان عمر بن حفصون على ما وقع من تسميتها في كتاب الفتح مئة واثنين وستين حصنا " (٢)، تواصلت انتصارات الناصر بعد قضائه على رأس التمرد ابن حفصون الذي توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م (٣) ولم ينجح تمرد ابنه سليمان في فعل شيء امام قوة الناصر ففضى على تمرده سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م (٤)، وفي سنة ٣١٧-٣١٨هـ/٩٢٩-٩٣٠م تمكن الناصر من استعادة وحدة البلاد، واستعادة الثغور الشمالية شاطبة، طليطلة، بطليوس، باجه، وأنهاء حالة الانقسام والتشردم، (٥) وجعل كل بلاد الاندلس تحت سيطرة الحكومة المركزية .

إعلان الخلافة

لقد ظل الأمراء الأمويون يتلقبون بلقب الأمير، حتى جاء عبد الرحمن الناصر، وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين وخليفة أما من سبقه من الامراء فاحجم عن ذلك، خوفا لما يجر ذلك من الفتن، والاضطرابات، والخلافات الدينية والمذهبية، وبسبب بعدهم عن الحجاز والحرمين الشريفين (٦) عدة عوامل كانت محفزا لأعلان الناصر الخلافة.

(١) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١٦٤+ إشبيلية : قديمة البناء ، يقال ان بانيتها يوليوس قيصر ، وسميت أشبالي اي المدينة المنبسطة ، وهي مدينة كبيرة وحصينة ، وغربيها نهر ، وبطل عليها جبل الشرف انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٨-٥٩ + الإبريسي : نزهة المشتاق ، مج ٢ ، ص ٥٤١ + اليعقوبي : البلدان ، ص ١١٠ .

(٢) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١١٥.

(٣) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١٣٨.

(٤) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٥) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١٢٩-٢٧١-٢٨٠.

(٦) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ٤٢٩ .

لأنه شعر بقوته (١)، ولأنه تمكن من توحيد الأندلس، وأراد ربطه أكثر بالسلطة المركزية، لأنه لم يكن مركزي الإدارة، فأراد ربط البلاد بولاء مقدس، أيضا عبد الرحمن الناصر كان أميرا، لكن معظم الثائرين والخارجين على السلطة كانوا يتلقبون بالامارة لذلك عبد الرحمن الناصر كان أميرا بين امرء أو نظير بين النظراء فكان أسما مثله مثل أي ثائر وخارج عن السلطة فأراد الناصر ان يتخذ لقباً أكبر شرعياً ودينياً أكبر يخضع به بلاد الأندلس له تحت رباط شرعي مقدس

وليواجه الخطر القادم من المغرب، والمتمثل بالخلافة الفاطمية التي بدأت طلائعها تصل الأندلس، وخوفه من انسياق الناس اليها لأن الكثير من الأندلسيين كانوا يعتبرون الخلافة حق شرعي لآل البيت، فأراد ربطهم ببيعته كأمر للمؤمنين، فلم يكن في ذلك الوقت للأندلسيين خليفة، وعندما أتى الفاطميون أحس بذلك النقص، الذي قد يجر الناس اليه من خلال رفع الفاطميين شعار آل البيت

ايضا ضعف الخلافة العباسية التي كانت تحكم الحرمين الشريفين، ومعظم بلاد المسلمين، وتحكم العناصر الاجنبية بها أفقد خافته الهيبة مما شجع الناصر يقول ابن الخطيب: " وهو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين، ثم اقتفاه من بعده، وذلك عندما ضعفت الدولة العباسية، وظهرت الدولة التركية والديلمية وكثرت الألقاب " (٢)، وكذلك يقول ابن الأبار: " وتسمى الناصر عبد الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين، بعد سنين من خلافته، لما ضعف سلطان العباسية في المشرق، وغلبت عليهم الأتراك، وداعت الشيعة ما شاءت بإفريقية، وساعدتهم عليها قبائل البربر، وأصبح الناس في الأفق فوضى، وكان من قبله من آبائه يدعون بالأمراء، وظهر لأول ولايته من يمن طائره، وسعادة جده، وأتسع ملكه، وقوة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة على اضطرامها بكل جهة ... " (٣)

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٦٨.

(٢) القلقشندي: احمد بن عبد الله: مآثر الاناقة في معالم الخلافة، ت. ح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٢٥. الحميدي، ابي عبد الله محمد بن ابي نصر: جذوة المقتبس، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٣. + ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ٣١ + الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، د. م. ١٩٦٧، ج ١، ص ١٧.

(٣) ابن الأبار، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي: الحلة السيرة، ت. ح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣-١٩٨٥، ج ١، ص ١٩٨.

العلاقات الخارجية

كانت علاقات الناصر مع الممالك المسيحية في الشمال مرتبطة بأوضاع الأندلس الداخلية، فمع بداية عهد الناصر كانت الأندلس ضعيفة تمزقها الحروب الداخلية، فكانت الممالك المسيحية في الشمال تهاجم أطراف الأندلس الشمالية، لكنها لم تكن تتوغل في الأندلس، لأنها كانت ممالك صغيرة تبحث عن الغنائم، ولم تكن تملك الطاقات البشرية الكافية، وهذه الممالك هي ليون، قشتالة، نبرة (نافار)، أما عندما أصبحت الدولة قوية، فتراوحت العلاقات بين العسكرية والدبلوماسية .

استمرت هجمات الممالك المسيحية في الشمال حتى سنة ٣٠٨هـ/٩٢١م، حتى بدء الناصر قيادة الحملات بنفسه، وكان هدف هذه الحملة الانتقام من مملكة ليون، والحد من نفوذها بعد هجومها على تطيلة وتخريبها، وكانت نتيجة هذه الحملة النصر على مملكة ليون والقوات المتحالفة معها^(١)، وفي سنة ٣١١هـ/٩٢٤م هاجم الناصر نافار والحق بها هزيمة كبيرة^(٢) تواصلت انتصارات الناصر حتى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م حينما أعد الناصر لحملة هدفها الوصول إلى عمق الممالك المسيحية، وتحطيم نفوذها، وتشتت هذه المعركة بمعركة الخندق، والتي كانت نتيجتها مؤثرة وحاسمة في تغيير سياسة الناصر، فقد نتيجتها هزيمة القوات الإسلامية، وارتدادها إلى العمق الأندلسي^(٣)، وأبرز نتائجها هي ان غير المنصور سياسته، فلم يعد يغزو بنفسه، ثم قام بتسليم كل الثغور إلى قادة عسكريين وزعامات محلية، مثل آل تجيب ، وآل ذي النون ، وآل غزوان ، وآل الطويل ، وآل رزين^(٤)، بعد غزوة الخندق استمرت الحملات، ولكن الناصر لم يعد يخرج للغزو بنفسه، وقد اسفرت هذه الحملات عن الحد من نفوذ الممالك المسيحية وكسر شوكتها.

(١) ابن عذاري: ج ٢، ص ١٧٩+ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١٦٣.

(٢) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ١٨٩.

(٣) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ٤٣٥.

(٤) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ٤٣٧+٤٣٨.

أما عن العلاقات الدبلوماسية ففي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٦م، عقدت هدنة مع مملكة ليون وفي ٣٤٥هـ/٩٥٧م انضمت لهذه المعاهدة قشتالة (١) وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م عقدت هدنة بين الخلافة الأموية مع مملكة نافار، وملكتها طوطة (٢) هذه نظرة عامة إلى طبيعة العلاقات بين الأندلس والممالك المسيحية في الشمال أما عن المغرب التي تقدم الحديث عنها فقد كانت سياسته تعتمد على كسب ولاء القبائل المغربية ولا سيما زناته، وفرعها مغراوة (٣) أيضا اعتمد على مساندة الثورات ضد الفاطميين، ومنها ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي، ولم يتمكن الفاطميون من قمع هذه الثورة إلا بعد الاستعانة بقبيلة صنهاجة الموالية لهم فقتل هذا الثائر ٣٣٦هـ/٩٤٨م (٤).

الحكم المستنصر

سار الحكم المستنصر على نهج والده، فاستمرت العلاقات سواء مع المغرب أو الأندلس، كما كانت أيام الخليفة الناصر، ففي المغرب بقيت الخلافة الأموية في الأندلس تدعم قبيلة زناته، وتقوي نفوذها، بالمقابل ناصرت صنهاجة الفاطميين، فقدموا الدعم لها فكان نفوذ صنهاجة في الجانب الشرقي من المغرب، القريب من مصر مركز الخلافة الفاطمية في مصر، أما زناته التي ناصرت الخلافة الأموية في الأندلس، فسيطرت على الجانب الغربي من المغرب، القريب من الخلافة الأموية في الأندلس (٥)، وكان هذا الصراع بين القبيلتين نيابة عن الصراع الفاطمي مع الخلافة الأموية في الأندلس بشكل مباشر، أما الأدارسة فكانت سياستهم متقلبة بين موالية للفاطميين تارة والخلافة الأموية تارة أخرى، وكان ابرز رجالها هو الحسن بن كنون، الذي كما ذكر من قبل تمكن المستنصر من إنهاء ثورته، أما سياسته مع الممالك المسيحية في الشمال، فكانت أيضا استمرارا لسياسة والده عبد الرحمن الناصر، فبعد ان نقض سانشو بن غارسية هدنته مع الناصر، أرسل المستنصر عدة حملات بقيادة غالب قائد جيش للرد على ذلك، ففي ٣٥٢هـ/٩٦٣م، سيطر على حصن غرماج على نهر الدويرة (٦)

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٦٥.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٤٥٩.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ت.ح: شالميطا، ص ٢٥٧-٢٦١.

(٤) ابن عذاري: البيان ج١، ص ٢١٦.

(٥) العبادي، احمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص ١١٤.

(٦) ابن عذاري: البيان ج٢، ص ٢٣٦.

ثم تمكن من السيطرة على حصن قلهره (١)، وهكذا كان التفوق الحربي للخلافة الأموية سمة تلك المرحلة، أما العلاقات الدبلوماسية، فكانت بداية هذه العلاقات مع أمير جيليقية، ثم أمير اشتوريش، ثم سفارة لسانشو غارسية، وفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، وفد سفي لأمير برشلونه الكونت بوريل، ثم أوفدت البيره الوصية على العرش في ليون تطلب الهدنه (٢) .

أخيرا لقد ظلت الدولة الأموية متماسكة، وقد ظل الامراء ثم الخليفة الناصر هم انفسهم يديرون البلاد، وذلك على الصعيد السياسي والاداري والحربي، حتى وفاة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، الذي تولى الحكم وهو في الثامنة والأربعين من عمره (٣)، وقد انشغل طيلة حياته بالعلم والعلوم، مما أتاح المجال لرجال الدولة للاستثمار بالسلطة (٤)، وأتاح لهم مجالا للصعود السياسي، ولم يرزق المستنصر إلا بولدين هما عبد الرحمن وهشام من زوجته صبح (جعفر)، وهي مسيحية من بلاد نافار (٥)، وقد توفي عبد الرحمن وهو صغير، وبعد ثلاثة سنوات رزق المستنصر بولد آخر واسماه هشام ولد سنة ٣٥٤هـ/٩٦٤م (٦)، وقد قام المستنصر بمنح ابنه ولاية العهد على الرغم من صغر سنه يقول ابن حيان "انتهت خلافة بني مروان إلى الحكم تاسع الاثمة فيها، فتناهت في السرو، والجمال، والأبهة...إلا أنه -تغمده الله خطايا- مع ما وصف من رجачته، كان ممن استهواه حب الولد وأفرط فيه، وخالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الأخوة، وفتيان العشيرة، ومن يكن للإمامة دون محابة... فتخطى جماعتهم إلى ابنه هشام، وهو في الوقت طفل ما بلغ الحلم" (٧).

(١) المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٨٣.

(٢) السامرائي، طه، مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت. ح: احسان عباس، ق ٤، مج ١، دار الثقافة، ط ١، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥٧ + ابن الابار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٠٠ + اسمها هو المقابل العربي للكلمة الإسبانية (أورورا) .

(٤) ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ت. ح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ٢، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣، ج ١٥، ص ٣٧١ + البافعي، ابي محمد عبد الله بن أسعد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ت. ح خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٩٠.

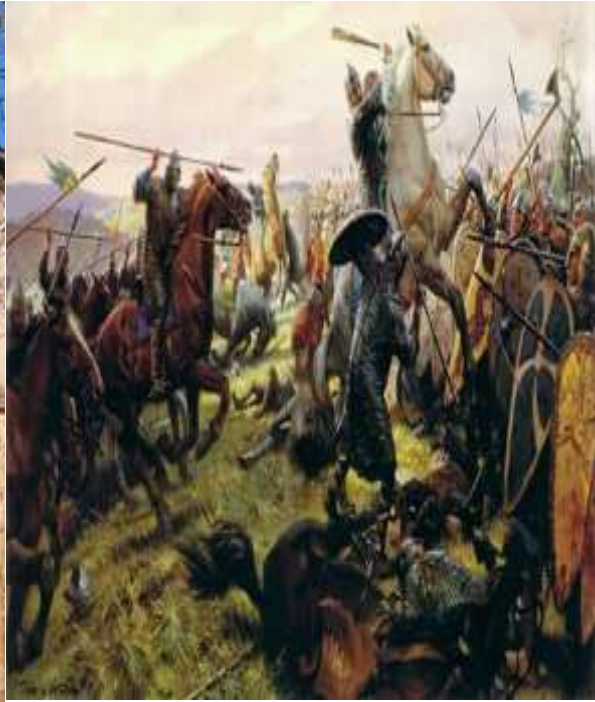
(٥) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٢٧٤ + الضبي: بغية الملتبس، ج ١، ص ٢١.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧ + عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٥٠١.

(٧) ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ٥٧ + الضبي: بغية الملتبس، ج ١، ص ٢١.

فصل في التاريخ

الاستبداد العامري



المنصور محمد بن أبي عامر

أولاً : وفاة الحكم المستنصر

هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، امه ام ولد اسمها مرجان كما يذكر المراكشي ، ومهرجان كما يذكر ابن عذاري ، وكنيته أبو العاص تولى الحكم وهو في الثامنة والأربعين ، أو السابعة والأربعين من عمره على اختلاف المصادر (١) أصيب الحكم المستنصر في أواخر أيامه بمرض فالج (الشلل) ، ولم يكن له سوى ولد واحد ، وهو هشام فأخذت البيعة له ، وقد بقي المستنصر في قصره إلى أن توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م (٢) ، فحكم ست عشر سنة وأشهر (٣) ، وقد اختلفت المصادر في تحديد يوم وفاة المستنصر ، فمنهم من قال في الرابع من صفر ، ومنهم من ذكر الثاني أو الثالث منه ، (٤) ومرد ذلك تعمد القوى المسيطرة إخفاء وفاة الحكم حتى يتمكنوا من تثبيت حكم الخليفة الجديد ، فعند وفاة الحكم المستنصر لم يكن لولي العهد هشام سوى إحدى عشر سنة (٥) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ + المراكشي ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب ، ت . ح : محمد سعيد العريان ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٥٩ + المقري : نفح الطيب ، مج ١ ، ص ٣٨٢ . الحميدي ، أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ١٣ + ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي (نقط العروس) ، ت . ح : احسان عباس ، ج ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ١٩٤ + ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ت . ح : محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ج ٤ ، ص ١٥٣ .

(٢) أبو الفداء ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، دار البحار ، بيروت ، د . ت ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦ ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ص ٤٧٨-٤٧٩ + ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٥٣ - ٢٥٩ + المراكشي : المعجب ، ص ٧٢ + ابن الفريسي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٣٢ .

(٣) الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ط ٢ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج ٣ ، ص ٥٥-٥٦ + المراكشي : المعجب ، ص ٧١ + اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط ٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٤٤ + ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ + ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٥) المراكشي : المعجب ، ص ٧١ .

ثانيا - قضية الخليفة هشام

١- **ظهور ابن أبي عامر** هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري (١)، ولد عام ٣٢٧ هـ / ٩٢٧ م في الجزيرة الخضراء في بيت من وجهاء تلك المدينة ، كان أبوه عبد الله من طلاب العلم المعروفين، وقد مات في رحلة عودته من الحج ودفن في طرابلس أمه هي بريهة في جذوة المقتبس و فريهه في المعجب بنت يحيى بن زكريا التميمي من أهل بيت من أشراف قرطبة يسمون ببني برطال ، وجده عبد الملك المعافري كان أحد قادة الجيش الذين فتحوا الأندلس مع طارق بن زياد(٢) .

٢- **تدرجه في المناصب** : لقد بدأت حياة المنصور بن أبي عامر ، عندما بدأ بالعمل كاتباً على باب قصر الخليفة يكتب الرسائل والعرائض المقدمة إلى الخليفة ، فأعجب الخليفة ومن معه بحسن خطه وجزالة عبارته ليتمكن بعدها من الدخول إلى القصر، وبفضل براعته وموهبته عينه المصحفي وزير المستنصر وكيلاً لعبد الرحمن أول أولاد الخليفة ، بموافقة من صبح البشكنجية زوجة المستنصر سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧ م، ثم ولاه دار السكة في العام نفسه ثم ولي خطة المواريث في ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م (٣) ، ففاضياً على أشبيلية ولبله وأعمالهما في السنة نفسها، وبعد وفاة عبد الرحمن بقي في خدمة أم الخليفة إلى أن أنجبت ولدها الثاني هشام (٤) .

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص ٢٦٨ + ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٥٤ + ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ٥٦ + ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ت. ح: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧ م، ج ٧، ص ٥٣٠ .

(٢) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٥٧. المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٩٩ + المراكشي: المعجب، ص ٨٤ .

(٣) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ٦٠ .

فأصبح وكيلاً ومعلماً لهشام في ٣٥٩ هـ/٩٦٩ م. وفي جمادى الآخرة ٣٦١ هـ/٩٧١ م، جعله الخليفة الحكم على الشرطة الوسطى، ثم أرسله إلى المغرب في ٣٦٢ هـ/٩٧٢ م بأموال كثيرة إلى المغرب لاستمالة زعماء البربر إلى جانب الخلافة، ثم أرسل مرسومه بتوليته قاضياً لقضاة عدوة المغرب. ثم أسند إليه النظر على الحشم وهو في مرض موته (١)، وهكذا تمكن المنصور من الوصول إلى مكانة عالية في قصر الخليفة بفضل براعته وحسن تدبيره وموهبته، وقد ساعده في ذلك محبة صبح البشكنجية له وعطفها عليه وهي مسيحية من بلاد نافر وأتت كجارية ومغنية لدى المستنصر، وقد استثمر المنصور هذا العطف وهذه الخطوة إلى أبعد الحدود معززا إياها بالتحف والهدايا، خصوصاً وأن صبح كانت شابة حسنة، وزوجها المستنصر قد شارف على الستين من عمره، والمنصور شاب وسيم بارع حسن الكلام، وقد كان لهدياه وقع كبير في نفس صبح، ومن هذه الهدايا مجسم لقصر من الفضة أنفق المنصور لأجله الكثير من المال مما ساعده أكثر في صعود المنصور، وتهيئة الاجواء أكثر لصعود أكبر للمنصور، واستبداده بحكم الدولة كما سيتضح لاحقاً (٢).

بعد وفاة الحكم المستنصر كانت هناك عدة قوى في القصر وهي :

أ- **الصقالبة** : لقد اعتمد الخلفاء الأمويون كثيراً على الصقالبة (٣) لعدة أسباب : أهمها عدم وجود صلات قرى بينهم وبين المجتمع، فلا يمكن لأحد التأثير عليهم، ولولائهم المطلق، ويورد ابن عذاري إنه عندما تلقى شكوة على الصقالبة قال المستنصر : "هم أمنائنا وثقاتنا، فينبغي على الرعية أن تلين لهم، وتترفق في معاملتهم، فتسلم من معرفتهم، إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم" (٤).

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٥٢-٢٥٣+ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٦٣

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٦١+ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٥٢+زكار: التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٠٩.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٣٢

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٥٩

من هذا الكلام يستنتج مدى المكانة والخطوة للصقالبة لدى المستنصر ، وعدم رغبته بمعاقتهم لحاجته اليهم ، ولثقته وأمنه انهم ليسوا مصدر ثورة ضده أو ضد أحد أبنائه ، وأن العناصر الأخرى ستكون مصدر تهديد لهم ، وهذا ظهر جليا عند وفاة المستنصر فلقد كانوا حريصين على استمرار الخلافة الأموية بشخص قوي هو أخو الحكم ، وان ابن أبي عامر عندما تمكن من القضاء على نفوذ الصقالبة سيطر على الخلافة ، مستمدا الشرعية من وصايته على الخليفة الطفل هشام واستبد بها دون الخليفة الشرعي .

لم يكن عدد الصقالبة يتجاوز الألف وكلهم من ذوي المناصب في الدولة ، وكان أبرز قادة الصقالبة فائق صاحب البريد والطر از والمعروف بالنظامي وجوزر صاحب الصاغة والبيازرة (١) .

ب- الأسرة الحاكمة : وتتمثل بولي العهد هشام أولا ، وهو ابن الحكم المستنصر ولم يبلغ سن البلوغ وايضا إخوة الحكم المستنصر ابناء عبد الرحمن الناصر، وكانوا يستطيعون تسلم مقاليد الحكم ، وكان لعبد الرحمن الناصر أحد عشر ولدا اثنين منهم كانوا على قيد الحياة عند وفاة المستنصر ، حيث توفي عبد العزيز قبيل وفاة المستنصر ، ومن بقي هما الأصبغ والمغيرة (٢).

ج- الأندلسيون: وتتمثل بالمصحفي : جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله ابن كسيلة من بربر بلنسية ، وينتمي إلى قيس بالمخالفة (٣). وزير الحكم المستنصر ، وغالب قائد الجيش ، وابن أبي عامر قائد الشرطة ، وكان هؤلاء بيدهم القوة العسكرية ولكن سلطتهم كانت خارج القصر، حيث كان نفوذ الصقالبة في القصر أقوى والدليل على تحكم الصقالبة بالقصر قول المصحفي لفائق وجوزر عندما أخبراه نيتهم تعيين المغيرة بدل هشام الطفل قال : "وهل انا إلا تبع لكما وأنتما مدبرا وصاحبا القصر " (٤) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ + بن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٥٨ + المقري : نفع الطبيب ، ص ٣٩٦ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٥٨ .

٤- **التخلص من المغيرة وتنصيب هشام (المؤيد) خليفة :** بعد وفاة الحكم المستنصر ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م كان الصقالبة هم الأكثر نفوذا وسيطرة ، وكان على رأسهم فائق وجوزر وقد كانا بمثابة الخادمين الخاصين للمستنصر ، ولذلك كانا أول من عرف بوفاته وقاما بكتمان ذلك ، واتفقا على تولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، وهو أخو الحكم المستنصر أما هشام ولي العهد فقررروا تعيينه وليا للعهد ، وقد قاما بإبلاغ المصحفي بذلك (١) وقد أبدى المصحفي موافقته ورضاه قائلا : "الأمر أمركما وأنا وغيري تبع لكماوأنا أسير إلى الباب فأضبطه بنفسي " (٢)، وغادر القصر بعد ان أغلق أبوابه ، وقام على الفور بالاجتماع بعدد من أعوانه وقال : "إن أبقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وإن بدلنا استبدل بنا " (٣)، فبادر المصحفي واجتمع مع الأندلسيون زياد بن أفلح وقاسم بن محمد ومحمد بن أبي عامر، فأخبرهم بوفاة الخليفة ، وما أُنق على الصقالبة ، فاتفق الأندلسيين على تعيين هشام والتخلص من المغيرة (٤) .

وقد تكفل محمد بن أبي عامر بمهمة قتله ، وعندما وصل ابن أبي عامر إلى بيت المغيرة وجده مطمئنا دون استعداد فأخبره بوفاة أخيه وخشية الوزراء من تعيينه الخليفة فطلب ابلاغهم إنه واف ببيعته لهشام ، وتورد المصادر عدم رغبة ابن أبي عامر بقتل المغيرة وجهل المغيرة بما يجري ، ويستبعد أن يكون ذلك صحيحا لأن ابن أبي عامر سيقول كل من يقف في طريقه إلى السلطة ، إذا كيف له إن يبقى المغيرة حيا وهو أموي وأخو الخليفة ، وأما عن جهل المغيرة بما يجري فهذا مستبعد فالمستنصر مات وهو مريض بالفالج ، ولم يمت فجأة ، وأورد ابن عذاري تخطيط جوزر وفائق لقتل المصحفي تمهيدا لتعيين المغيرة ، فمن غير المعقول قيامهما بذلك دون علم المغيرة ، أرسل ابن أبي عامر إلى المصحفي يستأذنه في قتل المغيرة فلامه على تأخيرها ، فقتل ابن أبي عامر المغيرة خنقا (٥) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٦٠ + ابن بسام : الذخيرة، ق٤، مج١، ص ٥٨.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٤ ، مج١، ص ٥٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٦٠ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة، ق٤ ، مج١، ص ٥٨ + ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٦١.

ثالثاً : الاستبداد العامري ، محمد بن أبي عامر

١- تخلص ابن أبي عامر من منافسيه

أ - الصقالبة : بعد التخلص من العقبة الأولى بقي الصقالبة ، وقد تمكن المصحفي وابن أبي عامر من التخلص منهم وبسهولة ، ودون اعتراض من أحد ، وذلك أنهم قد تأمروا لتعيين المغيرة دون الخليفة الشرعي ، فتمكن المصحفي وابن أبي عامر من نكبتهم ، وإخراجهم من القصر (١). بعدها أخذت البيعة لهشام ، وتلقب بالمؤيد بالله (٢)

ب- التخلص من المصحفي خلال هذه الأحداث هاجمت الممالك المسيحية الأراضي الخاضعة لسيطرة الأندلسيين مستغلة وفاة الحكم المستنصر والاضطراب السياسي الحاصل ، وقد كانت القيادة الأندلسية في وضع غير متزن ، ولم يكن هناك القائد القوي القادر على ردهم ، وقد اعتذر القادة عن هذه المهمة ، فأستغل محمد بن أبي عامر ذلك أحسن استغلال ، وخصوصاً أن الشخص الأول في الدولة المصحفي اعتذر عن هذه الحملة ، فقادها بعد أن جهزه المصحفي بمائة ألف دينار فسيطر على حصن الحامة ، وهزم الممالك المسيحية وعاد إلى قرطبة محملاً بالسبي والغنائم (٣) ، لم يكن ذهاب المنصور في هذه الحملة عبثاً فقد كان رجلاً ذكياً، فأراد من ذلك معرفة الجيش وقادته ، وكسبهم إلى جانبه ، والدليل على ذلك الغنائم والأموال الكثيرة التي بادر لتوزيعها على جنوده يقول ابن بسام : "فعظم السرور وخلص الجند له ، واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه" (٤).

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٣٧٩.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ + ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦٣ + المقرئ : نفح الطيب ، مج ١ ، ص ٣٩٦ + المراكشي : المعجب ، ص ٧٢ + الضبي : بغية الملتبس ، ج ١ ، ص ٢١

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦٢.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦٢ .

فعزيز مكانته داخل الدولة ورفع شعبيته ولا سيما في عاصمة الخلافة قرطبة ، حيث كان هو من صاغ قرار إلغاء ضريبة الزيتون المفروضة عليهم ، فأحبه الناس(١) .

هنا بدء ابن أبي عامر التخطيط للتخلص منه معتمدا على الخلافات القائمة بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم ، بعد اتهام المصحفي لغالب بالتقصير بحماية الحدود الشمالية أولا ، وعلى علاقته الوطيدة بصبح البشكنسية زوجة الحكم المستنصر، وام الخليفة ثانيا (٢)، وقد تم ذلك بعد حملة قام بها مع غالب وافتتحوا فيها حصن مولة، فلجأ جعفر لوسيلة يوقف بها هذا التحالف بين غريميه غالب وابن أبي عامر، بأن طلب يد أسماء بنت غالب للزواج من ابنه محمد بن جعفر، وهو ما أسرع ابن أبي عامر لإحباطه بأن طلب أسماء لنفسه، وهذا ما وافق عليه غالب فزوجه اياها. وفي ٣٦٧هـ/٩٧٧م، خرج ابن أبي عامر في غزوة جديدة فاجتمع بصهره غالب في مجريط (مدريد حاليا) (٣)، وهاجما حصن موله وتمكنا من فتحه ، وعادا سوياً من تلك الحملة إلى قرطبة بالغنائم واتفقا على عزل المصحفي وقال غالب لابن أبي عامر : "سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم ، وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة ، فإياك أن تخرج من الدار ، حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلد دونه "، وخاطب غالب الخليفة يخبره بشجاعة المنصور وبطولته وتمكن المنصور بعد عودته ، من ضبط العاصمة قرطبة فعم الأمان ، ثم توجه للغزوة الثالثة سنة ٣٦٧ هـ/٩٧٧م مع صهره غالب ، وافتتحوا شلمنقة ، ورفع الخليفة مرتبة إلى ثمانين دينار مساويا مرتبه بمرتبة الحاجب ، وعينه على خطة الوزارتين إلى جانب غالب ، ثم تم زفاف أسماء إلى ابن أبي عامر من قصر الخلافة (٤) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص٢٦٥+ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص٦٤+ العذري ، احمد بن عمر بن انس : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، ت.ج : عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، د. ت ، ص ٧٤-٧٥. ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٦-٢٦٧+ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

وأصدر الخليفة أمره برفع غالب لرتبة الحجابة بالمشاركة مع الحاجب جعفر المصحفي، وهو ما عده جعفر انتقاصا من سلطته. وفي ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، كانت نكبة جعفر المصحفي ، بأن نجح المنصور بالاعتماد على أم الخليفة صبح حيث تمكن من أقناعها باستصدار مرسوم خلافي من ابنها بعزل المصحفي من منصب حاكم قرطبة ، وتولية ابن أبي عامر حاكم لها إلى جانب وظيفته كقائد لجيش المدينة وأصدر مرسومه بإقالة الحاجب جعفر المصحفي، وسجنه هو وأبنائه وأقاربه ومصادرة أموالهم.(١)

شدد ابن أبي عامر في التنكيل بجعفر المصحفي ونكايته، حتى أنه كان يحمله معه مكبلاً في غزواته ، (٢)، ثم زجه في السجن، فظلّ في محبسه في الزهراء لأعوام إلى أن مات مسموماً وقيل مخنوقاً في محبسه عام ٣٧٢ هـ/٩٨٣م(٣)، ويذكر ابن الأبار نقلا عن ابن حيان مؤرخ الدولة العامرية ثلاثة أسباب رئيسة بها تمكن المنصور من التخلص من المصحفي : أولها كفايته ومقدرته وذكائه، ثانيها استفادته من حروبه مع الممالك المسيحية ، فظهر كبطل قومي وغطى بها على ما فعله من استبداد ، وخصوصا بعد تخاذل المصحفي ، وثالثها مصاهرته لغالب قائد الجيش (٤)، وبعد التخلص من المصحفي شرع المنصور سنة ٣٦٨هـ/٩٧٩م ببناء مدينة الزاهرة، وانتهى بنائها سنة ٣٧٠هـ/٩٨١م، وانتقل إليها واستوطنها ورتب وزرائه وكتابه (٥) .

(١) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ + ابن بسام : الذخيرة : ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦٤ .

(٢) بن خاقان ، أبي نصر الفتح بن ناصر بن محمد بن عبد الله : مطمح الأنفس ومسرح التأنس ملح أهل الأندلس ، ت. ح. محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٥٩ - ١٦٠ + ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

ونقل إليها الدواوين ، وبنى حول قصر الخليفة سور خندق ونقل إدارة البلاد إلى الزاهرة ، ومنع الناس من الدخول على الخليفة فأغلق أبواب قصره ، ووضع عليه الحراس(١)، وعند انتقاله إلى الزاهرة أمر بالدعاء له على المنابر بعد هشام المؤيد.(٢)

ج- **التخلص من غالب** بعد التخلص من المصحفي بدء المنصور رحلة هيمنته واستبداده بالسلطة ، فأعلن أن الخليفة فوضه الأمر ، وأنه تفرغ للعبادة ، وأحاط قصر الخليفة بخندق وسور ، وأصبح لا يمر شيء إلا بعلمه وأمره و جعل له عيون على الخليفة لمراقبته، ومن هنا بدء بالحجر على الخليفة ، ومنع الناس من الدخول عليه(٣) .

بدأت الوحشة والبغضاء تدب بين غالب وابن أبي عامر بسبب استنثاره بالسلطة أولاً ، وزيادة اعتماده على البربر (الأمازيغ) ثانياً ، وتعيينه لجعفر بن علي بن حمدون (الأندلسي) ، وهو واحد من أبرز زعماء البربر لمنصب الوزارة ثالثاً ، فاستكثر من البربر (الأمازيغ) ليصبحوا فيما بعد عماد جيشه (٤)، وكان استجلاب ابن أبي عامر لجعفر بن علي بن حمدون لثلاثة اسباب ، أولهم مساعدته التخلص من غالب، وغالب قائد قوي معروف بشجاعته ، فأراد المنصور معينا له ، السبب الثاني أراد المنصور شخص يساعد في جلب البربر (الأمازيغ) ليصبحوا عماد قوته ، فهو لا يأمن من الأندلسيين خشية الثورة عليه سواء من الأمويين أو من سواهم ...

(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨١ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢، ص ٦٥ + ابن عذاري : البيان ، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٧٨ + المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٥ + الفتح بن خاقان : المطمح ، ص ٣٩٢ .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨١ + ابن عذاري : البيان ، ج ٢، ص ٢٧٨ + الفتح بن خاقان : المطمح ، ص ٣٩٣ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢، ص ٢٧٢ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢، ص ٦٥ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٢، ص ٢٧٩ .

والسبب الثالث هو معرفة ابن أبي عامر بأن سنين العسل مع صبح البشكنجية قد انتهت ، فهذه المرأة قد بلغت الأربعين من عمرها ، وبدأت تشعر أن المنصور قد سلب أبنها ملكه وسلطانه ، وأستبد بالأمر دونه فبدأت تحرض عليه (١) .

خلال إحدى الحملات على قشتاله دعا غالب ابن أبي عامر لوليمة في أنتيسه، حدثت خلالها مشادة كلامية ، انتهت بمحاولة غالب قتل ابن أبي عامر لكنه نجا بأعجوبة ، وأصيب بجراح خفيفة عاد ابن أبي عامر إلى قرطبة ، وهو ينوي قتال غالب ، وقد كان غالب قائدا ماهرا ، وذو خبرة عسكرية كبيرة ، ويملك قوات وعتاد كبيرين، ثم حدثت عدة معارك بين الطرفين كانت الغلبة فيها لغالب ، واستعان غالب براميرو الثالث أمير ليون للإجهاز على ابن أبي عامر ، وجرت معركة حاسمة بين الطرفين على مقربة من أنتيسه في شنت ياجب (القديس يعقوب) ، وانتصرت قوات غالب في البداية لكن سقوط غالب عن جواده ووفاته ، كان هذا سببا حاسما لانتصار ابن أبي عامر(٢) .

د- التخلص من جعفر بن علي بن حمدون (الأندلسي) في عام ٣٧١ هـ/٩٨٢م تسمى محمد بن أبي عامر بلقب الحاجب "المنصور" ونقش اسمه على السكة ، وقام الوزراء ورجال الدولة بتقبيل يده ، وأحاط نفسه بهالة ملكية ، واستأثر بجميع السلطات ولم يبق من الخلافة إلا اسمها ، ودُعي له به على المنابر ولم يسكت الناس عن استبداد المنصور (٣) .

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٣٧.

(٢) العنزي: نصوص عن الأندلس ، ص ٧٧ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٣٨.

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٧٩ + المقري : نفح الطيب، مج ١، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ + زكار : التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٣١٠.

فيورد ابن عذاري بعض أشعارهم المنتقدة لذلك فتداول الناس ما قيل أنه لهشام المؤيد :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه

وتملك باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه

وقيل

اقترب الوعد وحان الهلاك وكل ما تكرهه قد أتاك (١)

ربما وصل ذلك إلى مسامع المنصور ، وهذا ما جعله يسرف في التخلص من أي مصدر خطر قد يهدد سلطانه ، وهذا أيضا ربما جعله يحجم عن أسقاط الخلافة كليا

أستجلب ابن أبي عامر جعفر بن علي بن حمدون من المغرب للأسباب سالفة الذكر ، فقام بتعيينه وزيرا وكان ثقة ومقربا منه ، وعندما أتى من المغرب أستجلب معه البربر (الأمازيغ) الذين أصبحوا عماد جيش المنصور ، وقد بالغ المنصور بإكرامهم ومنحهم القصور والأموال التي لم يكونوا يحلمون أنهم سينالونها يوما ، ويورد ابن عذاري عملية التخلص المنصور من جعفر عندما أمر احد خدمه بسقيه كأسا من الشراب فيه السم ، ثم أرسل اليه من أحترز رأسه ، وجلبه إليه فأظهر الحزن لمقتله وكان ذلك سنة ٣٧٢هـ/٩٨٤م (٢) واسباب قتله هي ، أولا لم يرد المنصور شخصا قويا ينازعه السلطان ، ثانيا إن الغرض من استجلبه قد أنتهى ، ثالثا إن البربر (الأمازيغ) أصبحوا عماد جيشه وقوته ، وجعفر يبقى زعيمهم ، ويبقى ولائهم له فأراد ربط ولائهم الكامل به ، وتخليصهم من أي ولاء آخر ، وبذلك يستطيع المنصور محاربة أي ثورة بجيش موال له غير قابل للانشقاقات والانقسامات .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٨٠ .

(٢) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٢٧٩-٢٨٠-٢٨١،

هـ - **تحديد صبح البشكنجية** لم يبق أمام ابن أبي عامر سوى الخليفة هشام وهو الخليفة الشرعي ، فأشاع بين الناس أن الخليفة فوضه إدارة البلاد لتفرغه للعبادة، ثم أحاط قصر الخليفة بسور وخذق، ووضع عليه الحراس ومنع الخليفة من الظهور. (١)

أدركت صبح التهديد المحدق بعرش ابنها، غير أنه بعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من كل السلطات، لم يعد في قدرة صبح مواجهته مباشرة، فأشاعت بين العامة أن المنصور يسجن الخليفة ويحكم رغماً عنه ويغتصب سلطته ، ثم راسلت زيري بن عطية حاكم المغرب لنصرة ولدها، وأرسلت أموالاً إليه ليجهز جيشه ويعبر إلى الأندلس ، علم المنصور بذلك المخطط، فلجأ أولاً إلى رفع يدها عن أموال خزائن قصر الخليفة التي كانت تقوم بتهريبها بواسطة فتيانها، فأرسل ابن أبي عامر ابنه عبد الملك بقوة وجمع من العلماء والوزراء إلى قصر الخلافة بقرطبة، وخاطب الخليفة هشام في أمر الأموال التي تهريبها والدته، وطلب أن تنقل كل الأموال من قصر الزهراء إلى قصر الزاهرة، فلم يمتنع. وبعد أن جفت الأموال من بين يدي صبح، بُسِت من قدرتها على استرجاع سلطة ابنها، فاعتزلت الحياة حتى وفاتها حوالي عام ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م. (٢)

و- **القضاء على محاولة الانقلاب في الثغر الأعلى** تعد سرقسطة مركز الثغر الأعلى ، ونتيجة لقربها من الممالك المسيحية ، وبعدها عن المركز قرطبة ، كانت مصدر ثورة وتمرد دائم ضد الخلفاء الأمويين فقد تعاون عبد الرحمن بن المطرف التجيبي صاحب سرقسطة مع عبد الله بن الحاجب المنصور (٣) .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٢) ابن بسام : النخبة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٧١ + عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٥٥-٥٥٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

الذي كان ناقما على أبيه، لأنه يفضل اخاه عبد الملك عليه، فاتفق مع التجيبي على الانقلاب على المنصور، على أن يُقسّم الملك بينهما فتكون الثغور لعبد الرحمن، والبقية لعبد الله، وانضم اليهم عدد من قيادات الجند، إلا أن المنصور علم بما يدبرانه، فدبر مكيده لعبد الرحمن قتل على إثرها في ٣٧٩هـ/٩٩٠م (١) فخلال غزوته لقشتالة توافدت اليه الإمدادات، ومن بينهم حاكم سرقسطة عبد الرحمن واستغل المنصور شكاوي موجهة ضده، فعزله المنصور، وعين مكانه ابن اخيه عبد الرحمن بن يحيى وكانت الغاية من تعيين شخص قريب له هي الحفاظ على ولاء التجيبيين، ثم سار في قواته، وحاصر شنت اشنتين وبينما هو محاصرها استطاع ابنه أن يفر من محبسه، ولجأ إلى غارسيا فرنانديث كونت قشتالة، فغزاه المنصور وطالبه بابنه فرفض غارسيا، فهزمه واجتاح المنصور ألبه، واستولى على وخشمة، فاضطر غارسيا لمفاوضة المنصور وقبول شرطه بتسليم ابنه عبد الله، ثم دس المنصور على ابنه من قتله وذلك ٣٨٠هـ/٩٩٠م، ثم بعث المنصور برأس ابنه وكتاب الفتح إلى الخليفة، فازدادت رهبة الناس منه بقتله ابنه (٢).

٢- سياسة المنصور الداخلية

في عام ٣٨١هـ/٩٩١م قدّم المنصور ابنه عبد الملك للولاية، ونزل له عن لقب الحجابة، كما استوزر ابنه عبد الرحمن. اتجه المنصور كذلك، للاستكثار من جند البربر في جيشه، ولا سيما من زناتة الذين عبروا إلى الأندلس (٣)، وأورد ابن حزم في نقط العروس ان ابن أبي عامر قد جمع العلماء والوجهاء طالبا الخلافة لنفسه ومنهم ابن عياش، وأبو عمر المكوي، والأصيلي، وأبي، وقد وافقه ابن عياش وابن فطيس، وأما أبي فقال له: "أني أخاف من هذا تحريك ساكن والأمور كلها بيدك ومثلك لا ينافس في هذا" (٤).

(١) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٢٨٣+عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص ٥٥٠ .

(٢) ابن عذاري : البيان، ج٢، ص ٢٨٤ + عنان : دواة الإسلام، ج٢، ص ٥٥١ .

(٣) عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص ٥٥١ .

(٤) ابن حزم : نقط العروس، ص ٨٥ .

وعندما ناقش الفقهاء "إن الحكم في قریش" قال الأصيلي: "عربي ضابط خير من قرشي مضيع"، وقال ابن المكوي يا مولاي ومثلك يفكر في هذا، وانت الكل وكل شيء بيدك، أما يرغب في الأسماء من لا يحقق" (١) هذه الرواية التي أوردها ابن حزم في نقط العروس لها دلالات كبيرة، وأوضحت غاية المنصور في الخلافة، وخوفه الشديد من ردة فعل العامة، وربما هذا ما أجل سقوط دولته القوية إلى عهد أبنه شنجول الذي استهتر بالأمويين وأخذ ولاية العهد لنفسه.

لقد تميزت سياسة المنصور الداخلية بالحدز الدائم من الثورات وأعمال التمرد، فأتخذ له عيونا في مدينة قرطبة لمراقبة الأمويين وتحركاتهم، وجعل أيضا من يراقب الخليفة وتصرفاته، فعندما سئل عن قلة نومه قال لو كنت مثل مسافة كذا عن القصر، لأحرمت النوم يقصد قصر الخليفة فكيف وبيننا من أصبحه وامسأه، ولشدة خوفه من الأمويين امرهم التزام منازلهم، وكان يصحبهم معه في الغزوات، وكان من أعماله زيادة المسجد الجامع في قرطبة، وبناء القناطر على نهري قرطبة وأستجة، وبناء مدينة الزاهرة ذات القصور الفخمة والمنتزهات (٢).

وقد تغنى به المؤرخون "كان آية من آيات الله فطرة ودهاء ومكر وسياسة، عدا بنفسه على جعفر ثم أنحنى بالمصحفي على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه حتى أهلك، ثم أنفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز؟" (٣)

(١) ابن حزم: نقط العروس، ص ٨٥.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٧٢.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٧٢+ ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

أ - **الاعتماد على البربر (الأمازيغ)** استعان المنصور بن أبي عامر بالبربر (الأمازيغ) في تثبيت سلطانه ، مستغلا أوضاعهم المعيشية، وظروف حياتهم الصعبة في المغرب ، يقول الفتح بن خاقان: " وأذل قبائل الأندلس بإجازة البربر ... واستكثر من أعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور .. ووثبوا الوثوب المشهور الذي أعاد أكثر الأندلس قفرا يبابا وملأها وحشا وذئابا " . (١)

كذلك يقول ابن خلدون : " فاستدعى أهل العدو ، من رجال زناته والبرابرة ، فرتب منهم الجند ، واصطنع أوليائه من صنهاجة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم " . (٢)

وقد وجد البربر في العبور إلى الأندلس فرصة سانحة ، للتخلص من الحياة البائسة في المغرب ، قياسا بحياة الرخاء والسلطة التي يعيشونها في الأندلس ، يقول ابن عذاري : " قيل لابن أبي عامر : قد أمكنك الله من اصطناع فرسان زناته والمنة عليهم ، فأرسل اليهم يأتوك سراعا " ، ففعل ذلك وأعتمد على البربر في إنشاء بيئة اجتماعية قوية تحيط به ، وتحمية من الأمويين والأسر الأخرى ، سواء من العرب أو الصقالبة او من سواهم ، وقد بقي البربر (الأمازيغ) في الأندلس حتى السقوط ، وشغلوا دورا كبيرا في الحياة السياسية واصبحت لهم عصبية وقبائل في الأندلس . (٣)

ب- **الجيش** تحتم طبيعة عصر الدولة العامرية وخصوصا عهد المنصور بن أبي عامر الذي أتبع

سياسة عسكرية بعيدة عن الدبلوماسية دراسة القوة العسكرية التي اعتمد عليها في غزواته .

(١) الفتح بن خاقان : المطمح ، ص ٣٨٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب المصري + دار الكتاب اللبناني ، القاهرة + بيروت ، ١٩٩٩ م ، مج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

لقد كان الجيش العامري كثير العدد ، والعدة وله نفقات وميزانية كبيرة (١) ، كذلك تعددت فئات الجيش من مماليك وعرب وصقالية وبربر (أمازيغ) ، وقد تمكن المنصور من الحد من صعود الصقالية ، وابعادهم عن مراكز السلطة مقابل ، ارتفاع شأن البربر (الأمازيغ) يقول ابن بسام : " فكانت تلك الطائفة أول من ظهر انتقام الله تعالى بابن أبي عامر منها ، فكانوا جبارين - يقصد الصقالية - قاسطين في بلاد متمردين على عباده " (٢) .

وقد كان الجيش العامري ينقسم قسمين ، جيش الحضرة لحماية قرطبة ، وجيش الثغر لحماية الحدود الشمالية ، (٣) ومن أجل أن يحكم ابن أبي عامر من سيطرته على الجيش ، بنى مدينة الزاهرة، ونقل إليها قواته والعتاد والأموال ومخازن السلاح (٤) ، كذلك بعد تخلصه من غالب قائد الجيش أصبح الجيش يخضع له بشكل كامل،؟ فحكم الجيش بالشدة والحزم تارة ، واجزال العطاء تارة أخرى (٥) .

لقد كان هذا الجيش يتكون من الفرسان والرجالة والشرطة العسكرية وفرق الهندسة والطلالين ووحدات التموين والاستكشاف والاستخبارات والجواسيس والرماة والبنائين والنقابين ، الذين يستخدمون خلال حصار الحصون والقلاع ، (٦) ، أما بالنسبة لأسلحة الجيش العامري ، فكانت السهام والنبال والسيوف والرماح والحرب ، إضافة إلى الدروع والقلانس والخيول.... الخ (٧) .

(١) ابن حزم ، ابن سعيد ، الشقندي : فضائل الأندلس ، ص ٥٤-٥٥ + ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦٢-٦٤ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦١ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٣٩٦ .

(٦) ابن حيان ، أبي مروان بن حيان : المقتبس في أخبار أهل الأندلس ، ت.ح : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ص ٢٧-٥٧-٩٦-٢١٢-٢١٣-٢٣٠ + ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢ + المقرئ : نفح الطيب ، ص ٣٨٨ .

(٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٨٠ + ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٥ .

أما عدد الجيش ، فطبيعة نظام الأجناد ، جعلت لكل كورة قوة عسكرية خاصة بها ، تقدم عدد منهم للإدارة المركزية ، أو عوضا عن الجنود الأموال ، ويذكر ابن سام أن جيش ابن أبي عامر في غزوته الأخيرة كان عشرين ألف "مرتزق" (١) وقد عرفت الأندلس منذ بداية العصر الأموي نظم الأجناد، فكان في كل كورة أجنادها ، فجند دمشق في البيرة ، وجند حمص في اشبيلية ، وجند قنسرين في جيان ، وجند فلسطين في شذونه . (٢)

ج- الأسطول : أهتم الأمويون بالأسطول لحماية سواحل الأندلس، فالأندلس كشبه جزيرة تحيط بها البحار من كل الجوانب ، وفي عهد المنصور ابن أبي عامر ، كان مركز أعمال هذا الاسطول في قصر أبي دانس غرب الأندلس ، وكان له دور بارز في الغزوات ، مثل غزوة شانت ياوجب ، عندما خرج عدد كبير من السفن باتجاه نهر الدويرة ، ودخلت النهر عكس المجرى ، ثم كونت جسرا بریا مكن الجيش البري العبور إلى الضفة الاخرى للنهر (٣) ، وقد تكون الاسطول من سفن محلية الصنع ، وبعضها صمم كسفن النورمان ، وكانت قيادة جيش الاسطول تخضع للخليفة مباشرة (٤)

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ١ ، ص ٧٤ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ت .ج: الحجى ، ص ٥٧ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ + المقرئ : نفح الطيب ، ص ٣٦١ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب المصري +دار الكتاب اللبناني، القاهرة + بيروت ، ١٩٩٩م .، مج ٧ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

٣- سياسة المنصور الخارجية

أ - المغرب لقد كانت سياسة المنصور مع المغرب استمرارا لسياسة من سبقه ، حيث كان يولي المغرب أهمية كبيرة بسبب موقعه الجغرافي ، وهو منطقة صراع بينهم وبين الفاطمي ، إضافة إلى كون المغرب يعد المورد البشري والعسكري إلى الأندلس ، وكان المنافس الأقوى على المغرب هم الفاطميون ، لذلك تحالف الأندلسيون مع بني خزر وغيرهم من امراء زناته ، منذ عهد الخليفة الناصر مرورا بالمستنصر وصولا إلى عهد المنصور ابن أبي عامر (١) .

أما في عهد المنصور ابن أبي عامر فقد خضعت مناطق جديدة في المغرب لم تخضع سابقا للخلافة الأندلسية ، فأخضعها المنصور لسلطانه ، يقول صاحب كتاب مفاخر البربر : "اقتصر محمد بن أبي عامر فور قيامه على ضبط مدينة سبتة ، وما والالها ، وقلدها كبار رجاله من اصحاب السيوف الأقاليم...وعول على ملوك زناته وقعدهم بالجوائز والخلع"(٢)

ففي بداية عهد المنصور زحف خزرون بن ففول وهو من مغرواه (٣) وسيطر على سجلماسة. ٩٧٧هـ/٣٦٧م وقد قام خزرون بمبايعة الخليفة هشام المؤيد ، وهذه أول مرة تباع هذه المنطقة الخلافة في بلاد الأندلس، فعينه المنصور واليا عليها حتى وفاته ثم عين ابنه وانودين (٤)

وقد اتخذ المنصور ابن أبي عامر من الجزيرة الخضراء قاعدة لانطلاق العمليات العسكرية إلى المغرب ، وقد عمد إلى بناء القصور والمنازل على طول الطريق إليها ، وهي نفسها سياسته نحو الممالك المسيحية في الشمال (٥)

(١) الإيلاني، أبي علي صالح بن عبد الحكيم: مفاخر البربر ، ص ١٠٥. عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، ص ٤٩٣ .

(٢) الإيلاني : مفاخر البربر، ص ١٠٥ .

(٣) الإيلاني : مفاخر البربر ، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٤) الإيلاني : مفاخر البربر، ص ١٠٦ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٢، ص ٢٨٢ + بيبزون ، ابراهيم : الدولة العربية في اسبانيا ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

- حروب ابن أبي عامر مع بلكين بن زيري : بعد زوال خطر القرامطة عن مصر عاد الفاطميون في سنة ٣٦٨ هـ/٩٧٨م إلى الاهتمام بشؤون المغرب ، وأرادوا استعادة سلطان الدعوة الفاطمية في المغرب ، فطلبوا من نائبهم في تونس بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يسير إلى المغرب ، فسيطر بلكين على مدينة فاس ٣٦٩ هـ/٩٧٩م ، وهزم أمراء زناته الذين فروا إلى سبتة ، واستمر بلكين في زحفه ، حتى سيطر على معظم المغرب باستثناء القطاع الشمالي (١) وخوفا من وصول المد الفاطمي قام المنصور بإعداد جيش كبير ، وادم جعفر بن علي بن حمدون الملقب الأندلسي (٢) وهو من أمراء زناته بالسلح والعتاد ، لمحاربة بلكين بن زيري ، وتمركز جيشه في سبتة (٣) وانضم إلى هذا الجيش عدد كبير من أمراء زناته وعندما وصل و بلكين بن زيري إلى مشارف سبتة ، صعد على جبل النور المطل على سبتة (٤)، وفي رواية ابن خلدون جبل تطوان (٥)، فهاب قوة الجيش الزناتي والأندلسي، وقال: "هذه أفعى فقر الينا فاهها" (٦) ،فانسحب بلكين خوفا من ملاقاتة جيش المنصور ، ولقطة عدد جنده وعتاده أو ربما كان ذلك الهجوم مجرد جس نبض من قبل الفاطميين لمعرفة رد الفعل لدى المنصور العامري .

(١) الإيلاني : مفاخر البربر ، ص ١٠٦ + عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، ص ٥٤٥ .

(٢) عن جعفر ابن حمدون انظر المقرئزي، نقي الدين : المقفى الكبير، ت.ح: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢٨-٣٢٩ .

(٣) مدينة سبتة : شمال المغرب تقع على هضبة البحر الرومى (البحر المتوسط) ، وهو بحر الزقاق من البحر المتوسط ، ويحيطها سور من الصخور ويشرف عليها جبل منين القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٥٧-١٥٨ .

(٤) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص ١٠٦ .

(٥) ابن خلدون : العبر ج ١٣ ، ص ٦٠ + الناصري : الأستقصاء ، ج١ ، ص ٢٠٧ .

(٦) الإيلاني : مفاخر البربر، ص ١٠٦-١٠٧ .

- **حروب المنصور مع الحسن بن كنون** : في سن ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م بعث العزيز الفاطمي الحسن بن كنون زعيم الأدارسة إلى المغرب ، وأمر العزيز بلكين بن زيري بمساعدته فأمدّه بالجند وأنضم إلى الحس ابن كنون عدد كبير من البربر (الأمازيغ) ولا سيما بني يفرن (١) .

ولكن حملة الحسن بن كنون سرعان ما تعرضت لضربة قاسية بموت بلكين بن زيري سند هذه الحملة ، والمعاون الأول لها ، ومصدر الأمداد ، والخبير بالمعارك مع الأندلسيين والزناطين . فبعد وفاة بلكين تولى ابنه المنصور ، فانقطعت الإمدادات عن الحسن بن كنون ، أو قلت فأنفض الكثير من الناس عنه (٢) هنا جهز المنصور جيشا كبيرا لملاقاته ، فأرسل ابن عمه عمرو بن عبد الله بن عسكلاجه سنة ٣٧٥هـ/٩٨٦م (٣) .

فحوصر الحسن بن كنون ، وطلب الحسن بن كنون الامان وأعطى له ، وأخذ إلى الأندلس أسيرا لكن المنصور أراد التخلص منه ، فأرسل إليه من يقتله من ثقاته ، ويورد صاحب كتاب مفاخر البربر أنه "هبت على من قتل الحسن بن كنون ريح قويه ، وأظلمت عليهم السماء ، وأن مكان قتل الحسن معلوم وهذه القصة متداولة ومعروفة " وكان مقتله سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٦م، وهذا ما يؤكد ولاء أو محبة صاحب هذا الكتاب للحسن بن كنون ، وبذات الوقت عدم ولائه للفاطميين فيسمي دعوتهم بالعبيدية وليس الفاطمية (٤) .

(١) الإيلاني: مفاخر البربر، ص ١٠٨ - ١٠٩ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٥٤٥ .

(٢) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص ١٠٨ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٥٤٥ + بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج١٣ ، ص ٦٠ + الفاسي، الحسن علي بن عبد الله : الانبيس المطرب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس ، ت.ح:كارل يونادر ، دار الطباعة المدرسية ، أويسيل ، ١٨٣٣م ، ، ص ٦٤ + الناصري : الاستقصاء ، ج١، ص ٢٥٩ + الإيلاني: مفاخر البربر : ص ١٠٩

(٤) الإيلاني: مفاخر البربر، ص ١١٠ + الناصري : الاستقصاء ، ج١ ص ٢٦٠ .

وبذلك انتهى نفوذ الأدارسة في المغرب ، وقد أثار مقتل الحسن بن كنون استياء وغضباً وحزناً لدى الأدارسة ، يقول الشاعر ابراهيم ابن إدريس الحسني :

هون عليك فنصر الله يعقبه * يا رب كرة إلى المحبوب ينصرف

يا غرة السعد الميمون طائره * لا تكثرث فإليك النصر ينعطف(١)

- **حروب المنصور مع زيري بن عطية** : زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري(٢) في سنة ٣٧٦ هـ سلم المنصور ولاية المغرب إلى حسن بن أحمد بن عبد الدود السلمي ، فانتظمت أمور المغرب ، واستقرت في عهده وأوصاه المنصور بمغراوة ، لأنها كانت شديدة الولاء للأمويين ، فكان زعيم مغراوة زيري بن عطية عوناً وحليفاً له ولا سيما في قتال قبيلة بني يفرن الموالية للفاطميين ، وفي إحدى المعارك توفي حسن بن أحمد نتيجة جراح أصيب بها سنة ٣٨١هـ/٩٩١م(٣) فعين المنصور زيري بن عطية وزيراً على المغرب خلال زيارة زيري إلى الأندلس وكان زيري يطمح أن يمنحه المنصور ، خلال هذه الزيارة إمارة المغرب وأن يعامله كند وليس كتابع ، ولكن المنصور أعطاه لقب الوزارة فقط فأضمر ذلك في نفسه غاضباً من ذلك (٤)، و خلال زيارة زيري إلى قرطبة ، استغلت بني يفرن غيابه وسيطرت على فاس ، فلما عاد زيري ، وعلم بذلك قرر مواجهتها والرد عليها، فخاض حملة ضدها انتهت بمقتل زعيم بني يفرن يدو بن علي سنة ٣٨٣ هـ/٩٩٣ م ، وبعث زيري رأسه إلى المنصور (٥) ربما أراد زيري من خلال هذا الأمر أن يبعث برسالة تطمين بولائه له .

(١)الإيلاني : مفاخر البربر ، ص ١١٠ .

(٢) الفاسي : الأنيس المطرب ، ص ٦٣ .

(٣) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص ١١٠ - ١١٥ + عثان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٤٥٦ + ابن خلدون : ج ٧ ، ص ٨ ٣٠ + الناصري : الاستقصاء ، ص ٨٨-٩٢ .

(٤) الفاسي: الأنيس المطرب ، ص ٦٤ .

(٥) الفاسي : الأنيس المطرب ، ص ٦٥ .

بعد القضاء على بني يفرن استقر الأمر لزيري ، وبدأ بتثبيت وتوطيد أركان حكمه مع ولائه للأمويين ، وفي حقيقة الأمر كانت أحلامه تتجاوز هذا الولاء ، فقد قرر بناء عاصمة جديدة له بدل مدينة فاس القريبة من أعدائه ، فقد كانت عرضة للهجمات الدائمة ، فوجد في مدينة وجده ضالته (١) .

فاتخذها عاصمة ، ومدينة وجده تقع جنوب غرب تلمسان جنوب شرق مليلة ، وبنى فيها قصرا وأحاطها بأسوار ضخمة ، ونقل إليها أمواله وذخائره ، وأتخذها مركزا للحكم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، لموقعها الجغرافي في المغربين الأوسط والأقصى (٢) .

في سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٦ م دبت الوحشة بين المنصور وزير لما علمه المنصور ، وأحس به من مشاريع انقلابية يسعى لها زييري ، فأخرج ابن أبي عامر كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي في جيش كبير لينظر في شأن زييري المغراوي ، وفي محاولة لرأب الصدع لكن زييري استعصى عليه ، ولم يتمكن عيسى الكاتب من حل الخلافات (٣) ، بعد ذلك أظهر زييري عصيانه للمنصور ، مع حفاظه على الولاء أو البيعة للخليفة هشام المؤيد ، فتنبرا منه المنصور ، وأعلن أن وزارته غير شرعية ، واستقدم واضح القلبى الفتى الكبير من مدينة سالم في الشمال الأندلسي ، لمواجهة عصيان زييري ، وزود واضح بالجيش والأموال (٤) ، فاستقر واضح وجيشه في طنجة ، وحدث بينه وبين زييري معارك لم تكن حاسمه (٥) في جبل حبيب (٦) .

(١) الناصري: الاستقصاء، ج١، ص٢٦٩+عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٥٤٧.

(٢) الناصري: الاستقصاء، ج١، ص٢٦٩+عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٥٤٧.

(٣) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص١١٧ .

(٤) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص١١٧ .

(٥) الإيلاني: مفاخر البربر ، ص١١٨ .

(٦) جبل حبيب : هو المكان الذي دارت فيه المعارك بين واضح الفتى وزيري ، ويقع جنوب طنجة ابن خلدون العبر ج١٣ ص ٦٧ الفاسي : الانيس المطرب ، ص ١٠٥ + الناصري : الاستقصاء ج ١ ، ص ٢١٤ + ابن عذاري : البيان ، ج٢، ص ٢٨٧ .

وقد أعلن زيري ولائه للخليفة هشام ، وكان شعار جيشه "هشام يا منصور " ، وقد كان تمرد زيري هذا هدفه القريب السيطرة على المغرب والاستقرار به ، أما هدفه البعيد التوجه إلى الأندلس تحت شعار رفع الاستبداد العامري عن الخليفة هشام ، وكان ذلك بدعم من صبح البشكنجية والدة هشام (١)

التي كما ذكر سابقا بدأت تشعر أن المنصور سلب ابنها ماله وسلطانه ، وأن المنصور أستغل حبها له في تحقيق أهدافه الشخصية ، لذلك لم تتورع بما تملكه من مال أو سلطان للتخلص من هيمنة المنصور ، فأمدت زيري بالأموال لتغطية هذه المهمة ، وأرسلت الرسل إليه تستعجله دخول بلاد الأندلس، لكن المنصور أحبط مخططها ، وصادر أموال الخلافة إلى قصر الزاهرة (٢)

جيش واضح بقي في طنجة ، وأرسل واضح إلى المنصور يخبره بضرورة الأمداد ، وقوة جيش زيري وبأسه وضراوة المعارك ، فأعلن المنصور من مسجد الزاهرة الجهاد ضد زيري، فقاد جيش إلى الجزيرة الخضراء ، ومن هناك أرسل ابنه عبد الملك وكبار القادة ومعهم جيش كبير إلى طنجة ليلتقوا بجيش واضح والتقى الجيشين مع جيش زيري ، حيث قام أحد الفتية بطعنه فانقض الجيش العامري على جيش زيري ، وفر زيري على الرغم من جراحه إلى مضيق الحيه قرب مكناسة ، بعد ذلك دخل عبد الملك مدينة فاس ، وأرسل إلى المنصور يبشره بالنصر ، وكان ذلك سنة ٣٨٨ هـ/٩٩٨ م (٣)

(١) ابن عذاري : البيان ص ٢٨١ - ٢٨٤.

(٢) ابن عذاري : البيان ص ٢٨١ - ٢٨٤.

(٣) الناصري : الاستقصاء ، ج ١، ص ٢١٤ - ٢١٥ + الفاسي: الانيس المطرب ، ص ٩٦ + الإيلاني: مفاخر البربر ، ص ١٢٠ .

ب- مع الممالك المسيحية في الشمال

تميز عهد المنصور بن أبي عامر بضعف العلاقات الدبلوماسية مع الممالك المسيحية في الشمال الأندلسي ، حيث كانت المعارك والحروب والغزوات ، هي الصفة السائدة على طبيعة هذه العلاقات بين الخلافة الأندلسية والممالك المسيحية في الشمال ، وكل ما يذكر عن هذه العلاقات الدبلوماسية ، هو قدوم برمودو الثاني ملك ليون إلى قرطبة سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م مستجدا بالمنصور ، ليساعده على مقاومة الخارجين على سلطانه ، فساعده المنصور ، وقدم برمودو ابنته تيريسا Teresa إلى المنصور عروسا ، فقبلها وتزوجها(١)

أما الحدث الثاني ، فكان قدوم سانشو غرسيه ملك نافار إلى المنصور ، وكما اعطى سانشو ابنته للمنصور اعطى سانشو ابنته له ، واعتنقت الاسلام واسمها عبده ، وقد انجبت ولدا للمنصور واسمه عبد الرحمن ولقبه شنجلول ، سمته أمه بهذا الاسم لكثرة شبهه بجده شانجه ملك نافار(٢)، ولا تبدو علاقات المصاهرة هذه من قبل الممالك المسيحية سوى محاولات ذكية من قبل الممالك المسيحية لضمان طريق دبلوماسي دائم ، ووقت الحاجة مع المنصور العامري في حال أي خلاف مع مملكة مسيحية أخرى ، ولإنشاء طريق دبلوماسي يطلبون بواسطته الهدنة وقت الحاجة ، أو حتى محاولة اختراق للبلاط العامري

وقد علق الدكتور سهيل زكار على علاقات المصاهرة بين أسرة آل القسي ومملكة نافار (بنبلونه) "لقد راق لبعضهم أن يفسر هذه العلاقات على أساس النظام الإقطاعي الذي كان سائدا آنذاك في أوربا الكارولنجية ، وفي ظل هذا النظام كانت هناك علاقة مصلحة بين سيد وتابع....."(٣)

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، ص ٥٨٣ .

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، عنان ٥٨٣ .

(٣) زكار : الموسوعة الشاملة، ج٢، ص ٥٨٠.

والمصلحة هي التي ربطت السيد بالتابع وعلى هذا أثر الدين ومكانته في درجة أدنى من مصالح الطرفين ومنافعهما المتبادلة" (١)

بعد ذلك ساءت العلاقات بين المنصور ومملكة نافار ، فغزاها المنصور ، فأتى ملكها سانشو طالبا العفو والصلح ، وكان ذلك سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م ، ويتحدث ابن الخطيب بإسهاب عن عملية الاستقبال التي استقبل بها المنصور سانشو بن غرسية ، وعن الأبهة والعظمة التي كانت موجودة في القصر وخارجه ، الذي استقبل فيه سانشو (٢).

وكانت غاية المنصور من ذلك هي زرع الخوف والرغبة في قلب سانشو ، حيث اظهر المنصور قوة جيشه وتنظيمه ، بما يشبه العرض العسكري ، يقول ابن الخطيب : " حتى بهت الذي كفر ، ورأى من وفور المسلمين ونباهة أسلحتهم ، وكثرة عددهم ، مالم يكن ظانا أن الدنيا تجمعهم ، ولا الأيام تحشده ، ولا الخزائن تكنزه" (٣)

أما باقي علاقات المنصور مع الممالك المسيحية ، فكانت حروب ومعارك ، فكانت له قرابة الخمسين غزوه يقول ابن خلدون "فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام حكمه ، لم يكسر له فيها راية ، ولا حل له جيش ، ولا أصيب " (٤) ويرى المؤرخ عنان أن غزوات المنصور هذه أراد منها غاية سياسية بعيدة المدى لم يفكر بها أحد قبله من الأمراء ، وهي القضاء التام على الممالك المسيحية

(١) زكار : الموسوعة الشاملة، ج٢، ص٥٨٠.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٧٠ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٧٠ .

(٤) ابن خلدون : مج ٤ ، ص ٣٢٠ + ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ت.ح: محمد عبد الله عنان ، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤م، مج٢، ص١٠٤.

لكن في حقيقة الامر ، لم يتمكن المنصور من ذلك ، ولو أراد ذلك او فكر به حقا لما انسحب بجيشه من سانت يعقوب وغيرها ، كما سيتضح لاحقا ، ولقضى على كل مملكة من هذه الممالك على انفراد ، ثم أن هذه الممالك لم تكن سهلة المنال ، وكان فيها جغرافية صعبة ، وكان مقاتليها يتميزون كما تذكر المصادر بالقوة والشجاعة ، فسياسة المنصور كانت تعتمد على كسب الغنائم ومنحها للجيش والجنود والقادة ، وكسب ولائهم ، ولفت الأنظار لدى العامة عن التفكير بما يقوم به من الاستبداد بالسلطة على حساب الخليفة الشرعي ، ثم مواجهة اي خطر للمالك المسيحية على مبدأ خير وسيله للدفاع هي الهجوم ، وليقينه التام أن الأندلس بإمكاناتها وقوتها هي غير قادرة على مواجهة أوروبا الغربية.

وهذا ما فكر به الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ، عندما فكر بإخلاء الأندلس ، لكن جغرافية الأندلس كشبه جزيره ، والتشردم الاوربي نتيجة الاقطاع حمت الأندلس من السقوط ، على الرغم من ذلك إن افتراض قضاء المنصور على الممالك المسيحية ، سيجعله في مواجهة مباشرة مع شعوب أخرى، وفي وسط أوروبا الغربية ، فهل المنصور كان قادر على هذا الدخول ؟ ثم إن ما تذكره المصادر جميعها هي رغبة المنصور بالخلافة الإسلامية على المغرب فمصر فالشام فالحرمين يقول المنصور بن أبي عامر في شعره :

عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشأما (١)

إن التفاوت بين المؤرخين في عدد الغزوات التي خاضها المنصور، مرده إلى وجود غزوات رئيسية تتفرع عنها غزوات اصغر على عدد من الجبهات ، فأحدى الغزوات كانت على بنبلونه وبرشلونه وهي غزوة واحدة عملت على جبهات مختلفة (٢)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) العنزي : نصوص عن الأندلس، ص ٧٨ .

- أبرز الغزوات بعد تخلص المنصور من صهره غالب سار إلى مملكة ليون لمعاقبة ملكها راميرو ، لوقوفه إلى جانب غالب ، وتدخله في شؤون الأندلس (١)

ثم أراد أن يبين للداخل أن جيشه لم ينشئ لتحقيق مصالحه الخاصة ، بل لحماية الأندلس من الأخطار الخارجية (٢) .

حاصر المنصور مدينة سموره شمال شلمنقه وسيطر عليها ، فاستعان ملك ليون بكونت قشتاله فرنانديز وسانشو ملك نافار وحدثت لهم معركة مع المنصور في شانت منكش ، وكان النصر حليف المنصور ، وسيطر المنصور على شنت مكش (٣)

تقدم ابن أبي عامر فوصل أبواب مدينة ليون لكن الشتاء أجبره على العودة ، بعد هذه المعركة اتخذ ابن أبي عامر سمة الملك ، وتلقب بالمنصور ، وأمر بالدعاء له على المنابر ونفذت جميع الأوامر باسمه ، واستبد بالسلطة ، وكانت هذه الإجراءات بعد هذه المعركة الكبيرة ، حيث أراد المنصور من هذا النصر أن يغطي على ما قام به من إجراءات ، يصعب عليه أقناع قادة الجيش والشعب بها فمن الطبيعي أن تكون لهذه المعركة غنائم ومكتسبات قد تساهم في كسب ولاء الجيش وقادته لصالح المنصور .

بعد هذا الانتصار حدثت مشاكل في ليون ، بسبب هزيمتهم أمام ابن أبي عامر ، حيث أراد عدد من النبلاء تعيين ابن عم راميرو وهو برميدو ، وسيطروا مع برميدو على ليون سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م ، بعدها أراد برميدو أن يوطد ويعزز سلطته فطلب من المنصور المساعدة مقابل دفع الجزية وبقيت حامية اسلامية في ليون (٤)

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٥٤١ .

(٢) دوزي ، رينيهوت : تاريخ المسلمين في الأندلس ، ت : حسين حبشي ، ج٢ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١١٦

(٣) دوزي : تاريخ المسلمين في الأندلس ، ج٢ ، ص ١١٦ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٥٥١

(٤) دوزي : تاريخ المسلمين في الأندلس ، ج٢ ، ص ١١٧ .

بعد أن أمن المنصور جبهة ليون لم يكن أمامه سوى جبهة كانتونيا حيث أن الخلفاء المتقدمين لم يكونوا يهاجموها ،خشية ان تفتح عليهم جبهة ليون ، لكن هذه المرة كانت ليون مأمونة الجانب ، فهاجم المنصور برشلونه سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٦م وسيطر عليها (١) وفي سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨م خرج المنصور بغزوة ضخمة نحو ليون وكان برمودو قد تحصن في سموره ظنا منه أن المنصور سيهاجمها أولا ، لكن المنصور سار مباشرة نحو ليون ، وسيطر عليها وحاصر برمودو في سموره ، ففر برمودو وتمكن المنصور بعد ذلك من فتح سموره (٢)

- **غزوة سانت ياقوب** يقول ابن عذاري عن مدينة شانت ياقوب : "أعظم مشاهد النصارى في بلاد الأندلس ، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة وكانت كنيسة عندهم بمنزلة الكعبة عندنا " وفيها قبر يعقوب ، وهو أحد حواربي السيد المسيح عليه السلام (٣) وفي سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧م توجه المنصور إلى جيلقية ، ولم يسبقه أحد في مهاجمتها لصعوبة الوصول إليها ، وصعوبة مداخلها وخشونة مكانها ، ووعورة ارضها ولوجود عائق طبيعي يعيق الوصول إليها هو نهر الدويرة ، ولكن المنصور تمكن بدهاء عسكريه من الوصول إليها ، وفي وقت قياسي فاجأ عدوه ، حيث حرك اسطولا كبيرا من قصر أبي دانس على الشاطئ الغربي للأندلس ، وعند وصول الجيش البري إلى نهر الدويرة ، دخلت السفن إلى نهر الدويرة عكس مجرى النهر ، ووصلت مقابل تمرکز الجيش البري، فتم ربط هذه السفن ببعضها ، وأنشأ منها جسرا لجيشه ، وعبر عن طريقها إلى ضفة النهر الأخرى ، وقد كان له في هذه المعركة فرق هندسية عسكرية قامت بتوسيع الطرق ، وتسهيل مرور الجيش في الشعاب (٤)

(١) العنزي: نصوص عن الأندلس ، ص ٨٠+ دوزي : تاريخ الأندلس ، ج٢ ، ص١٢١-١٢٢.

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص٥٤٨ +

.Ali khan : history of world civilization(Spain) ,p52

(٣) ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٢٩٤.

(٤) ابن عذاري: البيان ، ج٢ ، ص ٢٩٥.

خلال هذه الغزوة سيطر المنصور على عدد كبير من الحصون والقلاع بعدها هاجم المسلمون سانت يعقوب ، فسقطت دون قتال ، فقام المنصور بتحطيم مصانعها وأسوارها ، وأبقى على قبر يعقوب ، وأمر بعدم المساس به . (١)

بعد ذلك قام المنصور بالانسحاب من سانت ياقوب على الرغم من موقعها الجغرافي الحصين ، لأنه أدرك مدى قدسيته لدى النصارى وأنهم لن يتخلوا عنها ، فلم يرد سوى أضعافها ، ولم يرد الدخول في معركة استنزاف كبيرة مع البابوية وأوروبا الغربية، وانسحاب المنصور هذا يؤكد أن هجمات وغزوات المنصور رغم انجازاتها وضخامتها ، فإنه كان ينسحب بعد الحصول على السبي والغنائم ، وأضعاف الخصم ، مما يؤكد ان سياسته لم تكن تريد القضاء النهائي على الممالك المسيحية .

في سنة ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م تحالف امراء البشكنش وقشتاله وليون بقيادة غارسية كونت قشتاله ، فسار المنصور لقتالهم ، والتقى الجيشان في منطقة جرييره سنة ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م ، واستطاع المسلمون تحقيق النصر في هذه المعركة ، بعد قتال عنيف ، ولم يكتف المنصور بهذا النصر بل وصل برغش عاصمة قشتاله ، ووصل بنبلونه عاصمة نافار ولم يفتحها ، وعاد إلى قرطبة بعد غزوة استمرت ١٠٩ أيام .

(١) ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ٢٩٩-٣٠٠ - ٣٠١ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، ص ٥٦٢

٤ - وفاة المنصور

يروى المؤرخون أن أعز أمانى المنصور أن يموت ، وهو في الغزو ، وقد كان يحمل اكفانه معه فخلال غزوته إلى برغش اصابه اعياء فحمل على محفة إلى مدينة سالم ، واستجاب الله دعاء المنصور ، وتوفي في مدينة سالم سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢ م وكتب على قبره

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ، ولا يحمي الثغور سواه (١)

ويذكر ابن الخطيب أنه خلال بعثته ، لتأكيد الصلح مع قشتالة في السنين التي تلت وفاة المنصور ، أرسل إلى مدينة سالم من يتأكد من سلامة قبر المنصور ، حيث أصبحت هذه المدينة بيد الممالك المسيحية وأخبروه بسلامة القبر ، وأن الرسوم والنقوش على القبر قد محيت (٢).

رابعا : الاستبداد العامري ، عبد الملك المظفر

بعد وفاة المنصور أوصى بالأمر من بعده لابنه عبد الملك (٣) ، في حين بقي أخو عبد الملك عبد الرحمن أبي المطرف شنجول مع الجيش المرابط في مدينة سالم ، وعاد عبد الملك إلى قرطبة ، لاستلام منصبه ، فخرج هشام المؤيد من قصره للناس ، وأعلن أنه يعهد بالأمر لعبد الملك ، وأنه يريد الراحة والدعة ، وقلد عبد الملك ما كان لأبيه يقول ابن بسام : "وتمكنك الطاعة وأيس الأعداء من دولة بني عامر ، وعلموا أنها دولة" (٤)

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٣٠١ + عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٦٦-٥٦٧.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص ٧٦ .

(٣) المقرئ: نفح الطيب، ص ٤٢٣ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص ٨٠ + ابن الأثير : الكامل، ج ٧، ص ٥٣١ .

(٤) ابن بسام : النخبة، ق٤، مج ١، ص ٧٨ .

١ - سياسته الداخلية

لقد سار عبد الملك على نهج أبيه ، فكما بدء المنصور حكمه بالتقرب إلى العامة ، وإسقاط ضريبة الزيتون ايضا استهل عبد الملك حكمه بالطريقة نفسها ، فاسقط سدس الجباية عن الناس في جميع بلاد الأندلس ، فأحببه الناس وتحسنت احوال الناس في عهده، وسار على نهج والده ، مع الخليفة هشام ولكنه لم يحجر عليه ، بل ان الخليفة هشام احتجب من تلقاء نفسه يقول ابن حيان : "قانبسطت حاشية الخليفة على عبد الملك طول مدته ، وانهمك الخليفة هشام ، فلم يظهر يوما ولا شهد صلاة " وإنه إن ظهر كانت العامة تبعد عن طريقه فلا يرى أحد (١)

أخذ عبد الملك رسوم الخلافة على منوال أبيه ، فنقش اسمه على السكة ، وأمر بالدعاء له على المنابر مع الخليفة ، واتبع السياسة الجهادية نفسها مع الممالك المسيحية فكانت له سبع غزوات إلى بلطونه ، وغلبيه ، وغزوة الخريقة ، وغزوة قلونه ، وتوفي في آخر غزواته ، وتلقب بسيف الدولة الحاجب المظفر ، (٢) واعتمد على البربر (الأمازيغ ، فدعا قبائلهم إلى الدخول عليه ، والخدمة له، ومن أبرز الزعماء الذين هاجروا اليه زاوي بن زيري ابن مناد الصنهاجي ، وكان قائدا قويا رفيع الشأن فأعطاه عبد الملك لقب الوزارة ، وهي ارفع الخطط بالأندلس وارسل اليه صكا في ذلك ، فرد زيري "لو جئتنا بمال لأسهمناك وإنما خطتنا الإمارة لا الوزارة ، وأقلامنا الرماح وصحائفنا الأجساد".... (٣) إذن لطالما كانت المغرب مصدرا لتصدير الزعماء والمرتبقة إلى الأندلس ، وقد كان كل الطامعين بخلافة الأندلس ، يتخذون المغرب طريقا لهم أو منطلق لتمردهم .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٤، مج١، ص ٨٣ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٨٣.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق٤، مج١، ص ٨٢.

٢- سياسة عبد الملك (المظفر) الخارجية

بعد وفاة المنصور نقضت الممالك النصرانية عهدها معه وهاجمت الأندلس وكان من أبرز قادة هذه الممالك هم شانجه بن غرسية بن فردلند ملك قشتالة ، وأدفونش بن برمند ، وقومس غليسيه فكانت أول غزواته إلى برشلونه ، وبعد نجاح هذه الغزوة أدركت الممالك المسيحية قوته وأنه سائر على نهج أبيه يقول ابن حيان : "فهابته الفرنجة وأذعنت له السلم" (١) .

وطلب شانجه بن غرسية السلم، وقدم إلى قرطبة وشارك المظفر خلال غزوته مرشدا إياه إلى نقاط ضعف الممالك المسيحية، فوصل عبد الملك إلى ليون، ولكن لم يتمكن من فتحها، وربما ارتكب عبد الملك خطأ فادحا بالسماح لشانجه بمرافقة جيشه، فعلى الرغم من أنه كان يكشف نقاط ضعف الممالك المسيحية، إلا أنه بنفس الوقت كان يكتشف نقاط ضعف جيش عبد الملك، وربما لم تعدو هذه المحاولة سوى محاولة اختراق للجيش الأندلسي ، والدليل على ذلك أن شانجه نقض عهده مع المظفر، وخلال غزوة المظفر إلى شانجة مرض خلال هذه الغزوة، وتوفي أواخر سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م في قرطبة ولا تورد المصادر سبب الوفاة(٢).

خامسا :الاستبداد العامري ، عبد الرحمن شنجول

بعد وفاة عبد المظفر تهيأ اخوه عبد الرحمن الملقب شنجول اسم غلب عليه من قبل امه عبده بنت شانجه ، وكانت تلقبه شنجول لشبهه بجده لاستلام منصب الحجابة ، فكتب له الخليفة هشام في ذلك ولقبه ناصر الدولة ، وسماه المأمون فكان يخاطب بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة (٣) .

(١)ابن بسام : الذخيرة ،ق٤،مج١،ص ٨٤ - ٨٥.

(٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ج ٢٧ ، ص٣٧٥+ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ج٢،ص ٨٤+المقري : نفح الطيب، ص ٤٢٣ + ابن بسام:الذخيرة ، ص ٨٦.

(٣)الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٢٧، ص٣٧٣+ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ج٢،ص ٨٤- ٨٥ + ابن عذاري: البيان ،ج٣، ص ٣٨.

بدأ شنجول حكمه عكس أبيه وأخيه ، فقام بتصرفات أجمع المؤرخون على عدم صوابها، يقول ابن الخطيب: "وساء تصرفه وانتهى إلى ملل الناس، وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وسلك خلاف مسلك أبيه وأخيه (١) "يقول ابن عذاري: "حتى قلق الناس وأبغضوه في الله ، وابتهلوا الله تعالى في الدعاء عليه" (٢) ومن هذه الاعمال أنه لم يكتف بما قام به أبوه وأخوه من الاستبداد بالسلطة دون الخليفة الشرعي ، بل انه ارتقى في هذا الاستبداد ، وأراد ان يخلع من الخلافة حتى صفتها الأسمية رغم ما يملكه من صلاحيات كامله ، فطلب ولاية العهد من هشام المؤيد (٣).

لم يكتف شنجول بهذا بل وتمادى أكثر ، حيث أخذ الحجابة لابنه عبد العزيز ولقبه بالمظفر سيف الدولة ، فهياً بذلك لنشوء الفتنة، ويروي ابن الخطيب حال أهل قرطبة والأمويين عندما أخذ ولاية العهد لنفسه يقول : "وغدا وجوه الناس من أهل قرطبة ، لتهنئة المغرور عبد الرحمن بهذه المنحة ، التي كانت عندهم أشد محنة كلهم يعزي عنها نفسه ، ويكفكف عليها " (٤) ليس ذلك فحسب ، بل وبلغ استهتاره ببني امية حدا كبير فقد سمع عنه أنه يقول : "والله لو أجمع بنو مروان إلى مرقي هذا ، وأنا نائم لما أيقظوني " وهذا يدل على انه أخذ الخلافة لنفسه استخفافاً منه ببني امية ولتقديره أنه لن يتحرك أحدا منهم ضده ، وقد رأى المؤرخون في هذا التصرف حماقة غاب عنها العقل والحكمة ، وأن هذه أول مرة يأخذ أحد الخلافة لنفسه من خارج قریش ، يقول المقرئ : "ونقم عليه أهل الدولة لذلك فكان فيه حتفه ، وانقراض دولة قومه، وكان أسرع الناس كرها له الأمويين والقرشيين " (٥).

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٨٥.

(٢) ابن عذاري: البيان ، ج٣، ص ٣٨ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٢٧ ، ص ٣٧٣ + ابن عذاري: البيان ، ج٣، ص ٣٩ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٨١.

(٥) المقرئ: نفح الطيب ، ص٤٢٦ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٠.

وربما شعر شنجول أو ورد اليه أخبار بهذه النعمة والانتقاد عليه ، وربما وصله نعمة الأمويين عليه فقال انهم لو اجتمعوا وهو نائم لما أيقظوه بعد هذه الانتقادات ، ربما أراد شنجول صرف أنظار الشعب إلى الخارج ، كما كان يفعل جده عندما كان ينتزع السلطات من الخليفة ، بغزوة إلى الممالك المسيحية في الشمال ، لكن شنجول لم يدرك إن ما قام به هو انتزاع الخلافة كلها ثم ترك قرطبة فالمنصور كان ينال السلطات تدريجا وكأنها امتيازات ومكافئات وترقيات بعد كل غزوة ، حتى أخذ السلطان دون أسقاط صورة الخلافة التي حطمها شنجول نهائيا ، فخرج شنجول للغزو متجاهلا ما قد يحدث من ثورة أو انقلاب في قرطبة ، فتوجه إلى طليطلة وخلال طريقه للغزو وصلته الأخبار من قرطبة بحدوث ثورة أموية ضده (١) .

سادسا : ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار

هو محمد بن عبد الجبار، امه ام ولد تدعى مزنة، وكان عمره ٣٣ سنة عند ثورته على الأمويين وكانت هذه الثورة بدعم وتأيد من والدة عبد الملك المظفر الزلفاء، وكانت تعتقد أن ولدها عبد الملك المظفر قتل مسموما بمكيدة من أخيه شنجول ، فساعدت هشام بن عبد الجبار لما علمته من بغضه لشنجول وللعامريين وذلك بسبب قيام عبد الملك بإعدام أبيه هشام بتهمة التآمر مع الوزير عيسى بن سعيد و ولما علمت الزلفاء بأجواء السخط والغضب على العامريين ، بدأت ترسل إلى الأمويين تحثهم لاسترجاع حكمهم في سبيل تحقيق انتقامها من شنجول ، فأرسلت تحث ابن عبد الجبار وبدأ بجمع الأمويين حوله (٢).

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٢٧، ص ٣٧٤

(٢) ابن عذاري: البيان ، ج٣، ص ٥٢+ جذوة المقتبس ص ١٩ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، ص ٦٣١ .

بعد قيام هشام بن عبد الجبار بالثورة ، هاجم قصر الخليفة وأخذ البيعة لنفسه ، وحل محل الخليفة الشرعي هشام وكان قد بقي في الخلافة ثلاث وثلاثين سنة وبضعة أشهر ، وأخذ هشام البيعة لنفسه ، وتلقب بالمهدي وكان ذلك سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩م (١) بعدها هاجم هشام ابن عبد الجبار الزاهرة معقل العامريين ، ونهبها وخربها وأحرقها خشية عودة شنجول وتحصنه بها (٢).

وقد تنبأ المنصور بخرابها ، حيث يذكر أن المنصور قد رأى في منامه أن الله قد اطلع عليها ولما سأل المفسرين أخبروه أن هذه علامة زوالها مستشهدين بقصة سيدنا موسى عليه السلام {فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا} وكان المنصور يقول : " وبها لك يا زاهرة الحسن لقد حسن مرآك ، وعبق ثراك ، وراق منظر ك ، وطاب تريك ، وعذب شرابك ، فيا ليت شعري من الذي يهدمك " (٣).

عاد شنجول إلى قلعة رباح ، ومنها إلى قرطبة ، وعند وصوله مشارف قرطبة تخلت الناس عنه ، وبدأت الناس تتابع ابن عبد الجبار معلنين أن شنجول ماجنا مستهترا لا يصلح للأمر ، ولم يبق أحد مع شنجول ، حتى تم القبض عليه ، وقطع رأسه ولم يحكم شنجول سوى أربعة أشهر (٤) .

(١) ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٥٧-٥٨-٥٩-٦٠ + عفان : دولة الإسلام ، ج٢، ص٦٣٣-٦٣٤+ الضبي: بغية الملتبس، ج١، ص٢٢ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص٢٩١+المقري: نفح الطيب ، ص٣٢٦.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٦٥.

(٤) المقري: نفح الطيب، ص٤٢٦.

سابعاً : استنتاج

بعد هذا السرد للأحداث التي ظهر فيها المنصور وأبنائه حكام فعليين في الأندلس يجب الوقوف عند عدة نقاط ما هي الظروف التي ساعدت ابن أبي عامر على هذا الصعود ؟ وأين كان أفراد الأسرة الأموية مما جرى ؟ ولماذا انتظر الأمويون ثلاث وثلاثين سنة حتى يسقطوا الدولة العامرية ؟ وما هي العوامل التي أدت إلى إخفاق العامريين بإحلال شرعية جديدة محل الشرعية الأموية ؟

العوامل التي ساعدت ابن أبي عامر في الصعود

في حقيقة الأمر لا يمكن تجاهل ما أوردته المصادر ، من نسب المنصور الذي هو معافري من بني قحطان ، ومن أسرة معروفة وأجداده كانوا من الداخلين إلى الأندلس ، إضافة إلى ذلك تحدثت المصادر عن ذكائه وقوة شخصيته وفطنته ، على الرغم من ذلك كل هذه الصفات كانت ربما تتوفر في ابن أبي عامر وغيره .

يروى ابن الخطيب في أعمال الأعلام رواية ، تحدث فيها عن حوار جرى بين ابن أبي عامر وعدد من أصحابه وأبناء عمومته قبل دخوله قصر الخلافة ، تحدث في هذا الحوار أنه سيملك الأندلس يوماً ، فسخروا منه ، وتمنوا عليه بعض المناصب في حال استلام السلطة في نوع من السخرية من كلامه ، ويروي ابن الخطيب إن ابن أبي عامر أعطى هؤلاء الأشخاص ما تمنوا من مناصب (١) ، من هذه الرواية يمكن معرفة إن المنصور ابن أبي عامر كان يطمح ويخطط للسلطة منذ زمن طويل ، وقد وجد له طريق للوصول إلى القصر ، بعد أن تمكن من الوصول إلى منصب الكاتب عند باب الخليفة ، وهو منصب كان منطلقاً لابن أبي عامر ليبدأ البحث عن الطريق الثاني للدخول إلى القصر .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

وقد أحسن ابن أبي عامر في انتقاء طريقة ، عندما اختار الشخص ذو القلب الأرق ، وذو المكانة العالية ، فوجده في صبح البشكنسية التي كانت له جسر عبور إلى القصر وأسراره وعائلة الخليفة ، فقد كانت شابة حسناء ، وهي جارية من بلاد البشكنس وزوجها الحكم رجل كبير السن وابن أبي عامر شاب ذكي ووسيم .

مع ولادة المولود الاول للخليفة بحثوا عن معلم له ، خلال ذلك كان المنصور ، قد طلب من القاضي محمد بن سليم بن اسحاق البحث عن وظيفة له ، فتوسط القاضي له عند جعفر المصحفي ، هذا وكان المنصور ابن أبي عامر قد أبهر قصر الخلافة بجزالة عباراته وناققتها ، فاقترح المصحفي ابن أبي عامر ليكون معلما للمولود الجديد ، فوافقت صبح البشكنسية (١) .

وصول ابن أبي عامر إلى عائلة الخليفة ، كانت كل ما يتمناه ، فأعجبت صبح به وأحبته وتعلق قلبها به ، واصبح ابن أبي عامر وكيلا للولد الأول سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٧م ، ومنذ ذلك التاريخ بدء صعود المنصور داخل القصر ، فكانت صبح العامل الرئيسي في صعود المنصور بن أبي عامر يروي ابن عذاري بعد استبداد المنصور بالحكم شعرا جريئا تداولته العامة :

أقترب الوعد وحان الهلاك وكل ما تكرهه قد اتاك

خليفة يحضر في مكتب وأمه حبلى وقاض (٢) .

ومما ساعد ابن أبي عامر في الصعود ، كان عدم وجود شخص قوي قادر ، فأوردت المصادر ضعف المصحفي الذي لم يستطع قيادة الجيش ، لرد حملة الممالك المسيحية على الحدود الشمالية .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

وبالنسبة للأسرة الأموية ، فلم يكن هناك شخص قوي ، سوى المغيرة ابن عبد الرحمن الناصر ، وتمكن المنصور من القضاء عليه بمساعدة المصحفي ، إضافة لذلك لم تكن أي من القوى الموجودة في القصر لديها تخطيط سابق ، أو إن صح التعبير لم تكن هناك قوة تملك خطة منهجية كخطة ابن أبي عامر باعتبار المصحفي كان لديه رغبة في السلطة للسيطرة على الخلافة ، على الرغم من ذلك تمكن المنصور من القضاء على هذه القوى ، واحدة تلو أخرى وقد تغنى به المؤرخون "كان آية من آيات الله فطرة ودهاء ومكر وسياسة ، عدا بنفسه على جعفر ثم أنحنى بالمصحفي على الصقالبة حتى قتلهم ، ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه حتى أهلك ، ثم أنفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز ؟" (١)

ثم اتخذ سياسة الحذر الدائم من الثورات وأعمال التمرد ، فأتخذ له عيونا في مدينة قرطبة لمراقبة الأمويين وتحركاتهم ، وجعل أيضا من يراقب الخليفة وتصرفاته ، فعندما سؤل عن قلة نومه قال لو كنت مثل مسافة كذا عن القصر ، لأحرمت النوم يقصد قصر الخليفة فكيف وبيننا من أصبحه وامسأه ، ولشدة خوفه من الأمويين امرهم التزام منازلهم ، وكان يصحبهم معه في الغزوات ، بهذه الطريقة استطاع المنصور بالحكمة والدهاء والقوة من اسكات أي محاولة ثورة أموية ضده ، كذلك فعل ابنه عبد الملك المظفر طيلة تسع سنوات ، وهذه الصفات افتقدها عبد الرحمن شنجول ، فحدثت الثورة الأموية ، واندلعت الحرب الاهلية وقتل عبد الرحمن شنجول ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م وانتهى الاستبداد العامري بالإخفاق بسبب :

١- منذ ان أعلن عبد الرحمن الناصر الخلافة ، كانت غايته ربط مكونات المجتمع الأندلسي بالمركز برابط شرعي هو الخلافة الإسلامية المقدسة ، والعامريون لم يكونوا يمتلكون الشرعية الكافية لاستلام الخلافة ..

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

وابن أبي عامر عندما حاول اخذ الخلافة لنفسه عارضه الفقهاء ، بدعوى الحكم في قریش ، فخشي نقمة العامة ، وابتعد عن ذلك ، ولجأ إلى صرف الأنظار عن استبداده بالحروب الخارجية ، كذلك شنجول بحث عن دليل شرعي بدعوه أنه من بني قحطان لكنه أخفق وقتل .

٢-قيام المنصور ابن أبي عامر بأحداث شرح اجتماعي كبير باعتماده على البربر (الامازيغ) دون المكونات الأخرى .

٣- حالة الترف والرخاء الاقتصادي ، مكنت العديد من الأسر من الظهور وامتلاكها قوة كافية تجعلها تحلم بالسلطة

٤-استهتار عبد الرحمن شنجول بالأمويين ، فقد ذكر المؤرخون حالة السخط لديهم عندما أخذ ولاية العهد لنفسه .

٥- الصراع داخل الأسرة العامرية ، واتهام والدة عبد الملك المظفر لشنجول بتدبير اغتيال ابنها في مدينة سالم ، وبناء عليه قامت بتشجيع محمد بن هشام بن عبد الجبار بالثورة .

٦- نتيجة الخوف من قيام الثورة الأموية ، قام المنصور بنقل كل مراكز السلطة إلى الزاهرة ، وقام بحمايتها وتحصينها ، والتخلي عن قرطبة العاصمة الشرعية ، وذات الكثافة السكانية الأكبر ، فعندما قامت الثورة ضد عبد الرحمن شنجول ، أسقطت قرطبة أولاً ، وبالتالي سقط قصر الخليفة رمز الشرعية ، ويسقط هذا القصر تشجعت العامة أكثر للسيطرة على الزاهرة ، التي قام شنجول بسحب أكثر المقاتلين منها تجاه غزوته نحو الممالك المسيحية ، على الرغم مما قام به وعدم تثبيت سلطانه .

٧- كان المنصور ابن أبي عامر يقوم بأخذ الرتب والترقيات ، والاستحواذ على السلطات بعد الغزوات ، فكان يغطي على ما يفعل بانتصاراته وغنائم حربه ، وهذا عكس ما قام به شنجول الذي تجرأ على الخلافة ، وغادرها إلى الغزو .

٨- عدم مركزية السلطة ، فالقارئ للأحداث التاريخية يلاحظ اهتمام المصادر بقرطبة والشخصيات الحاكمة ، دون التطرق لباقي المدن الأندلسية التي غابت عن هذا الصراع ، ويلاحظ إن الإدارة المركزية كانت تطلب منها الدعم ، ولا يمكن فرض قراراتها على باقي مدن الأندلس ، وهذا شيء قديم يجده القارئ منذ خلافة عبد الرحمن الناصر ، فقد كانت الثغور تتمتع بسلطة مستقلة بطبيعة الجغرافية والتأثير الأوربي .

٩- عدم امتلاك العامريين العصبية الكافية لحماية ملكهم ، لذا لجأ المنصور إلى البربر (الأمازيغ) كقناة يدعمها بالمال والسلاح على ان تكون حاضنته الشعبية ، لكن البربر (الأمازيغ) أصبحوا يملكون قوة وسلطة جعلتهم ليسوا بحاجة الدعم العامري ، وهذا ما يلاحظ خلال الحرب الأهلية ، التي كان فيها الصراع بين المغاربة البربر (الأمازيغ) والأندلسيين اهل قرطبة العرب .

يعرف عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد الاستبداد بأنه : الانفراد بالسلطة والسلطان ، في أي ميدان من ميادين السلطة والسلطان ، في الأسرة ، أو الديوان ، أو الدولة، أو في المال والثروة ، أو في اتخاذ القرار ، أو في تنفيذ القرار الاستبدادي ، والاستبداد لغة هو: غرور المرء برأيه ، والأنفة عن قبول النصيحة ، أو الاستقلال في الرأي والحقوق المشتركة (١) .

في حقيقة الأمر إن سنن الله في هذه الأرض ثابتة ، ولا تتبدل ولا تتحول سواء بتغيير الظروف أو الأحوال يقول الله عز وجل واصفا حال فرعون { ما أرى وما أهديكم إلا سبيلا الرشاد } (٢).

انتهى استبداد فرعون بالغرق ، وظل جسده عبرة حتى هذا اليوم ، لم يغرق فرعون وحده ، لكن من غرق هم كل من أيده أو صمت عن استبداده ، كذلك لم ينته استبداد بني عامر

(١) الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، ت. ح : محمد عمارة ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص ٩- ١٩ .

(٢) القرآن الكريم : سورة غافر ، الآية ٢٩ .

بوفاة المنصور أو المظفر أو شنجول بل انتهى بإغراق الأندلس في بحر من الفتن والحرب الأهلية، يقول الله عز وجل { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } (١) .

إن نهاية الاستبداد العامري أجلتها مشورة المنصور لفقهاء وقضاة قرطبة بطلب الخلافة لنفسه ، فعندما حذروه من ذلك ابتعد عنه ، لكن شنجول استبد بالسلطة والشرعية دون مشورة ، فكان السقوط حتميا يقول الله عز وجل عن بلقيس ملكة سبأ { أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون } (٢) .

لا يمكن تجاهل السياسة الجهادية التي قام بها المنصور العامري ، والتي جعلت مؤرخي الماضي والحاضر في حيرة من امرهم في انتقاد الاستبداد العامري ، حتى إن هذه الغزوات التي غطى بها ابن أبي عامر على سياسته الاستبدادية ، جعلت المؤرخين المعاصرين يتجاهلون هذا الاستبداد ونتائجه ، ويرون في المنصور قائدا مجاهدا ضد الممالك المسيحية ، يقول عبد الرحمن الكواكبي : " إن قيام المستبدين من أمثال أبناء داود وقسطنطين ، والاسباني فيليب الثاني ، والانكليزي هنري الثامن ، ثم الحاكم الفاطمي ، ثم السلاطين الاعاجم في الإسلام بتأييدهم للدين لم يكن إلا بقصد الاستعانة بمسوح الدين ، وبيعض أهله المغفلين على ظلم المساكين (٣) .

ختاما يمكن القول إن الاستبداد العامري ، بالإضافة إلى جذور أخرى ستذكر لاحقا ، شغلت دورا بارزا ليس في أفول دولة بني أمية في الأندلس فحسب ، بل في انهيار النظام السياسي ككل وكما تقول الحكمة "الاستبداد أصل لكل فساد" (٤) .

(١) القرآن الكريم : سورة الأنفال ، الآية ٢٥ .

(٢) القرآن الكريم : سورة النمل ، الآية ٣٢ .

(٣) الكواكبي : طبائع الاستبداد، ص ٣١ .

(٤) الكواكبي : طبائع الاستبداد ، ص ٥١ .

الفصل الثاني حياة هشام بن الحكم

الفتنة وظهور الأسرة الإدريسية الحمودية



وادي الحجارة - خيران العامري-ابن حزم -نقود حمودية

أولا : الفتنة

١ - خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) قتل عبد الرحمن المنصور (شنجول) في الثالث من رجب الثالث من مارس (آذار) ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م ، ووضع جسده مصلوبا على باب السدة في قرطبة (١)، وقد قام محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر بخلع الخليفة هشام المؤيد فطلب من التنازل عن الخلافة له، وتم ذلك بحضور وجهاء وفقهاء قرطبة ، وبعد أن كان له ذلك أخذ اسم المهدي لقبا، وأعطى قيادة الشرطة لابن عمه محمد بن المغيرة ، وولاية العهد لسليمان بن هشام (٢) .

بعد سقوط الخليفة الشرعي ، كانت القوى الفاعلة على الأرض كالتالي :

بني أمية ويرى هؤلاء أنهم أصحاب الحق الشرعي بالخلافة ، والعامريين ومعهم من اعتمدوا عليهم من الصقالبة والبربر (الأمازيغ) ، وقد كانوا عماد الجيش العامري وهم أصحاب الغزوات والمعارك وكانوا قوة يعتد بها ، إلى جانبهم كان العامة أهل قرطبة، حيث أن قرطبة مسرح الأحداث الجارية ، فقد كان لعامتها دور كبير في أحداثها السياسية ، ولقد كان العامة متقلبي الأهواء ، وبشكل عام فالعامة تبحث عن مصالحها الاقتصادية بالدرجة الأولى ، وولاءاتها القبلية بالدرجة الثانية ، إلى جانب التأثير الديني ، وتأثير الفقهاء والوجهاء في توجهاتهم (٣) .

بالعودة إلى الخليفة الجديد لم يكن محمد بن هشام قائدا ذو خبرة ، بل تصرف وفقا لأهوائه وأحقاده، وتبع لإرادة قادته الذين كانت تحكمهم أهوائهم ، حيث لم يكن ممسكا جيدا بسلطة الخلافة ، فهو حديث عهد بها ، وربما لم يكن يحلم أو يتوقع بأنها ستقع بيده بهذه السهولة (٤) .

(١) ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٧٣

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص١٠٤ + المراكشي : المعجب، ص٨٨.

(٣) عنان : ٦٤٢ - ٦٤٣ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص١٠٤ .

فبعد سقوط الخليفة هشام والحاجب شنجول ، كان بني أمية الثائرين على العامريين يحقدون على البربر ، لمناصرتهم العامريين ، وعدوهم السبب الرئيسي في تغلب المنصور وأبنائه على الدولة الأموية، فلولا ما يملكون من عصبية وقوة يعتد بها ، لقاموا بالقضاء عليهم وطردهم ، وقد أمر المهدي أن لا يركبوا ولا يتسلحوا وتجرت عليهم العامة ، ونهبت دورهم وكان ذلك بداية الفتنة (١)

ولقد شكا بعضهم إلى المهدي ما أصابهم ، فلم يجبه فدبت الكراهية والبغضاء بين البربر وزعمائهم من جهة والأمويين من جهة أخرى ، ولا سيما بعد نهب دور البربر (الأمازيغ) وزعمائهم ، وما ساعد في تأجيج هذا الحقد أنه لم يسمح لزاوي بن زيري ، وهو من أكبر زعماء البربر (الأمازيغ) ومعه عدد من الوجهاء زيارة الخليفة هشام ، ليشكلوا له ما حل بهم ، وحين تمكنوا من مقابلة الخليفة أعذر لهم ووعدهم بمعاقة الفاعلين ، يقول ابن عذاري : "إن هذا سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس الفتنة البربرية ولو سموها بفتنة أبن عبد الجبار لكان أحق " (٢)

وكان من الأعمال التي قام بها هشام ، هو نفيه لبعض الصقالبة العامريين من قرطبة إلى أطراف الأندلس الشرقية ، ولم يقبل من الصقالبة بيعتهم باستثناء بيعة واضح الفتى صاحب مدينة سالم ، فبعث إليه ابن عبد الجبار كتابا بتوليته الثغر كله (٣)

أما بالنسبة إلى الخليفة هشام فقد قام الخليفة الجديد ابن عبد الجبار بحبسه في القصر، ثم قام بإخراجه ومن معه من جوارى وخدم ، وأخفاه في أحد منازل قرطبة (٤)

(١) المقرئ : نفع الطبيب ، ص ٤٢٧ + ملوح ، هشام عبد الرؤوف محمد مصطفى : الدولة العامرية في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٧-١٠٠٩م) ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٤م ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٦ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٠٦ + ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٧ .

خلال ذلك توفي رجل يهودي أو نصراني باختلاف في المصادر ، وقد كان هذا الرجل كثير الشبه بهشام المؤيد ، فاستغل ابن عبد الجبار ذلك ، وأعلن وفاته وأحضر الوزراء ، وأشهدهم على وفاة هشام المؤيد وكان ذلك سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩م (١)

بعد أن استتب الأمر لابن عبد الجبار، وتخلص من منافسيه بالطرد أو التهميش أو الإخفاء، والسجن بالغ بالاستهتار والمجون، وقام بتسريح سبعة آلاف عسكري، وهذا الخطأ كان من أكبر اسباب الفتنة، فهؤلاء جنود أنقطع رزق ذويهم فلذلك كانوا دائما مصدر شغب، وفوضى كبيره في الأحداث اللاحقة ، كذلك قام ابن عبد الجبار بحبس ولي العهد سليمان بن هشام إلى جانب جماعة من قريش (٢)

وقد كان هشام بن سليمان بن الناصر هو والد ولي العهد سليمان، واراد هشام عزل محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي ، لما رآه منه من استهتار وتصرفات طائشة ، فالتف حوله عدد من العامريين والصقالبة والبربر (الأمازيغ) الناقمين على ابن عبد الجبار ، فحاصروا قصره ، وحدث قتال بين الطرفين يومين متتاليين ناصر فيها العامة من أهل قرطبة المهدي ابن عبد الجبار ، فكان النصر حليفه وأسر هشام ابن سليمان وأخوه أبو بكر وعدد من الزعماء ، وأمر المهدي بن عبد الجبار بإعدامهم جميعا ، وفر سليمان بن هشام وأنسحب البربر من قرطبة باتجاه أرملاط ، ونهبت دورهم واستبيحت أموالهم ، وسبيت نسائهم وبيعت كالإماء ، وقتل كل من وجد منهم في قرطبة ، وأعلن ابن عبد الجبار أنه من يقتل أمازيغيا له كذا وكذا وهذه الاعمال التي قام بها ابن عبد الجبار كانت كمن يصب الزيت على النار ففتحت أبواب فتنة لا تنتهي بين الأندلسيين والبربر (الأمازيغ) (٣) قال تعالى لوإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها قولنا فدمرناها تدميرا { (٤)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٧٧ - ٧٨ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٠٦ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٧٨ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٠٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٨٠ - ٨١ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٠٦ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الأسراء ، الآية ١٦ .

ويذكر صاحب كتاب البيان أن هناك أناس من الشام قتلوا فقط للحصول على الجوائز ، ويسهب ابن عذاري في ذكر قصص مشابهة ، ربما أراد ابن عذاري أن يعطي القارئ فكرة مدى حقد وكفر أهل قرطبة ، ولكن لا يشاهد مثل هذا التحامل مع البربر (الأمازيغ) ، كما يلاحظ لاحقا عند عودتهم إلى قرطبة ، فيتحدث عن أخلاقهم وعفوفهم عمن أذاهم ، وقد أسهب ابن عذاري في ذكر مثالب وسيئات ابن عبد الجبار ، فيصفه بالسفيه مرة ، والخسيس تارة أخرى ، وأتهمه بممارسة الدعارة واللواط ، وأسهب في ذلك ، في حين لم تذكر المصادر الأخرى ذلك .(١)

بعد توجه البربر (الأمازيغ) إلى أرملاط ، ساروا إلى الثغر ، فأرسل إليهم ابن عبد الجبار يخبرهم بعفوه ، ربما شعر ابن عبد الجبار إن هذا التصرف خاطئ ، أو خشي من عواقب الأمور ، وأوفد وزيره البكري في أرجاء قرطبة وأريافها ، يعلن أنه لا مانع من عودة البربر إلى أعمالهم وأنه عفي عنهم ، لكن البربر استمرو بنزوحهم حتى وصلوا قلعة رباح ، واجتمعوا هناك مع سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الذي فر من قرطبة ، فالتقوا حوله وبايعوه بالخلافة ، وتلقب بالمستعين بالله(٢)

بالانتقال إلى الممالك المسيحية في الشمال ، فقد كان سانشو بن غارسية كونت قشتالة يراقب ما يجري في الأندلس ، وتطورات الأوضاع في قرطبة عن كثب متأهبا للتدخل ، والاستفادة من الصراع الداخلي الحاصل ، حيث قام سليمان المستعين ، ومن معه من البربر (الأمازيغ) بالتفاوض معه ، وطلب مساعدته مقابل إعطائه بعض الحصون فقبل ذلك (٣)

وقف واضح الفتى الصقلي صاحب مدينة سالم في وجههم ، و كان حجر عثرة في طريقهم ، فمنع الأمداد عنهم ولكن كان البديل من الشمال فأمدهم سانشو بن غارسية بالمؤن وحدثت معركة بين واضح والبربر (الأمازيغ) ، وهزم واضح هزيمة كبيرة بالقرب من قلعة النهر (قلعة هنارس حاليا) ، وعندما وصلت اخبار هذه الهزيمة إلى ابن عبد الجبار بدأ بتحصين قرطبة مدركا أن المعركة التالية معه ، وعلى اسوار قرطبة(٤)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٧٦ - ٨٠ - ٨٩.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٨٢ - ٨٣ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٠٧

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٤٢٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٨٤ - ٨٥ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٤٦ .

أتى واضح منهزماً ومعه أربعمئة فارس إلى قرطبة ، ولحقت بهم الامازيغ بقيادة المستعين ترافقهم قوات قشتاليه بقيادة سانشو غارسيه ، وعسكروا بسفح جبل قنتج (قنتش) سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م، واشتبكوا مع جيش ابن عبد الجبار فألحقوا به الهزيمة بفضل الدعم من سانشو أولاً ، ولخبرة البربر (الامازيغ) عماد الجيش العامري المنحل ثانياً (١) ، ويروي ابن الخطيب أن النصاري قتلوا من اهل قرطبة أكثر من ثلاثين الفا ، وهذا رقم مبالغ فيه ، ربما أراد مروجو هذا الخبر جلب التعاطف مع ابن عبد الجبار ، أو العداوة للبربر (الامازيغ) باعتبار المستعين أستعان بالنصاري "الأعداء الحقيقيين" فلا يجوز التعاون معهم(٢) في حين أورد ابن بسام إن النصاري قتلوا أكثر من ثلاثة الاف في مكان واحد ، وهذا رقم اقرب للواقع من ثلاثين الفا باعتبار إن عدد النصاري لا يمكن ان يتخطى بضعة آلاف (٣) والدليل على ذلك عدم تمكن الفونسو السادس بعد سيطرته على طليطلة كما سيتضح لاحقاً من الاستمرار بحروب الاسترداد بسبب قلة المورد البشري .

عندما علم ابن عبد الجبار بالهزيمة لجأ إلى حيلة ، حيث قام بإخراج هشام المؤيد وأجلسه على شرفة القصر ، وأعلن أنه الخليفة الشرعي ، وأنه هو مجرد نائب له وأرسل قاضيه ابن زكوان يبلغ المستعين وقادة البربر (الامازيغ) بذلك ، فردوا عليه بسخرية "سبحان الله يا قاضي يموت هشام بالأمس، وتصلي عليه انت وغيرك ، واليوم يعيش ، ويرجع خليفة " (٤)

بعد ذلك هاجم البربر قرطبة ، فدخلوها وفر ابن عبد الجبار منها ، ودخل المستعين قصر الخلافة ، ويذكر ابن عذاري أن هناك من البربر من نهب بيوت القرطبيين ، ولكنه تعرض للعقاب (٥)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٨٨- ٨٩.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٠٧.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق١، مج ١، ص ٤٤.

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٨٩+ مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠١ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٩٠ .

٢ - خلافة سليمان بن الحكم (المستعين) هو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر كنيته أبو ايوب لقبه المستعين ، وأمه أم ولد، وتلقب بالظافر بحول الله (١)

بعد سيطرة المستعين على قرطبة عاد شانجه إلى معسكره وطلب ما وعد به فأجابوه بأن ما يطلبه خارج أيديهم وأنهم سيفون بوعدهم له حين تمكن أمرهم وتثبيت سلطانهم فغادر شانجه وأبقى في معسكره مئة فارس وأخذت البيعة للمستعين في مسجد قرطبة (٢)

ابن عبد الجبار بعد هزيمته ، فر باتجاه طليطلة التي أعلنت تمسكها ببيعته وعدم بيعتها للمستعين، وهنا يلاحظ أن المستعين انطلق بحملته من طليطلة ، وها هو المهدي ابن عبد الجبار يرحل إليها ، وتعلن تمسكها ببيعته (٣) لماذا؟ كما تذكر المصادر بأن طليطلة منذ عهد عبد الرحمن الناصر، كانت ثائرة ضد الحكم الأموي، وتنزع للاستقلال بفضل موقعها الجغرافي وحصانتها ونتيجة تأثرها بنظام أوربا الغربية والأسر الأرستقراطية من هذا يتضح أن طليطلة وحكامها لم يتمسكوا ببيعة ابن عبد الجبار كخليفة شرعي، بل هم ساروا وراء مصالح اقتصادية وامتيازات أكبر، حاول المستعين مرارا استمالة أهل طليطلة إليه ، ولكن دون جدوى ، وكذلك حاول مع مدينة سالم، ومدينة سالم أيضا تتبع للثغر الأوسط ، ولكن لم تتم أجابته، ببساطة لأنهم يبحثون عن الامتيازات والمصالح الاقتصادية، خلال ذلك تحالف واضح مع أمير برشلونه الكونت رامون بوريل والكونت ارمنجو ، واتفق معهم على ان يمداه بجيش لقتال المستعين ولكن بشروط باهظة منها تسليم مدينة سالم عاصمة الثغر الأوسط ولكل جندي طعامه وشرابه ودينارين يوميا ولكل قومس ذلك مع ١٠٠ دينار يوميا ، وهذا دليل آخر عندما يشاهد إن الدين أصبح بعد المصالح الاقتصادية والشخصية (٤) .

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٩٠ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب، مج ١، ص ٤٢٨ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢، ص ١٠٧ + الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٩+ ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ٩١ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ٩٤ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠١+ عفان : دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٦٤٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ٩٥ .

سار الجيش الفرنجي إلى طليطلة ليلتقي بجيش ابن عبد الجبار ، ليتوجهوا بعدها صوب قرطبة ، والتقوا مع جيش المستعين في مكان شمال قرطبة يعرف بعقبة البقر سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م ، وكان سليمان المستعين في مؤخرة الجيش والبربر الأمازيغ في المقدمة وعندما تمكن الفرنج من اقتحام الخطوط الأولى والتسلل ، فر المستعين وحسب رواية بن عذاري أن انسحاب المستعين هو سبب الهزيمة لما أحدثه من ارباك ، وهنا يظهر تحيز ابن عذاري لصالح البربر (الأمازيغ) ، ففر البربر الأمازيغ متجهين إلى الزاهرة لحماية ممتلكاتهم وأولادهم ونسائهم ، لينسحبوا بعدها من الزاهرة إلى جنوب الأندلس ، وقتل في هذه المعركة الكثير من الفرنج منهم الكونت أرمنجو (أرمقند) ، ودخل بعد هذه المعركة ابن عبد الجبار وواضح الفتى قصر قرطبة ، وعادت الخلافة لابن عبد الجبار (١)

٣- خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) الثانية : بعد دخول المهدي قرطبة أخذ البيعة لنفسه، وعين واضحا حاجبا له ، وعزم على القضاء نهائيا على البربر الذين تحصنوا في الجزيرة الخضراء جنوب الأندلس وجمع لذلك الاموال والعتاد والعدد والعدة ، وتوجه إلى الجنوب ، وكان اللقاء مع البربر (الأمازيغ) في وادي آره ، فهزم في هذه المعركة ، وانتصر البربر الأمازيغ(٢) ، وبعد هذه الهزيمة عاد المهدي ابن عبد الجبار إلى قرطبة ، وبدء بتحسينها مدركا ان المستعين ومعه الأمازيغ سيهاجمونها ، وقد قام بحفر خندق وبناء سور لحمايتها

اجتمع البربر (الأمازيغ) مع المستعين في منطقة ريه ، وبدأوا يخططون للهجوم على قرطبة (٣)

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ١٠٨ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ٩٥ + المراكشي: المعجب ، ص ٨٩ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٩ + عنان : دولة الإسلام ، ج٢، ص ٦٤٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٠٦ + الضبي : بغية الملتبس ، ج١، ص ٢٣ + عنان : دولة الإسلام ، ج٢، ص ٦٤٩

(٣) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٤٩ .

٤- **عودة هشام المؤيد خليفة :** لم يخطر ببال المهدي الذي كان مشغولا بتحسين قرطبة أن أحدا من أعوانه سينقلب عليه ، فلقد كان واضح الفتى من العامريين ، ويميل اليهم ، وقد رأى في المهدي ابن عبد الجبار رجلا ماجنا فاتفق مع خيران العامري وعنبر وهم من العامريين القادمين من شاطبه على قتل المهدي ابن عبد الجبار واعادة الخلافة لهشام المؤيد ، فكان ذلك ، وضرب عنق ابن عبد الجبار ، وعاد هشام المؤيد إلى الخلافة سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م (١)

وتولى واضح منصب الحجابة للخليفة الذي أصبح عمره الان ٤٧ عاما (٢)، ربما اراد واضح بقتل ابن عبد الجبار ان يكون منصورا آخر وان مقتل ابن عبد الجبار سيعيد الأمان للأندلس وأن المستعين سيتنازل عن الخلافة بوجود الخليفة الشرعي هشام المؤيد ، وان العامريين سيتخلون عن المستعين لصالحه فهو يعد منهم، وإلى جانبه خيران وعنبر وهم من العامريين

بناء على ذلك ارسل برسالة إلى المستعين والبربر (الامازيغ) يدعوهم للعودة إلى طاعة الخلافة الشرعية ، وأن الامور هدأت وعادت إلى ما كانت عليه(٣)، لكن المستعين تمسك بمنصبه ، ومكانته وهذا شيء طبيعي ، أما البربر فمن الطبيعي ايضا ان لا يوافقوا بسبب الدماء والاحقاد التي بينهم وبين اهل قرطبة ، فما حدث تحول إلى حرب اهليه حقدتها اشد من الحقد على الممالك المسيحية ، حيث أن المسلمين دخلوا الأندلس لنشر الإسلام ، لكن الآن تغيرت الأوضاع بطبيعة الفتنة والحرب الأهلية ، فاستمر البربر يعملون ويخططون لاقتحام قرطبة والانتقام من اهلها ، فطلبوا العون من سانشو بن غارسية مقابل اعطاءه كل الحصون التي فتحت في عهدي المنصور والحكم (٤) ، لكن سانشو الذي لم ينل من مساعدته الأولى شيئا بحجة عدم سلطان المستعين على الاراضي الشمالية ، توجه إلى خليفة قرطبة الذي ما زال اهل الأندلس يطيعون أمره (٥)

(١) ابن عذاري: البيان، ج٣، ص ٩٦- ٩٧ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص ١٠٩- ١١٠+ ابن بسام : الذخيرة، ق١، مج١، ص ٤٥ + ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٥٦٦+ مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس ص ٢٠١ ..

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج١، ص ٤٢٨ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق١، مج١، ص ٤٥ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب، ص ٤٢٨- ٤٢٩ .

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٣، ص ١٠٣ + ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٥٦٦ .

وهو هشام المؤيد الذي ما تزال النفوس ترى فيه قائداً شرعياً ، وله مكانة عندهم ، وله السلطة والطاعة في انحاء الأندلس ، وليس هناك لأحد من حجة شرعية يرفض فيها امره

هاجم البربر الزهراء ، وسيطروا عليها ، وبدأوا يهاجمون أرياض قرطبة ، والتقى سانشو بهشام المؤيد ، وطلب منه تسليم الحصون ، فوافق هشام خوفاً من تحالفه مع المستعين ، فتم تسليمه ما يقارب مئتين من الحصون ، وهي خط الدفاع الأول عن الأندلس ، وضاق أهل قرطبة بهجمات الأمازيغ ذرعاً ، وطلبوا من واضح والخليفة أن يجدوا حلاً لهم ، لكن الخليفة وواضح عجزوا عن مواجهتهم ، فقرر واضح الهروب (١)

عندما عزم واضح على الهروب ، كان ضغط البربر يشتد على أطراف وأسوار قرطبة ، وعرفت بعض قيادات الجند بنية واضح الفرار ، فألقي القبض عليه ، وتم اعدامه ، ونهبت دوره ، ووجدت فيها أموال كثيرة ، وطيف برأسه في انحاء قرطبة (٢) كذلك اعتذر أصحاب الثغور عن إرسال الإمدادات ، وأنهم غير قادرين على التواصل مع سانشو بن غارسيه ، كذلك حاول الوزراء القرطبيين والخليفة هشام التواصل مع البربر (الأمازيغ) والمستعين فأرسل هشام رسالة عرض فيها على المستعين ولاية العهد ، لكن حب المستعين للسلطة ورغبة الأمازيغ بالانتقام حالت دون ذلك

اشتد هجوم البربر (الأمازيغ) على المدينة وأهلها يستميتون في الدفاع عنها وقد تمكن القرطبيين من قتل واحد من أبرز قادة البربر هو حباسه بن ماكسن ابن أخ زاوي فكان مقتله سبباً لنقمة الأمازيغ واشتداد الهجوم على قرطبة ، واستمرت المعارك القوية لمدة طويلة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م ، فأرسل أهل قرطبة القاضي ابن ذكوان طلباً للأمان ، أعطى الأمازيغ أهل قرطبة الأمان لكن ذلك لم يمنع جنودهم من استباحة الأموال والنساء وعمليات الانتقام ، ودخل المستعين قرطبة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م (٣) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٠٣ + ١٠٤ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٦٥١

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٠٥ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١١١ + ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٥٦٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١١١ - ١١٢ + ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٥٦٧ . + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٦٥٣ .

٥- خلافة سليمان بن الحكم (المستعين) الثانية استدعى المستعين هشام ووبخه قائلا : "تبرأت لي من الخلافة ، فما حملك على ان تنتقض عهدك ؟" ، فاعتذر منه هشام أنه مغلوب على امره ، بعد ذلك أخفق هشام المؤيد أو أخفي أو قتل يقول صاحب البيان "واختلف في امره قيل أنه قضي عليه عند دخول القصر ، وقيل أنه فر " (١) .

خلال هذه السنة قسم المستعين الأندلس على زعماء البربر فأعطى صنهاجة البيرة وأعطى مغراوه الجوف وأعطى منذر بن يحيى سرقسطة وجيان وأعطى بني يفرن وبني برزال لحيان و المغارب و بني دمروازده شذونه وموزر ، وعلي بن حمود سبته و القاسم بن حمود طنجة واصيلا والجزيرة الخضراء . (٢) .

ثانيا : الأسرة الإدريسية الحمودية

انتهى حكم الأدارسة في المغرب بمقتل الحسن بن كنون بعد قرنين من الزمن ، لكن الأندلس كانت على موعد مع بدء كيان جديد ، وهو امتداد للدولة الإدريسية المنتهية في المغرب .

لقد عانى البربر (الأمازيغ) الكثير في ظل الحكم الأموي ، وتميزت هذه المرحلة بحالة الصراع الدائم بين البربر (الأمازيغ) والولاة الأمويين ، يقول الناصري : "وفي عهد هشام بن عبد الملك ، كان عمر بن عبد الله المرادي واليا على طنجة والمغرب ، فأساء السيرة في البربر " ثم يقول : "وكان الولاة بشكل عام يرهقون البربر بما يطالبونهم به " (٣) ، وعندما أتى الأدارسة إلى المغرب وجد البربر الامازيغ الفرصة سانحة للتحالف معهم ، والتخلص من الحكم الأموي ، باعتبار الأدارسة يملكون شرعية الحكم ، باعتبارهم من آل البيت يقول الناصري عن مؤسس الدولة الإدريسية : " فلما استوسق له الأمر زحف إلى البربر واكثرهم على غير دين الإسلام فاسلموا على يديه " (٤) ويروي ابن أبي زرع في الأنيس : " إن الناس عاشت في ظل حكم الأدارسة في أمن ودعه " (٥)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ١١٣-١١٤+ ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

(٣) الناصري : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٦٢-٦٣ .

(٤) الناصري : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٧ .

كل هذه الاعمال اسهمت ببناء علاقة وثيقة بين الأدارسة والبربر الامازيغ ، وصلت حد المصاهرة والاندماج الاجتماعي (١) .

تمكن الخلفاء الأمويون بدءا من الناصر الذي أعلن الخلافة على كل المسلمين ، ليرد على الشرعية الفاطمية في المغرب ، ثم الحكم المستنصر ، ثم المنصور أبني عامر من القضاء على دولة الأدارسة ، التي انتهت بمقتل الحسن بن كنون ٣٧٥هـ/٩٨٦م (٢) ، فتفرق الكثير من أصحاب هذه الدعوة ، التي تدعو إلى إعادة الخلافة إلى آل البيت باتجاهات شتى ، ولقد كان للاضطرابات والأحداث على الساحة الأندلسية فرصة سانحة لهم ، فلقد كانت الفتنة بين البربر الامازيغ والأمويين الناقمين على البربر ، منذ عهد المنصور ابن أبي عامر ، لأنهم كانوا عماد الجيش العامري ، وعند حدوث الفتنة تفاقم هذا الصراع ليصبح صراعا مسلحا ، وصل به المطاف حتى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م ، بسيطرة البربر (الأمازيغ) والمستعين على قرطبة (٣) ، ولقد كان من بين الزعماء المغاربة الذين قادوا جموع البربر (الأمازيغ) في معركة قرطبة اثنان من الأدارسة ، هما علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن حمود (٤) .

١- نسب الحموديين : يرجع نسب الحموديين إلى ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن أبني علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، يقول ابن الخطيب عن الحموديين : "ومنهم القاسم المسمى المأمون، وعلي المسمى الناصر تسميا بالخلافة في الأندلس" (٥) ويتفق المؤرخون على ان نسبهم يعود إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦).

(١) الصفار، محمد : دولة بني حمود امتداد لدولة الأدارسة www.annabaa.org

(٢) الإيلاني: مفاخر البربر ،ت.ح: بويابة ، ص ١١٠ .

(٣) ابن عذاري : البيان ،ج٣، ص ١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ج٢، ص ١١١-١١٢ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٥٣ .

(٤) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٥٧ .

(٥) ابن حزم ،أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد : جمهرة انساب العرب، ت.ح: عبد السلام محمد هارون ،ط٥، دار المعارف ، القاهرة ،د.ت، ص

٤٩ - ٥٠

(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ج ٢ ، ص ١٢١ + المراكشي : المعجب، ص ٩٠ + المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

٢- **ظهور الحموديين في الأندلس** : بعد سيطرة المستعين على قرطبة ، منح القاسم وعلي الأراضي الواقعة بين المغرب والأندلس ، وهي طنجة، واصيلا، والجزيرة الخضراء، وسبته ، وهي منطقة ذات أهمية جغرافية كبيرة (١) .

يرى ابن عذاري أن الخلافة الأموية انتهت بعد سيطرة المستعين الثانية على قرطبة ، ويعزو ذلك إلى سبب التمزق الكبير الذي أصاب الأندلس : "لما استولى سليمان والبربر على قرطبة كان منهم الحاجب والوزير ، وقد انتهت دولة بني أمية في الأندلس ، فكان مبلغها مئتين وثمان وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما " (٢) .

بعد سيطرة المستعين كانت الأندلس ممزقة بين العامريين والبربر الامازيغ والامويين ، وكان من العامريين واضح وخيران ، فبعد مقتل واضح فر خيران ومعه عدد من العامريين إلى شرق الأندلس ، وانضم اليهم عدد من الأمويين الناقمين على البربر الامازيغ ، ولا سيما أن البربر بعد دخولهم قرطبة بدأوا ينتقمون من أي أموي أبدى لهم العداوة ، ففر العامريون إلى بلنسية وشاطبة ودانية شرق الأندلس (٣) وكان نتيجة هذا التمزق والفرقة أن طمع الكثيرين بهذه الدولة ، وكان منهم قاسم وعلي الذين لم يكن يفصل بين إقطاعاتهم شيء ، وتتميز أراضيهم بموقع هام رابط بين المغرب والأندلس ، دائما كانت هذه المنطقة تاريخيا منطلقا وقاعدة لعمليات عسكرية صوب الأندلس أو المغرب ، يقول ابن عذاري : " من الاتفاق الغريب العجيب على سليمان أنه لما استوثق له الأمر بعد فراغه من هشام انفذ عزمه من بين قواده لاختياره لعلي بن حمود والقاسم ولم يكن في الدعوة والقراية أبعد منه وهجم عليه وسلبه ملكه " ، وقد لام عدد من زعماء البربر المستعين لمنحه الحموديين هذه المنطقة فقال عبد الله البرزالي للمستعين: "وليت بني حمود العلويين على المغرب قال المستعين :نعم ، قال أليس العلويين طالبيين؟ قال المستعين نعم ،قال تأتي إلى خشاش تردهم ثعابين؟! قال المستعين: نفذ الأمر في ذلك " (٤) .

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، ص ٦٥٨ .

(٢) ابن عذاري: البيان ، ج٣، ص ١١٤ .

(٣) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ٦٥٨ + ابن عذاري: البيان ، ج٣، ص ١١٥ .

(٤) بن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١١٤ .

إن قول المستعين نفذ الأمر في ذلك يعني أنه غير قادر على تغيير ما جرى ، ففي تلك المرحلة كانت نزعات الاستقلال كبيرة ، وكانت كل مدينة تحكم نفسها ، ولم يكن للسلطة المركزية سوى البيعة فمنذ سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م بدأت مسيرة دويلات الطوائف ، وكانت كل مدينة تديرها أسرة تتوارث حكمها ، وبدأت ملامح هذا الانقسام أكثر وضوحا .

بالعودة إلى الأمويين والعامريين في شرق الأندلس ، فلقد كانوا يعلنون بيعتهم لهشام المؤيد المختفي، يقول ابن حيان : " كان هشام المؤيد عندما رآه من اضطراب امره وتيقن من انقراض دولته ، صير إلى علي بن حمود ولاية عهده ، وأوصى اليه بالخلافة من بعده وراسله إلى سبته بذلك سرا" (١) .

لقد كان خروج علي بن حمود عن طاعة المستعين سنة ٤٠٥هـ/١٠١٥م ، بناء على ما ادعى أنه ورد إليه من هشام المؤيد ، فأرسل الكتاب المنسوب لهشام المؤيد الذي يوليه فيه عهده إلى حبوس الصنهاجي وبني زيري في غرناطة وإلى خيران العامري يشرح لهم نيته بالسيطرة على قرطبة ، وإعادة الخلافة الشرعية طالبا مساعدتهم (٢) .

سواء كانت هذه الوثيقة حقيقية ام مزيفة ، فلقد كانت تتماشى مع طموحات بني حمود في محاولة بعث جديد في الأندلس ، وإعادة الخلافة تحت راية آل البيت بعد سقوط الحكم الأموي .

إن أحد الأسباب التي جعلت عبد الرحمن الناصر يعلن الخلافة هي رغبته في توحيد الأندلس الذي كان ممزقا بفعل الثورات والانقسامات الداخلية ، فأراد توحيد الأندلس وربطة ببيعة لها من القدسية ، ما يدفع مكونات الشعب الأندلسي الالتزام بهذه البيعة ، لكن هذه المرة حاول الحموديين إعادة الخلافة تحت حكم آل البيت وما لهم من مكانة في النفوس فهل نجح الحموديون في ذلك ؟

بدأ علي بن حمود يعد العدة للسيطرة على قرطبة ، فأعلن استقلاله في سبته سنة ٤٠٥هـ/١٠١٥م ، ثم عبر إلى الأندلس سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م ، وسيطر على مالقا التي بايع سكانها علي بن حمود واصبحوا أنصارا له (٣) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١١٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٦١٦ + لوثينا : الحموديون ، ص ٢٠ .

(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، مج١، ج٢، ص ٤١ + لوثينا : الحموديون ، ص ٢٠ .

ونصب عليها ابنه إدريس، وعين ابنه الآخر على سبته، كما أعطى ولاية اشبيلية لأخيه القاسم، اجتمع علي بن حمود وخيران العامري ما بين مالقا والمرية في المونيكار ALMUNECAR، واتفقا على السير نحو قرطبة ، ففي سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م تمكن علي بن حمود وانصاره من دخول قرطبة (١).

في ذات الوقت خرج أحد الأمويين أسمه عبد الله المعيطي ، وأعلن نفسه خليفة وتلقب بالقائم ، وكان يسانده مجاهد العامري الذي سيطر على دانية ، ومنها توجه إلى الجزائر الشرقية في البحر المتوسط ميورقه مينورقه ويابس ، وافتتحها من الروم ومنها جزيرة سردانية (٢) ، هنا يجب التوقف عند ملاحظة هامة أن كل أسرة من دول الطوائف استقلت بمكانها بحثت عن الشرعية بوجود شخص يدعي نفسه خليفة باعتباره أمويا أو من آل البيت ، وسيلاحظ هذا الشيء في مدينة اشبيلية لاحقا حيث تعلن هذه المدينة عن وجود هشام المؤيد فيها ، والمصادر التاريخية لم تذكر ان هذه الأسر حاولت الانتقال إلى عاصمة الشرعية قرطبة بل اكتفت بمكانها .

٣- خلافة علي بن حمود : هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، استولى علي بن حمود على عاصمة الخلافة ، ولم يجد هشام المؤيد ، والقوا القبض على المستعين وأخيه وولده الحكم ، واتهموهم بقتل هشام المؤيد ، وتم اعدامهم جميعا انتقاما لهشام ، ويروي صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أن المستعين أقر بوفاة هشام ، ودل علي بن حمود على قبره ، فأمر علي بغسله وتطييبه ودفنه (٣) ، ويروي عدد من المؤرخين حادثة قتل سليمان المستعين فبعد قتل المستعين وأخيه سأل علي بن حمود والد المستعين " :هكذا قتلتم هشام المؤيد فرد والد المستعين :لا والله وما هو -يقصد هشام- إلا حي يرزق فعجل علي بن حمود بقتله" (٤) .

(١) القلقشندي: مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ + ابي عبد الله بن عسكر - ابي بكر بن خميس : أعلام مالقا ، ت. ح : عبد الله المرباط التزقي ، ط ١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م + السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٥٦٩-٥٧٠ + لوثينا : الحموديون ، ص ٢١-٢٢ + الضبي: بغية الملتبس ، ج ١، ص ٢٧.

(٢) ابن بسام :الذخيرة ، ق ١، مج ١، ص ٤١+مؤلف مجهول :ذكر بلاد الأندلس ص ٢١٧ .

(٣) ابي عبد الله بن عسكر - ابي بكر بن خميس : أعلام مالقا ، ص ٢٩٥-٢٩٦ + مؤلف مجهول :ذكر بلاد الأندلس، ص ٢٠٤ + ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦١٥

(٤) أبو الفداء : المختصر في أخبار البسر ، مج ١، ج ٢، ص ٤١+ ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ج ٢، ص ١٢٢ + ابن عذاري : البيان، ج ٣، ص ١١٦ + ابن الأثير : الكامل ، ج ٧، ص ٦١٧ + الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢٨، ص ١٧٦-١٧٧ + لوثينا : الحموديون ، ص ٢١-٢٢ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٦٥٩.

ربما أراد علي بن حمود تسوية حجته الشرعية التي أتى بها إلى عاصمة الخلافة ، وجلب أنصاره بحجتها إن هذه الحجة (هشام المؤيد) قتل وانتهى ، وأنه قام بالانتقام له وبذلك يقنع أنصاره ويتخلص من المستعنين أو أي تهديد له .

في اليوم التالي أعلن علي خلافته ، وأخذ البيعة لنفسه عند باب السدة ، وهو أحد أبواب القصر ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وكنيته أبو الحسن (١) ، وكان له من العمر حين ولي الخلافة ٥٤ سنة ، وفور وصوله قرطبة أعلن أنه ما جاء إلا لإعادة الخلافة الشرعية لهشام المؤيد، وكان أنصاره قوة كبيرة من أهل قرطبة إلى جانب خيران العامري وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن فقوي أمره (٢) .

أشدت علي بن حمود في معاملة البربر ، وأخذ تمرداتهم أو أي محاولة للعصيان والفوضى ، و لكن الأمور لم تجر كما يشاء فخيران العامري الذي أتى بدعوة إعادة الشرعية ، لم يجد هشام المؤيد ، فخشي سطوة الناصر علي بن حمود ، فسار إلى شرق الأندلس (٣) ، وأعلن مبايعته لأحد الأمويين هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، وتلقب بالخليفة الأموي الجديد بالمرتضى (٤) .

عندما علم علي بن حمود بخروج المرتضى ، خاف من تمرد أهل قرطبة ، فانقلب عليهم ، وبدأ يعتمد على البربر (المازيغ) ، ويتشدد في معاملة أهل قرطبة ، وصادر أسلحتهم ، فلزموا الهدوء (٥) .

بدء علي بن حمود يتجهز لقتال المرتضى ، لكن القدر كان أسرع إليه بعد تأمر عدد من الفتية الصقالبة عليه ، فقتلوه في الحمام سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م ، ولم يحكم سوى سنة وتسعة أشهر (٦) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٢٠ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٢٠-١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٦١٧ .

(٤) عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٦٠ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٢٣ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٢٣ .

(٦) القلقشندي : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ + الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢٨ ، ص ١٧٧ + ابن الأثير : الكامل ، ج ٧، ص ٦١٨ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٢١ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٢٣ + أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ١، ص ٤٢، ص ٤٢ .

٤- خلافة القاسم بن حمود : هو القاسم بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه .

كان للقاسم من الأولاد محمد والحسن ، وامهم أميرة بنت الحسن بن كنون بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه (١) .

بعث زعماء زناته إلى القاسم في اشبيلية ، يخبرونه بمقتل اخيه علي ، فتجهز على الفور ، وحينما تأكد من مقتل أخيه ، غادر إلى قرطبة ، ليبيع فيها بالخلافة ، وكان ذلك بعد ستة ايام من مقتل اخيه ، وتلقب بالمأمون ، وألقى القبض على اثنين من الفتية القتلة وقتلهم ، أما ابناء علي بن حمود ، فكانوا اثنين هما يحيى والي سبته، وادريس والي ماله (٢) كان يحيى بن علي بن حمود هو ولي العهد وقد تم تقديم القاسم عليهم لأنه اكبر من أخيه علي ولتأييد البربر الامازيغ له كما أن يحيى وأخيه أرادوا تثبيت ملكهم في جنوب الأندلس ، ثم الانتقال إلى قرطبة عندما تكون الفرصة مواتية ، وقد حاول القاسم تعويض يحيى بمنحه ولاية العهد ، على الرغم من أن لديه ولدين هما محمد والحسن، وزوجه ابنته فاطمه (٣) .

بالنسبة للسياسة التي اتبعها القاسم ، فلقد امتازت سياسته باللين والمسالمة ، وابتعد عن الشدة التي اتبعها أخاه علي واسقط الكثير من الضرائب ، فأطمأن الناس خلال ذلك كان أمر المرتضى قد أشد وقد هاجم المرتضى وحلفائه العامريين غرناطة ، وسيطروا عليها لكن زاوي بن زيري الصنهاجي ، ومعه الصنهاجيين الذين كانوا في غرناطة رفضوا بيعه المرتضى ، وخاضوا معركة كبيرة معه انتهت بهزيمة العامريين ومقتل المرتضى ، فانسحبوا إلى المرية (٤) .

(١) المراكشي : المعجب، ص ١٠١+ ابن عذاري: البيان، ج٣، ص ١١٩+ ابن حزم : نقط العروس ص٢٠٠- ٢٠١ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص٢٠٥.

(٢) القلقشندي: مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص٣٥٠ + الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٢٨، ص١٧٧+ ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص٥١.

(٣) ابن الخطيب : اعمال الأعلام ١٢٣ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ٦٦٢+ ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٢٢

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٦١٩+ ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٢٦+ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٢٥+ عنان : دولة الإسلام ، ج٢، ص٦٢٣ .

واستولى الصنهاجيون على غنائم كثيرة ، وأرسل زاوي إلى القاسم يخبره بهذا النصر ، ومقتل المرتضى وهزيمته (١)

حاول القاسم أن يعتمد على السودان بمنحهم المناصب الرفيعة ، لكن ذلك لم يحل من تسلط البربر (٢) ، فلم يتمكن القاسم من تثبيت حكمه ، فلقد اتفق ابنا اخيه يحيى وادريس حكام سبته ومالقه على استلام عرش الخلافة ، بدعوى أنهم أحق بالخلافة من عمهم ، وحاول القاسم ردعهم عن محاولة إسقاط حكمه معتمدا في ذلك على البربر الامازيغ لكن دون جدوى ، فاتخذ ادريس ويحيى من مالقه قاعدة لانطلاقهم وبدأوا بحشد الأنصار لدخول قرطبة ، وأخذ الخلافة لأنفسهم فتوجهوا إلى قرطبة ، لكن القاسم انسحب دون مواجهة سنة ٤١٢هـ/١٠٢٢م ، وبقي البربر الامازيغ يديرون قصر الخلافة ، حتى وصول يحيى بن علي بن حمود (٣)

٥- **خلافة يحيى بن علي بن حمود** : دخل يحيى بن علي بن حمود قرطبة بعد أيام من مغادرة عمه (٤) ، وبويع بالخلافة مستهل ٤١٢هـ/١٠٢٢م ، وتلقب بالمعتلي وله من العمر اربعين سنة ، أما القاسم فاستقر في اشبيلية ، ولم يتخل عن صفة الخلافة وتلقب بالمستعلي ، وهادن ابن اخيه يحيى ، واعترف كل منهما بخلافة الآخر يقول ابن حزم : "خليفان تصالحا وهو أمر لم يسمع بأذل منه ، ولا أدل على أدبار الامور ، يحيى بقرطبة والقاسم بأشبيلية " (٥)

هذا الوضع لم يستمر على حاله ، فرغم جزيل عطاءات يحيى وكرمه ، ومحاولته استمالة الناس ، إلا ان حاشيته من البربر الامازيغ ذات السطوة الكبيرة لم تكن تفضله ، فبعد عام ونصف من حكمه قام البربر الامازيغ بخلعه ففر من قرطبة عائدا إلى مالقه ، ورجع القاسم إلى قرطبة ، فجدد القرطبيون بيعته وفور استلامه ألغى ولاية عهد يحيى ، وأعطاه لابنه محمد (٦)

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١٢٥ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٣٠ + المقرئ : نفح الطيب ، ص ٤٨٤ .

(٣) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٢٠٠ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٣١ + عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢ ، ص ٦٦٢ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٤٣٠ + ابن حزم : نقط العروس ، ص ٩٢ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١٢٦ + القلقشندي : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٢٠٠ + ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ + لوثينا : الحموديون ، ص ٢٧ .

٦- **خلافة القاسم بن حمود الثانية** : لم يستمر القاسم بالحكم سوى ستة أشهر ، حيث لم يوفق في سياسته ، ولم ينجح ، فارتكب اخطاء سابقه حيث مكن البربر (الامازيغ) دون أهل قرطبة رغم العداء المستقل بينهم ، فثار أهل قرطبة بعد أن ضاقوا ذرعا به ، وخلعوا القاسم وفر إلى اشبيلية ، وحدثت معارك بين البربر الامازيغ ، وأهل قرطبة استمرت المعارك خمسين يوما(١)، والبربر (الأمازيغ) يحاصرون المدينة ، ولكن هذه المرة صمم القرطبيون على أهل اشبيلية اغلقوا أبواب اشبيلية بوجه القاسم، ومن معه واصبحت اشبيلية تحت حكم القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد ، وسار القاسم إلى بلدة شريش (٢) .

خلال ذلك كان يحيى بن علي بن حمود يوطد سلطانه ، ويوسع سيطرته في طنجة وسبته ، التي كان القاسم يعدها ملاذاً آمناً (٣) في حال سقوط خلافته ، ولما وصل القاسم إلى شري هاجمه يحيى وحاصرها والقي القبض على عمه ، ووضعته في السجن في مالقا ، وبقي هناك حتى وفاته خنقا سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م ، وهو في الثمانين من عمره (٤) .

٧- **خلافة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (المستظهر)** : بعد هزيمة البربر الامازيغ ، كان في قرطبة فراغ سياسي فاتفق اهل قرطبة على تعيين خليفة أموي ، وإعادة الخلافة الأموية ، فبايعوا أحد الأمويين هو سليمان بن عبد الرحمن وتلقب ب (المرتضى) ، لكن بينما هم في المسجد دخل عليهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخ محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) ، ومعه عدد من اتباعه ، وأخذ البيعة لنفسه ، فاستقر الامر لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، فبويع بالخلافة ٤١٤هـ/١٠٢٣م ، وله من العمر اثنين وعشرين سنة ، وتلقب بالمستظهر وكانت ولادته ٣٩٢هـ/١٠٠٢م (٥) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٦٢٠ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٣٤ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج١، ٤٣١ - ٤٣٢ + المراكشي : المعجب، ص١٠٠ + ابن حزم : نقط العروس ، ص٢٠٠ .

(٣) ابن حزم : نقط العروس ، ص٢٠٠ .

(٤) أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، مج١، ج٢، ص٤٢ + المراكشي : المعجب، ص ١٠٠ - ١٠١ + ابن حزم : نقط العروس ، ص ٢٠٠ + المقرئ : نفح الطيب، ج١، ص٤٣٢ .

(٥) المراكشي : المعجب، ص ١٠٥ + ابن بسام : الذخيرة ، ق١، مج١، ص٥٠ + الضبي : بغية الملتبس ، ج١، ص٣١ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص٢٠٨ .

هنا يظهر جليا أن في قرطبة ، كانت هناك أسر أرستقراطية ذات مكانة وجاه ، وكل اسره لها عدد من الاتباع ، والأنصار سواء من الأمويين أو من سواهم من البربر (الامازيغ) ، أو العامريين ، وما يدل على نفوذ هذه الأسر وتسلطها أن في هذه الحالة لم يكن في قرطبة سوى الأمويين وانصارهم ، على الرغم من ذلك حدث هذا الانقلاب من أسرة أموية ضد أسرة أموية أخرى ، وهذا ما يعيد إلى الأذهان فكرة أثر النظام الإقطاعي ونظام الحكم السياسي في أوروبا الغربية ، وانعكاسات ذلك في الأندلس .

كان الخليفة الجديد محبا للشعر ، وكانت مدة حكمه أيام معدودة حافلة بمجالس الشعر والادب ، ولكنه لم يستطع فرض سلطته على السكان ، لأنهم كانوا في حالة من الفوضى والهيجان ، وكان الحقد العنصري قد سيطر عليهم، أما يحيى فقد بقي يتربص الأوضاع وهو في مالقا (١) هذا ولم يستمر حكم المستظهر سوى سبعة وأربعين يوما قام خلالها باعتقال المرشح السابق للخلافة المرتضى ، وعين عددا من الأمويين على ضبط مدينتي الزاهرة والزهراء (٢) ، وخطط الطراز والمواريث والبناء والجيش....الخ، ويذكر ابن بسام أن هذه الخطط لم تكن تعني سوى اسمائها ، ولم يكن منها طائل ، يقول ابن بسام ، نقلا عن أبي الحسن ، نقلا عن ابن حيان "هذا زخرف من التسطير ، وضع على غاير حاصل ، ومراتب نصبت لغير طائل تنافسها طالبوها يومئذ بالأمل ، فلم يحلو منها بنائل ، ولا قبضوا منها مرتزقا....وسط بلد محصور ، وعمل مغضوب ، ومع سلطان فقير لا يقع بيده درهم" (٣) يعطي هذا النص دلالة عن الانهيار الاقتصادي الحاصل ، وحالة الفقر التي أصابت الخلافة ، لقد حاول المستظهر ضبط الأمور وعندما طلب المال من مسؤول الخطط اعتذروا له ، فقام بسجنهم مما أسخط أسر هؤلاء عليه ، ومال لهذه الأسر الغنية من اتباع وسلطه ، فخلال لقائه وفدا من البربر الامازيغ ، وإكرامه لهم مما اغضب القرطبيين ، ولا سيما بعد قيامه بإيداع المرشحين السابقين للخلافة إلى جانب الوزراء في السجن ، دخل العامة القصر ، وقتلوا الخليفة والوفد الأمازيغي(٣) ، وهذا دليل على أن الخلافة باتت واهنة وأن الخليفة لم يعد قادر على حماية حتى الكرسي الذي يجلس عليه .

(١) لوثينا : الحمويون ، ص ٢٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٦٢١-٦٢٢+ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧٠ .

(٣) ابن بسام : النخبة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ٥١ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٣٨- ١٣٩ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٩ .

٨- خلافة محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) : بعد مقتل المستظهر تم تعيين ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصر ، وبويع بالخلافة سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٤ م وتلقب بالمستكفي وكان له من العمر قرابة الخمسين سنة (١) ويعلق صاحب كتاب البيان ابن عذاري بطريقة جميلة ، ومقارنا بين المستكفي العباسي والمستكفي الأموي : "وحكم له بعد سوء الاتفاق عليه لمشاكلته لعبد الله المستكفي العباسي أول من تسمى به في لينة ووهنه وتخلفه وضعفه بل كان هذا مقتصرًا عنه لخلال ملوكته ، كانت في المستكفي العباسي ، لم يحسنها هذا لفرط تخلفه على اشتباههما في سائر ذلك من توثبهما في الفتنة واستظهارهما بالفسقة واعتداء كل واحد منهما على ابن عمه ، وتوسط كل واحد منهما في شأنه امرأة خبيثة ، فلذلك حسناء الشيرازية ولهذا بنت المروزيه ، ومن العجب أنهما اتفقا في الاخلاق والعهر واللعب ، وأن كل واحد منهما عاش اثنين وخمسن سنة ، وكل واحد منهما ملك سنة ونحو خمسة اشهر ، وكل واحد منهما تركه أبوه صغيرا ، وتوافقا في اللقب وبالجمله فهما رذلي قومهما" (٢) .

ويذكر أنه كانت للمستكفي بنت اسمها ولادة ، وكان هناك شاعر اسمه ابن زيدون يتغنى بها في حضرة أبيها (٣) .

لا يتعارض الدين الإسلامي مع الشعر والشعراء فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان لديه شاعر هو حسان بن ثابت ، ولكن شعره كان هادفا ذو اهداف تخدم مصلحة الدولة، لكن اهتمام الخلفاء وفي هذه المرحلة من الخلافة بالشعر والشعراء، والمبالغة بذلك رغم مدلولاته الثقافية والحضارية، فهو دليل انهيار أخلاقي يقول الله عز وجل {والشعراء يتبعهم الغاؤون} (٤) .

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، مج١، ج٢، ص٤٣+ ابن سعيد : الغرب في حلي المغرب ، ج١، ص٢٤ + المراكشي : المعجب، ص١٠٧ + ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٦٢٢ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٤١ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب، ص٦٣٠-٦٣١ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الشعراء ، الآية ٢٢٤ .

بالعودة إلى خلافة المستكفي ، فقد اتخذ سليمان بن هشام بن عبد الله بن الناصر ولي عهده في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م خلع أهل قرطبة المستكفي ، بعد أن وردهم تحرك يحيى بن علي بن حمود من مالقه ، فدخل عليه أهل قرطبة يلومونه تقصيره، وكما يرى العلماء "إذا أراد الله إزالة حاكم أسقط هيئته" ، يورد صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس تجاسر العامة على المستكفي بألفاظ بذينة تعبر عن مدى انعدام الأخلاق وسقوط هيبة الخلافة (١) .

هرب المستكفي من قرطبة ، وقتل بعد سبعة عشر يوما من فراره (٢) ، ويقول المراكشي في روايته أنه قتل مسموما ، ويتفق معه ابن حزم في رواية أكثر تفصيلا (٣) ، أما ابن عذاري وابن الخطيب ، فيقولان أنه قتل من احد مرافقيه ، لاعتقادهم أنه يحمل مال (٤) ، والروايتان غير متناقضتان سوى بطريقة القتل، ولو جمعت الروايات مع بعضهما لكان أقرب للواقع ، فقيام خادميه بقتله بالسهم بهدف الحصول على المال أقرب جمع لهذه الروايات، فبعد تركه الخلافة لا يطمع أحد به إلا من أجل مال .

٩- خلافة يحيى بن علي بن حمود الثانية : في منتصف ٤١٥هـ/١٠٢٤م ، ارتحل عالمين كبيرين من قرطبة ، هما ابن حزم وابن شهيد إلى يحيى بن علي بن حمود في مالقا ، يطلبون عودته إلى قرطبة لتخليصها من حكم المستكفي ، لكن يحيى بن علي الحمودي ، لم يعد إليها لأنها لم تعد تعني سوى صورة رمزية لخلافة قد سقطت في معظم الأندلس ، كما أن الوجود فيها يعرضه للاغتيال والخطر والدليل على ذلك ان يحيى بن علي الحمودي لم يعد إلى قرطبة رغم ضعف خلافتها إلا عندما غادرها المستكفي ، وبقيت شاغرة دون خليفة (٥) .

(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس .ص ٢١١-٢١٢

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج١، ص ٢٤ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٤٢ .

(٣) المراكشي : المعجب ص ١٠٨ + ابن حزم : نقط العروس، ص ٢٠٢ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٤٢ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٣١ + الضبي : بغية الملتبس ، ج١، ص ٣٤ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٤٣ المراكشي : المعجب، ص ١٠٢ + لوثينا : الحموديون ، ص ٣١

فعاد إلى قرطبة سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م ، وأعاد الخلافة إليها دون مقاومة ودون صعاب ولكنه غادرها بعد مدة قصيرة خوفاً على حياته ، ولأنها لم تعد تعني سوى نفسها فمن يحكمها يحكم قرطبة وله سلطة اسميه ، ثم أنه أراد أن تتحول هذه السلطة الاسمية إلى فعلية ، فعاد إلى ماله يريد فرض نفوذه على اشبيلية ، وعين على قرطبة احمد بن موسى ومعه مئتان من الجنود البربر الامازيغ واصبحت قرطبة كمدينة تتبع لحكم الحموديين الذي مركزه مالقا (١) .

١٠- **خلافة هشام بن محمد (المعتد)** : لم يمض على سيطرة الحموديين على قرطبة سوى شهرين ، حتى هاجمها خيران العامري وحرص أهلها على البربر الامازيغ ، وفر بن موسى إلى مالقا ، وكان ذلك سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م (٢) .

فاجمع اهل قرطبة على رد الامر إلى الامويين ، وكان ابرز اهل قرطبة هو أبو الحزم بن جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن العمر بن يحيى بن عبد الناصر بن ابي عبده ، فاتفق وجهاء قرطبة على تعيين هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر اخو المرتضى (٣) ، فبوع بالخلافة سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م (٤) ، وهو مقيم في البونت شمال شرق الأندلس وكان بحماية واليها عبد الله بن قاسم الفهري وتلقب بالمعتد بالله ، وبقي في البونت سنتين وسبعة اشهر ، والدعاء له في قرطبة ، فقدم اليها سنة هنا يلحظ أن يحيى الحمودي أيضا حكم كخليفة ، ولكن من خارج قرطبة ، وتبعه المعتد وهو يحكم من خارج قرطبة ، وبقي كذلك قرابة ثلاث سنوات وأيضا يوحى فكرة انعدام الأمن بأن الشرطة والأمن والجيش ، لم تعد قادرة على حماية حتى قصر الخليفة .

اعتمد المعتد في حكمه على حكم بن سعيد القزاز ، وكنيته أبو العاصي ، وهو رجل كما يذكره ابن عذاري ليس من اهل الجاه ، وليس معروفا ، وقد كان هذا الرجل يجزل العطاء للبربر (الامازيغ) (٥) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٤٣ المراكشي : المعجب، ص ١٠٢ لوثينا : الحموديون ، ص ٣١ .

(٢) عثان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ٦٦٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٢٧+ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٠ .

(٤) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ج ١ ، ص ٢٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٢٧ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٢+ ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٤٨- ١٤٩ .

من خلال أموال يصادرها من تجار قرطبة رغم العداء المستفحل بينهم ، فقام اهل قرطبة بدس رجل إليه ليقتله ، فقتله في أحد أزقة المدينة ، أما المعتد فقام أهل قرطبة بخلعه سنة ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م ، وقاموا بإلغاء رسوم الخلافة نهائيا ، وسلمت شؤون قرطبة إلى ابن جهور ، وغادر المعتد آخر الخلفاء الأمويين إلى سليمان بن هود صاحب لارده ، وبقي هناك حتى وفاته سنة ٤٢٨ هـ/١٠٣٧ م ، وله من العمر أربع وستين سنة ، ليعلن رسميا تفكك الأندلس إلى دويلات الطوائف (١) .

بالعودة إلى الأسرة الإدريسية الحمودية ، فقد انتهى حكمها السياسي كخلافة بعد مغادرة ممثل يحيى بن علي الحمودي ، واستمرت في حياتها السياسية كدولة من دويلات الطوائف ، على الرغم ان حكامها في مالقا، اصيلا، سبتة، الجزيرة الخضراء، طنجة (جنوب الأندلس - شمال المغرب) ، استمروا بالتلقب بالخلافة ، ولكن في معظم دويلات الطوائف تجد من يعلن نفسه خليفة .

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٢٥٦ + المراكشي : المعجب، ص ١١٠ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس، ص ٢١٢ + الضبي: بغية الملتبس ج١، ص ٣٤ .

ثالثا : قيام دول الطوائف

إن من أول نتائج سقوط الخلافة وانهيار سلطتها على الأندلس قيام دول الطوائف ، فتقاسم القادة والزعماء والوزراء الأندلس ، كل يأخذ قطعة يحكمها بنفسه، فكانت دويلات الطوائف ، وعمل أفضل تعليق على هذا الحال ، ما علق به ابن الخطيب عن دويلات الطوائف قال : " ليس لأحدهم في الخلافة إرث ، ولا في الأمانة سبب ، ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، فاقتطعوا الأقطار ، واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العمارات والأنصار ، وجندوا الجنود ، وقدموا القضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتب عنهم الكتاب ، الأعلام وأنشدهم الشعراء ، ودونت بأسمائهم الدواوين ، وشهدت بوجود حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين بربري مجلوب ، ومجنن غير محبوب ، وغفل ليس بالسراة بحسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائرا ، أو لغير الحق مغائرايقول الشاعر

مما يزهد في أرض أندلس سماع معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالمرء يحكي انتفاخا صولة الاسد " (١)

يعطي هذا النص صورة عامه عن حال دول الطوائف ، فكل منهم اتخذ سمة الملك ، ولديه الدواوين والكتاب والعلماء والقضاةالخ ، مما يعني أن هذه الدول كونت كيانات سياسية مستقلة متكاملة من غير الممكن أن تكون وليدة اللحظة ، بل أن هذه الكيانات لم تكن تحتاج سوى سقوط الخلافة لتظهر إلى العلن .

١ - جنوب الأندلس (بني حمود) : استمر الحموديون يحكمون كخلفاء حتى بعد خروج قرطبة عن سيطرتهم ، فبعد خروج يحيى بن علي حمود من قرطبة سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م ، توجه إلى قرمونه ، يريد القضاء على دويلة بني عباد الناشئة ، وفرض نفوذه عليها لإدراكه أن سلطته في الأندلس هي مجرد سلطة أسمية . (٢)

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٨٩ .

لكن اسماعيل ابن عباد كان ذكيا ، وتنبه لخطورة هجوم يحيى بن علي بن حمود ، ولا سيما أنه خليفة شرعي يحكم باسم آل البيت ، فبحث لنفسه عن شرعية وجددها بشخص قروي يشبه هشام المؤيد ، فأدعى أن الخليفة الشرعي هشام موجود عنده ، وأعلن خلافته ، وعين نفسه حاجبا له ، وبهذه الطريقة تمكن ابن عباد من جمع الناس والأنصار حوله ، كذلك أرسل إلى دول الطوائف مطالبا لهم بمبايعة الخليفة الشرعي ، بذلك تمكن من صد هجمات يحيى بن علي بن حمود (١) ، وفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٧م تمكن اسماعيل ابن عباد من مباغته يحيى وقتله (٢)

يحيى كان له ولدين هما الحسن وإدريس ، وكان الحسن ولي العهد ولصغر سنهما تمكنت حاشية الخليفة من نقض وصية أبيهما ، وتعيين أخوه إدريس الذي كان في المغرب يحكم سبته فبويع بالخلافة سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٧م ، وعين الحسن بن يحيى بن علي بن حمود كولي للعهد . (٣)

أهم أعمال الخليفة إدريس بن علي بن حمود هي تمكنه من الثأر لأخيه يحيى ، وقتل اسماعيل بن عباد ، توفي إدريس سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م ، وتنازع على الحكم ابنه يحيى والحسن بن يحيى ابن عمه ، فحكم الحسن كخليفة في سبته الجزء المغربي وحكم يحيى بن إدريس ابن عمه في مالقا الجزء الأندلسي، وبعد شهر من الصراع العائلي تمكن الحسن من خلع ابن عمه ، وأستلام منصب الخلافة وحجر على ابن عمه ، وفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م قتل يحيى بن إدريس مسموما فتأثرت له اخته زوجة الخليفة الحسن بن يحيى ، ودست لزوجها السم . (٤)

أستمر الحموديون يحكمون باسم الخلافة حتى ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وكانت الصراعات العائلية اكبر أسباب اخفاقها في الاستمرار فتقاسم الزيريون والعباديون مناطق نفوذ الحموديين حتى دخول المرابطين ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وقدم يوسف بن تاشفين (٥)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٩٠ .

(٢) طاهر ، كاظم شهور : الشيعة في الأندلس (الخلافة الحمودية العلوية) ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٧٣ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١٣٦ .

(٤) لوثينا : الحموديون ، ص ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .

(٥) طاهر : الخلافة الحمودية ، ص ٧٦ .

٢- **اشبيلية (بني عباد) :** يعود تأسيس هذه الدولة إلى محمد بن ذي الوزارتين ابي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريس بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطف ، وابن عطف هو الداخل إلى الأندلس في طاعة بلج بن بشر القشيري ، وهو من أهل الشام (١) ، بدأت هذه الدولة في الظهور منذ مغادرة القاسم بن حمود المستعلي اشبيلية إلى قرطبة ، لاستلام الخلافة بعد مغادرة يحيى ، وعندما عاد إليها مرة ثانية أغلقت المدينة في وجهه ، ومنع من دخولها (٢) ، ولقد ظلت مدينة اشبيلية تعلن ولايتها للحموديين ، وتدفع لهم المال (٣) حتى اعلان بني عباد ظهور هشام المؤيد الخليفة الشرعي عندهم ، ومطالبتهم الدول الأخرى من دويلات الطوائف مبايعته ، وكان ذلك سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٥م يقول ابن حيان أنه اقل ما يأتيه منه دفع مكروه ابن حمود ، ونظم الناس على حربه ، فأدعى أن هشام عنده وجمع الناس له ، وبايعه الناس من وراء حجاب ، وأنه اتخذ اسماعيل بن محمد بن عباد حاجبا . (٤)

لقد بقيت دويلة بني عباد حتى سقوطها بيد المرابطين، فتنازل بني عباد أولا عن الجزيرة الخضراء تمهيدا لدخولهم الأندلس ، لدفع خطر الفونسو السادس ، ثم قال ابن عباد قولته الشهيرة "رعي الجمال خير لي من رعي الخنازير" ، فانتتهت دويلة بني عباد سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م . (٥)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ..

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، مج ٢ ، ص ٤٨٥ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٤٥ + ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٥ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

٣- **غرناطة (بنو مناد)** سيطر زاوي بن زيري بن مناد على غرناطة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م (١) تقع غرناطة جنوب قرطبة ، وسيطر حكامها على مالقا ، وكانوا في صراع مع بني عباد حكام اشبيلية ، وانتهى عهدها بدخول المرابطين ٤٨٣هـ/١٠٩٠. (٢)

٤- **قرطبة (بني جهور)** ابن جهور : هو جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك ابن جهور بن عبد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن ابي عبيده توفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٤م (٣)

بعد خلع هشام المعتد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م اجتمع أهل قرطبة على تولية أمرهم للشيخ ابي الحزم بن جهور ، وإلغاء رسوم الخلافة ، واختيار مجلس حكم محلي ذو سلطات تشريعية تضم وجهاء وزعماء قرطبة ، واستقرت الأمور في عهد ابي الحزم بن جهور ، وجلس الحكم معه وقد كانت هذه الدولة تمتد من جبل الشارات شمالا حتى غرناطة جنوبا ، ومن منابع نهر الوادي شرقا حتى أستجه غربا . (٤)

استمر حكم بني جهور اربعين سنة حتى ٤٦٢هـ/١٠٧٠م و كانت في حالة صراع مع بني عباد في اشبيلية ، انتهى بسيطرتهم عليها (٥)

٥- **بطليوس (بني الأفطس)** : بنو الافطس جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد ، وهو من قبائل مكناسه (٧) ، وتقع هذه الدولة إلى الشمال من دويلة بني عباد ، وتفصل بينهم جبال الشارات .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، مج١، ص ٥١٣-٥١٤.

(٢) عنان : دولة الإسلام . دول الطوائف ، ص ١٤٥ + ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج١ ، ص ٢٠ + ٢١.

(٣) ابن سعيد المغرب : في حلي المغرب، ج١ ، ص ٢٥ + ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك : الصلة ، ت . ج : ابراهيم الإيباري ، ط١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ج١ ، ص ٢١٥ + الفلقشندي : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج١ ، ص ٣٥٣ + بن خاقان : المطمح، ص ١٨٣.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق١، مج١، ص ٦٠٢ + عنان : دولة الاسلام ، ج٣، ص ٢١.

(٥) الفتح بن خاقان : العقد الفريد ، ص ٥٨ + ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص ١٩٥.

(٦) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٨٥-١٨٧.

(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٨٠.

وتشمل جميع أراضي البرتغال تقريبا ، وعاصمتها بطليوس ، ومن مدنها ماردة، أشبونة(١)، شنترين، يابرة، شذونة، قلمرية، استمر حكمهم أكثر من سبعين سنة ، وانتهى حكمها سنة ١٠٩٥هـ/١٠٨٨م على يد المرابطين (١)

٦- **طليطلة (بني ذي النون)** : يقول ابن عذاري : إن اصحاب التاريخ يذكرون ان بني ذي النون هم من قبيل من البربر الذين كانوا يخدمون الدولة العامرية ، واسم جدهم زنون ، ومع المدة اصبح ذي النون ، وهو اسم شائع في قبائل البربر (٢)، وطليطلة مدينة تقع في وسط الأندلس ، وهي قاعدة الثغر الأوسط ، وكانت أكثر دويلة مواجهة للممالك المسيحية (٣) ، استمر حكم بني ذي النون حتى سنة ١٠٨٥هـ/١٠٧٧م عندما تمكن الفونسو السادس من السيطرة عليها ، وكان سقوط طليطلة من أهم أسباب دخول المرابطين إلى الأندلس (٤)

٧- **دويلة بلنسية:** مدينة ساحلية شرق الأندلس، تعاقب على حكمها الصقالبة العامريون ، وبني ذي النون حتى سنة ١٠٩٥هـ/١٠٨٨م ثم سيطر عليها الفونسو السادس، ثم دخلها المرابطون (٥)

٨- **دويلة سرقسطة (الثغر الأعلى)** من أكبر دويلات الطوائف تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، وتحيط بها الممالك المسيحية من كل الجهات باستثناء الجنوب ، فكاتالونيا من الشرق ، ونافار، ونبره من الشمال ، وقشتالة من الغرب وجزء من الجنوب(٦)

(١) أشبونة : مدينة ساحلية على المحيط الأطلسي غرب الأندلس ، وهي لشبونة(Lisbonne) حاليا عاصمة البرتغال انظر : **العمرى ، شهاب الدين احمد بن فضل الله** : مسالك الابصار فب ممال الأمصار ، ت. ح : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٣٥ + **اليقوبي** : البلدان ، ص ١١٠ + **ابن سعيد** ، **علي بن موسى بن محمد** : المغرب في حلي المغرب ، ت. ح : خليل المنصور ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ج١، ص ٢٨٢ .

الرشاطي : الأندلس في اقتباس الانوار ، ص ٣٣+ **ابن الخطيب** : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٨٣ + **عنان** : دولة الاسلام ، ج٣، ص ٨١.

(٢) **ابن عذاري** : البيان ، ج٣، ص ٢٧٦.

(٣) **عنان** : دولة الاسلام ، دول الطوائف ، ص ٩٥.

(٤) **القلقشندي** : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج١ ، ص ٣٥٤+ **المقري** : نفع الطيب ، ص ٤٤١ + **ابن بسام** : الذخيرة ، ق٤ ، مج١، ص ١٦٨

Ali khan : history of world civilization(Spain) ,p66

(٥) **ابن الخطيب** : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ١٨٣-١٩٢+ **عنان** : دولة الإسلام، ج٣ ، ص ٣٠٥.

(٦) **عنان** : دولة الإسلام ، ج٣، ص ٢٦٥-٢٦٦ + **اليقوبي** ، **احمد بن ابي يعقوب** : البلدان ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١١١ .

وتعد هذه الدولة من أقدم الدويلات استقلالا عن السلطة المركزية ، بسبب قربها من الممالك المسيحية فرضت عليها سياسة جهادية وسرعة في اتخاذ القرار دون انتظار السلطة المركزية ، وقد تولى حكمها يحيى بن عبد الرحمن التجيبي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م بأمر من المنصور بن أبي عامر ، وظل حاكما عليها حتى سنة ٤٠٨هـ/١٠١٨م (١) ، ثم خلفه ابنه المنذر ، وكانت تربطه علاقات قوية مع الممالك المسيحية (٢) .

استمر حكم التجيبين حتى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م ، ثم أصبحت تحت حكم بني هود ، وقد حكمها سليمان بن هود حتى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٥م ، وقد قام عند وفاته بتقسيم هذه الدولة على ابنائه الخمسة ، فولى احمد سرقسطة ، ويوسف لاردة ، ومحمد قلعة ايوب والمنذر تطيلة ولبا مدينة وشقة ، وقد تصارع هؤلاء الأخوة على الملك ، وتقاسم الإرث ، وهنا يظهر جليا أثر أوربا الغربية ، والنظام الإقطاعي حيث تعد الأرض ملك للسيد ، والملك ارث يتقاسمه الأبناء (٣)

تمكن المقتدر من السيطرة على أملاك أخوته ، وعند وفاته أيضا قام بتقسيم دويلته على أبنائه ، فأعطى ابنه يوسف سرقسطة وأعمالها ، والمنذر لاردة ، وطرطوشه ، ودانية ، واستمر حكم بني هود حتى سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م ، لينتهي حكمهم على يد المرابطين ، وقد حكموا سبعين سنة . (٤)

٩- دانية والجزائر الشرقية (بنو مجاهد) : في ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م تمكن مجاهد العامري من السيطرة على دانية والاستقلال بها ، وتقع على الشاطئ الشرقي للأندلس المطل على البحر المتوسط ، وتمكن مجاهد من السيطرة على سردينية سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م (٥) ، ثم اضطر مجاهد للانسحاب منها ، تحت ضغط قوات التحالف المسيحي بقيادة البابا بندكتوس الثامن ، وظلت سيطرة بني مجاهد على دانية ، والجزائر الشرقية ميورقة، مينورقة، يابسة (٦)

(١) عنان : دولة الإسلام ، ج٣، ص ٢٦٤- ٢٦٥.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ١٧٥.

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ٢٢٣- ٢٢٤- ٢٢٥+عنان : دولة الإسلام ، ج ٣، ص ٢٧٢ .

(٤) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ١٦٠- ١٦٣- ١٦٤ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٣، ص ١٥٥ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٢٠٣+ الفلفشندي : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص ٢٠٣- ٢٠٤- ٢٠٥ عنان : دولة الإسلام ، ج٣، ص ١٩٤ - ١٩٩ .

استمر حكم بني مجاهد حتى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م ، فسيطر عليها بني هود ، وفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م تمكنت الممالك المسيحية من السيطرة على هذه الجزائر ، وكانت إعادة فتحها على يد المرابطين سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م ، وقد قامت عدد من الدويلات الصغيرة في الأندلس مثل :

- بني برزال في قرمونه (٢)
- بني يفرن في رنده (٣)
- بني دمر في مورو (٤)
- بني خزرون في أركش (٥)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧-٢٢٨.

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، الذيل ص ٣١١.

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣١٢.

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٥.

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧١.

رابعاً : إحصاء بشكل نهائي

- منذ ٣٩٩هـ/١٠٠٩م حتى ٤٢٢هـ/١٠٣١م ، تعاقب تسعة خلفاء ثلاثة عشر مرة على الخلافة
- وعدد الخلفاء تسعة هم : ١-محمد بن هشام بن عبد الجبار ٢-المستعين ٣-هشام المؤيد ٤-علي بن حمود ٥-القاسم بن حمود ٦-يحيى بن علي بن حمود ٧-المستظهر ٨-المستكفي ٩-المعتد.
- حكم خمسة منهم مرتين هم : ١-هشام المؤيد ٢-محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣-المستعين ٤-القاسم بن حمود ٥-يحيى بن علي بن حمود
- أربعة منهم انتهت خلافتهم قتلاً في قصر الخلافة هم : ١-محمد بن هشام بن عبد الجبار ٢-سليمان بن الحكم (المستعين) ٣-علي بن حمود ٤-المستظهر
- تمكنت أسرتين من استلام الحكم ، وكلاهما أخفق في تثبيت الحكم هم: أسرة هشام ابن عبد الجبار خليفتين ، غير متعاقبين هما محمد بن هشام بن عبد الجبار (مرتين) وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (المستظهر) مره واحده الأسرة الثانية الأسرة الإدريسية الحمودية تعاقب منها ثلاث خلفاء على الحكم هم علي بن حمود (مرة) - القاسم بن حمود(مرتين) - يحيى بن علي بن حمود (مرتين) منها أربع مرات متتالية هي علي بن حمود -القاسم -يحيى - القاسم - ، ثم قطعت خلافتهم ب المستظهر المستكفي ، ثم يحيى ويمكن إضافة أسرة محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر منها ظهرت محاولتين الأولى المرتضى ، وأخفق والثانية للمعتد.
- أطول حكم هو لهشام بن محمد بن عبد الملك (المعتد) ، حيث حكم أربعة سنين وسبعة أشهر ، وهو آخر الخلفاء منها قرابة ثلاث سنوات من خارج قرطبة ، ثم يليه القاسم أكثر من اربع سنوات منفصله الأولى (ثلاث سنوات وخمسة اشهر) الثانية (سنة أشهر) ، ثم يليه المستعين قرابة اربع سنوات الأولى (سبعة أشهر) الثانية (ثلاث سنين وثلاثة أشهر)
- أقصر حكم هو لعبد الرحمن (المستظهر) أقل من خمسين يوماً ويحيى بن علي بن حمود (الخلافة الثانية) أقل من شهرين .
- خليفتان حكما كخليفة من خارج قرطبة هما : يحيى بن علي بن حمود من مالقا (شهرين) والمعتد من الثغر (البوننت) سنتين وسبعة أشهر.
- ثلاثة خلفاء أدعوا الخلافة توفوا خلال اربعين يوماً سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م منهم اثنين قتلا ابن العراقي والمستظهر وواحد وفاة هو المرتضى

خامسا : استنتاج

هذه النتائج تدل على حالة الفوضى السياسية التي عاشها الأندلس خلال ثلاثة وعشرين سنة ، كانت كفيلا بأنهاء الخلافة في الأندلس ليس ذلك فحسب بل بانهيار النظام السياسي في الأندلس ، وعدم قيام شرعية جديدة تقود الأندلس فعلى الرغم من المحاولات التي قام بها الأمويون والحموديون لإنقاذها لكنهم أخفقوا لماذا ؟ وهل شغلت الأسرة الإدريسية الحمودية دورا في الأندلس ؟ ولماذا أخفقت في الحفاظ على الخلافة بما تملكه من شرعية ؟

إن الاخفاق الأول للثورة الأولى لمحمد بن هشام بن عبد الجبار مرده إلى ان الصراع كان عبارة حرب أهلية وليست ثورة تمثل كل مكونات المجتمع الأندلسي فتورة ابن عبد الجبار وأهل قرطبة لم تسقط ولي العهد شنجول بل أعلنت الحرب على البربر (الامازيغ) ، الذين باتوا يشكلون مكون اجتماعي أساسي وقوي في الأندلس ، ثم أن الاستعانة بالخارج من الممالك المسيحية ، كانت سبب في استمرار الحرب الأهلية ، وعدم تمكن طرف من التغلب على الطرف الآخر ، وفرض سلطته عليه .

هذه العوامل تنطبق ايضا على سبب اخفاق المستعدين والبربر (الامازيغ) في الحفاظ على السلطة ، لكن من جاء بعدهم هم الأدارسة الحموديون ، وهؤلاء يملكون شرعية لها أثر في النفوس ، وهي أنهم من سلالة آل البيت

في حقيقة الأمر الأسرة الإدريسية الحمودية أخفقت في انقاذ الخلافة ، ولم تتمكن من شغل دور بارز في تاريخ الأندلس السياسي بشكل عام ، بل أنها كانت دولة من دول الطوائف ، على الرغم من أنها كانت أبرز أسرة في مرحلة الفتنة ، واسباب هذا الأخفاف :

-أنها جاءت في مرحلة استفحل فيها العداء بين البربر الامازيغ وبين الامويين والأندلسيين .
- صغر هذه الاسرة ، فبعد رحيل الأدارسة عن المغرب ، لم تجد من يساندها من ذات الأرومة ، فاضطرت كما فعل المنصور ، الاعتماد على البربر الامازيغ ، الذين تربطهم بالأدارسة علاقة وطيدة وقديمة ، لكن البربر الامازيغ كانوا قد انغمسوا في الحرب الاهلية ، فظهر الأدارسة الحموديين كطرف في هذا الصراع .

-ترسخ دور الزعامات المحلية في الأندلس ، فكل قائد تمسك بما لديه ، واقتصرت بيعتهم على المبايعة الأسمية ، وهذا ما أدركه يحيى بن علي الحمودي ، عندما ترك الخلافة في قرطبة ليهاجم الأمير اسماعيل بن عباد لكنه اخفق .

- الصراعات العائلية داخل الأسرة الحمودية ، فرق اتباعها ، وأضعف قوتها وهيبته واحترامها أمام الناس .

- وجود عدة شرعيات كانت تتصارع على الخلافة ، صرف انظار الأندلسيين عن خلافة بني حمود ، فادعاء بني عباد وجود هشام المؤيد ، وظهور أكثر من دولة من دويلات الطوائف تعلن وجود خليفة شرعي ، كل هذا صرف الأنظار عن الأسرة الحمودية

في حقيقة الأمر باستثناء البربر (الأمازيغ) ، كان الكثير من الناس بشكل عام تنظر إلى الصراع بين آل البيت والأمويين ، على أنه صراع بين شرعيتين ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم قال (الحكم في قريش) ، وهذا الحديث استغله الأمويون كثيرا

هذا الصراع يعود إلى الرعييل الأول من الصحابة ، منذ الصراع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنهم ، وأستمر طيلة أيام الحكم الإسلامي على مر التاريخ ، ولطالما أثار جدلا واسعا بين المؤرخين ، لكن ما يمكن الاستفادة منه ، أنه عبر تاريخ هذا الصراع ، كان من الناس من نظر إلى الحكم الأموي ، على أنه حكم شرعي ، والصراع مع آل البيت ، هو ليس صراع مع من يجب أن يكون خليفة المسلمين ، باعتبار نسبهم يعود للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل نظروا إليه كصراع مجرد داخل قريش ، وهذا ما جعل الحموديون في الأندلس يفتقدون الدعم الكامل ، يضاف إلى ذلك أيضا قلة وضعف آل البيت عبر التاريخ ، مقابل العصبية والأرستقراطية الكبيرة لدى الأمويين ، التي تملك المال والقوة والقدرة على التجنيد وجمع الناس ، عكس ذلك لدى الحموديين وآل البيت بشكل عام ، فعلى مر ثوراتهم ضد الحكم الأموي أو العباسي ، كانوا دائما ما يضطرون الاعتماد على جماعات تريد استغلال شرعيتهم ، للوصول إلى المنصب والجاه .

- اعتماد هذه الأسرة على البربر (الأمازيغ) ، ونتيجة صغر هذه الأسرة ، فقد تمكن البربر (الامازيغ) ، من اعتلاء الخطط السياسية ، واصبحت لهم كلمة الفصل في تعيين الخليفة .

- ارتباط هذه الأسرة بآل البيت، شكل خطر كبير على دويلات الطوائف ، مما جعل الزعامات المحلية الموجودة في الدويلات المجاورة غرناطة واشبيلية ، تتحد لمقاتلة الأسرة الحمودية ، مما عرض قوتها للإنهك الشديد .

- ابتعاد الأندلسيين عن العقيدة الإسلامية ، وانصرافهم للانغماس بالملذات والترف ، فالقارئ للأحداث الصراع بين البربر الامازيغ واهل قرطبة ، يلاحظ مدى بطش كل طرف بالآخر ، واستعانتهم بالممالك المسيحية في سبيل هزيمة الطرف الآخر المسلم ، كل هذا يدل على ابتعاد الأندلسيين عن العقيدة لصالح العصبية القبلية مرحليا ، حتى ظهور الأسرة الحمودية ، ثم الأحداث التي تلتها شهدت تحول ، واصبحت الولاءات للزعامات الأكثر سطوة ومالا وقوة .

في الختام تبقى محاولات الأمويين انقاذ الخلافة ، ومحاولاتهم لم تكن أقوى من محاولة الحموديين ، في الحقيقة ينطبق الكثير من العوامل السابقة على سبب اخفاقهم ، منها الصراع الأموي الداخلي ، ووجود شرعيات متعددة كالحموديين في جنوب الأندلس وتفكك المدن الأندلسية .

النتائج الاحصائية السابقة ، تعطي القارئ فكرة كافية ، عن انهيار النظام السياسي مع بداية مرحلة الفتنة ، حيث اصبح الخليفة غير قادر على حماية عرشه ، وبات يحكم قرطبة فقط ، وقيام اكثر من خليفة يحكم من خارج قرطبة ، يدل على انهيار النظام الأمني ، فلا قوة ولا شرطة ولا جيش قادر على حماية الخليفة وقصره .

بالمجمل هذه المرحلة شهدت انهيار النظام السياسي ، بشكل كامل ، وسقوط الخلافة ، فما هي عوامل هذا الانهيار وما هي نتائجه ؟ وما هي أسس النظام السياسي وهل لهذه الأسس دور في السقوط ؟ هذا ما يستكمل في الفصل اللاحق .

الفصل الثاني

نظم الحكم وعوامل ونتائج سقوط الخلافة



طليلة (الثغر الأوسط)



قصر الجعفرية ، سرقسطة (الثغر الأعلى)

أولاً : الخطط السياسية

١ - الخلافة : لقد كان نظام الحكم في عصر الخلافة نظام وراثي ، حيث تؤول الخلافة بعد وفاة الخليفة لأحد أبنائه ، وكان الخليفة هو رأس السلطة ، وبيده كل الأمور ، أما عن مراسم استلام الخلافة ، فتأخذ البيعة للخليفة من كبار مسؤولي القصر ، وفتيان كالصقالبة الذين اعتمدت عليهم الخلافة كثيرا ، والامويين وأقارب الخليفة و الوزراء (١) ، ثم وجوه الناس من الحكام والقضاة والعدول (٢) ، وتكون البيعة بأن يصفق المبايع يده على يد الخليفة الجديد بهيئة المصافحة ، ثم يجلسون في مجلس الخليفة عن يمين وشمال والخليفة في الوسط (٣) .

ويصف المقري عملية البيعة بالتفصيل : " وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، في البهو الأوسط ، فأول من وصل اليه الأخوة ، فبايعوه وألزموا الايمان المنصوصة لكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم الوزراء ، وأولادهم ، واخوانهم ، ثم اصحاب الشرطة وأهل الخدمة ، وقعد الاخوة والوجوه عن يمينه وشماله ، وكان هؤلاء المبايعون يلبسون الأبيض حزنا على الخليفة المتوفى ، ثم يصطف ورائهم الفتيان والوصفاء ثم الخصيان ثم الرماة ، متتبيين قسيهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول ، شاكين في الأسلحة الرائقة والعدة الكاملة " (٤) .

هكذا كانت تتم مراسم البيعة للخلافة الأموية بشكل عام قبل عصر الفتنة ، والتي ابتدأت بالاستبداد العامري الذي دمر الخلافة ورسومها ، وجعلها خلافة اسمية صوريه ، فاختفت في عصر الفتنة من ٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م الرسوم السابقة (٥) .

(١) المقري : نفح الطيب ، ص ٣٨٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ٦٠ .

(٣) الخلف : نظم الحكم ، ج١ ، ص ١٣٤ .

(٤) المقري : نفح الطيب ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٥) الخلف : نظم الحكم ، ج١ ، ص ١٣٩ .

واصبحت البيعة إما في مسجد قرطبة ، أو في قصر الخلافة دون الإجراءات السابقة ، حتى أن آخر الخلفاء الامويين بويج ، وهو موجود خارج قرطبة وعندما وصل بعد سنتين من البيعة جددت البيعة له (١) .

كما انه اتت مدة على الخلافة كان هناك اكثر من خليفة . وكلاهما يعترف بالآخر كالقاسم بن حمود ويحيى بن حمود . يقول ابن حزم : " خليفتان تصالحا وهو أمر لم يسمع بأذل منه . ولا أدل على إدبار الأمور ، ليحيى بقرطبة ، والقاسم بأشبيلية " (٢) .

ولأن عصر الفتنة هو عصر اضطراب ، وليس عصر استقرار ، فلم يكن الخليفة يستقر حتى وفاته ثم تأتي ولاية العهد لأحد ابنائه ، فلقد كان عصرا مختلفا كل خليفة فيه مرت عليه رسوم وبيعة مختلفة عن الآخر ، ووصلت الامور في نهاية المطاف إلى قمة السخرية ، عند خلع المعتد آخر الخلفاء الامويين سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م ، عندما حاول أميه بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الناصر تولي الخلافة ، فقال له أهل قرطبة نخشى عليك القتل في هذا اليوم لشدة الفوضى فقال : "بايعوني اليوم واقتلوني غدا" (٣) .

وبسبب حالة الفوضى السياسية ، لم يكن انتهاء عهد الخليفة مقترنا بوفاته ، بل كان اشبه بعمليات انقلابات عسكريه متوالية ، وثورات وحرب اهليه تداخلت فيها عوامل داخلية وخارجية ، واطماع شخصية انتهت إلى تدمير الخلافة ، وظهور دول الطوائف ، وقد ظهرت في هذا العصر عملية الخلع : بعد ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار التي قتل فيها الحاكم الفعلي الحاجب شنجل ، وخلع الخليفة هشام المؤيد حيث طلب محمد بن هشام بن عبد الجبار من هشام المؤيد خلع نفسه عن الخلافة بحضور اثنين من كبار فقهاء قرطبة ، وشهدوا على خلع هشام المؤيد لنفسه ، ومنحها لابن عبد الجبار ، وتلى هشام المؤيد قوله تعالى {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء} (٤) وكان ذلك سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٩م (٥) .

(١) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٧ + المراكشي : المعجب ، ص ١١٠ + الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٨ .

(٢) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٠ - ٩٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

(٤) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، آية ١١٦ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

أما عملية الخلع الثانية فقد كانت لنفس الشخصيات ، فبعد عودة هشام المؤيد للخلافة سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م ، عاد المهدي إلى قرطبة في خلافته الثانية ، وأحضر هشام ، وطلب منه أن يخلع نفسه ففعل ذلك (١) ، أما عملية الخلع الثالثة ، فكانت في عهد المستكفي ٤١٦هـ/١٠٢٥ ، فدخل عليه أهل قرطبة وخلعوه ، وقالوا : "قدر اضطررنا الى مكافحة عدونا ، ونحن خارجون إليه ولا ندري ما يحدث عليك " (٢) فقبل المستكفي خلع ، أما عملية الخلع الرابعة ، فكانت في عهد هشام المعتد آخر الخلفاء الامويين ، فاجتمع أعيان واهل الرأي في قرطبة ، وقرروا خلع الخليفة ، وإلغاء الخلافة ورسومها وكان ذلك سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ (٣) .

٢- ولاية العهد : سار نظام ولاية العهد طيلة العصر الأموي في الأندلس ، وفق منهج منظم ومحدد ، حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، فقد انحرف هذا النظام عن مساره ، ففي مرحلة الاستقرار عند تولي هشام المؤيد ولاية العهد من ابيه المستنصر ، وكانت تولية هشام للعهد سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م ، فأحضر المستنصر وجهاء الدولة وقادتها من وزراء وقادة شرطة وجيش وقضاة ، وأعلن في هذا المجلس عزمه تولية العهد لابنه هشام من بعده ووزع كتب البيعة عليهم ، وكتبوا شهادتهم بولاية عهد هشام لأبيه (٤) .

أما في مرحلة الفتنة الممتدة من ٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م ، فلقد اختلفت الأوضاع تماما ، وانهارت الخلافة الأموية ورسومها أيضا ، ففي نهاية مرحلة الاستبداد العامري ، قام شنجل ببتتويج هذا الاستبداد بإنهاء دور الامويين تماما ، وطلب من هشام توليته العهد ، فكتب هشام له في ذلك مبررا أسباب اختياره لولاية العهد ، بعدم وجود من هو اكفاً منه (٥) ، وفي سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م كتب المستعين بولاية العهد من بعده لابنه محمد ، وقد كتب ابن برد نص ولاية العهد ، وكان هذا الكتاب يبين اسباب الاختيار ، وابن برد نفسه من كتب ولاية العهد لشنجل ، ففي كلا الكتابين (٦) يبين اسباب الاختيار ، في أنه لمصلحة المسلمين .

(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٦) ملحق رقم ٤ + ملحق رقم ٥ .

وأنة أتى بعد استخارة ويختلف الكتابان ففي الكتاب الأول يكثر من الدعاء للخليفة هشام ، أما الثاني فلا ، وفي الأول يكثر من الألقاب لولي العهد ، والثاني دون القاب وفي الأول يوضح نسب شنجول الذي هو معافري من بني قحطان ، مستشهدا بحديث يعزى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم " لن تقوم الساعة حتى يخرج رجلا من بني قحطان يسوق الناس بعصاه " ، واختتم ابن برد الخطابين بالدعاء للمسلمين (١) ، أما ولاية العهد في مرحلة الفتنة عموما ، فقد كانت تقتصر فقط على الدعاء لولي العهد على المنابر ، وقد استغل منصب ولاية العهد كثيرا ، فقد ادعى علي بن حمود أن كتاب وصله من هشام المؤيد ، بتوليته العهد ، وأنه سيسير الى قرطبة لتخليص الخليفة (٢) .

٣- الحجابة : مع بداية العصر الأموي في الأندلس ، ظهر منصب الحجابة في الأندلس ، وقد كان تعيين الحاجب يأتي من الخليفة مباشرة ، وكان يخصهم بالمجالسة ، وقد كان هذا المنصب وراثي يقول المقرئ : " وكانت المراتب متوارثة في البيوت الملزمة لذلك " (٣) ، ويشبه منصب الحجابة منصب رئيس الوزراء فكان مسؤولا عن جميع الوزراء ومن مهامه أخذ البيعة لولي العهد (٤) ، وهو المسؤول عن حركة الخليفة وحمايته ، وهو مستشاره في الحروب ، ومسؤول عن رفع جميع أمور الدولة إلى الخليفة ، فهو عينه ويده (٥) .

اما بالنسبة إلى المرحلة التي سيطرت فيها الحجابة على الخلافة ، ثم مرحلة الفتنة ، فكان الوضع مختلفا تماما ، فبعد أن تمكن المنصور ابن أبي عامر من التخلص من منافسيه ، فقد تولى الحجابة ، واستبد بالخلافة (٦).

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق، مج، ١، ص ١٠٤ + ابن عذاري : البيان ، ج، ٣، ص ٤٣ - ٤٤ + ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج، ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ + الخلف : نظم الحكم ، ج، ١، ص ٢١٧ .

(٢) الخلف : نظم الحكم ، ج، ١، ص ٢٢٨ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ت. ح : محمود علي مكي ، ص ١٦٦ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ت. ح : محمود علي مكي ، ص ١٦٦ + الخلف : نظم الحكم ، ج، ١، ص ٤١٢ - ٤١٥ - ٤١٦ .

(٦) ابن عذاري : البيان ، ج، ٢، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ + ابن بسام : الذخيرة ، ق ، ٤ ، مج، ١، ص ٥٨ - ٥٩ .

فبنى المنصور مدينة له أسماها الزاهرة ، وبنى قصرا لنفسه ، وحجر على الخليفة باعتباره وصيا عليه ، فقد كان ينفذ ويتحكم بجميع مفاصل الدولة وشؤونها (١)

لكن قرارات المنصور كانت تصدر باسم الخليفة ، يقول : " أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا " (٢) ، فلا يعترض عليه أحد في أي شيء ، ولم يكن الحاجب المنصور يأذن لاحد بالدخول على الخليفة هشام ، فلم يكن للخليفة سوى الدعاء على المنابر ، ونقش اسمه على السكة (٣) .

في سنة ٣٧١هـ/٩٨١م اتخذ ابن ابي عامر لقب المنصور ، واصبح يصدر القرارات : "من الحاجب المنصور الى...." (٤) ، كذلك أخذ سمة الخلافة بالدعاء له على المنابر ، ونقش اسمه على السكة والطرز (٥) ، وفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م تخلى المنصور عن صفة الحجابة ، التي أعطاها لابنه عبد الملك ، وتلقب بالمنصور فقط ، وانشأ جيشا خاصا له من البربر الامازيغ . (٦)

في سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م استشار المنصور كبار رجال دولته ووجهائها بموضوع توليته الخلافة ، وبناء على ما نصح به أن الأمور كلها بيده ، وإنه ليس بحاجة هذا الاسم ، وما يجره ذلك من فتن فتوقف عن طلب الخلافة لنفسه (٧) .

على الرغم من ذلك أراد المنصور ان يتخلص من أي أموي قادر على الثورة ضده ، فتخلص من اي رجل أموي قادر على تولي الخلافة ، وقطع خاتم المؤيد عن الكتب والمراسيم ، ونقل الاموال والإدارة إلى الزاهرة سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م (٨) .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٦٢ + ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٥ + ابن بسام : النخبة ، ق٤ ، مج ١ ، ص ٦١

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٧٩ .

(٣) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

(٦) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

(٧) ابن حزم : رسائل ابن حزم (نقط العروس) ، ص ٦٧ .

(٨) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨٤ .

أما خليفة المنصور ابنه عبد الملك ، فلقد سار على نهج والده تماما ، فاستمر بسياسة أبيه ، ولكن لم يقترب من منصب الخلافة (١) ، وفي عهد عبد الرحمن اخو عبد الملك ابن المنصور ابن ابي عامر ، فقد اتخذ منهجا مختلفا ، فلم يكتف بالحجابة فطلب ولاية العهد لنفسه "ففعل ذلك هشام لسوء تصرفه وضعفه" (٢)

أما الحجابة في عصر الفتنة ، فلم تكن الخلافة مستقرة كي تكون الحجابة مستقرة ، ولم يكن للحاجب مهمة يعتد بها ، كذلك لم تهتم المصادر في حقيقة الأمر بهذه الخطط خلال الفتنة ، ولا تمد هذه المصادر سوى بأسماء من تولوا هذه المناصب ، فعند تولي محمد بن عبد الجبار عين ابن عمه محمد المهدي في هذا المنصب (٣) ، وفي خلافته الثانية عين واضح الفتى العامري (٤) ، كذلك كان هذا المنصب شاغرا عندما تولى هشام المؤيد الخلافة لعدة أيام خلا عصر الفتنة (٥) ، وممن تولوا هذا المنصب ابن حزم ، واستمر فيه شهرين . (٦)

٤- الوزارة : معنى كلمة وزاره يقال انها مأخوذة من الوزر ، أي الثقل والعبء ، والوزر هو الملجأ والمعتصم ، قال تعالى : { كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر } (٧)

أما مهام الوزير فقد أتت بوضوح في القرآن الكريم { وأجعل لي وزيرا من أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه في أمري } (٨)

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٨١ - ٨٢ - ٨٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ٣٨ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١١٠ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ١٠٠ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١١٨ .

(٦) المراكشي : المعجب ، ص ١٠٧ .

(٧) القرآن الكريم : سورة القيامة ، آية ١١ + الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ت. ح : احمد مبارك البغدادي ، ط١ ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ١٩٨٩ م ، ص ٣٣ .

(٨) القرآن الكريم : سورة طه ، آية ٢٩-٣٢ .

ظهرت الوزارة بشكلها المعروف في عهد عبد الرحمن الناصر ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢ م ، حيث اتخذ مجموعة من معاونين والمستشارين وجعل عليهم الحاجب مسؤولاً بما يشبه رئاسة الوزراء (١) ، وكان الوزراء يقومون بمهمة الإشراف على عدد من الأمور ، منها المواريث ، بيت المال ، الشرطة ، المظالم ، ودار السكة (٢)

لقد كانت الوزارة ذات منصب مهم قبل استبداد الحجاب العامريين على الخلفاء، ففي عهد المنصور ابن ابي عامر لم يكن هؤلاء الوزراء يصلون للخليفة إلا نادرا (٣)، ومما يدل على ضعف مكانة الوزارة في ذلك الوقت ، إنه عندما أتى زيري بن عطيه من المغرب الى الأندلس ، شعر بالإهانة لأن المنصور منحه لقب الوزير ، وليس أمير ، وعندما هناك أحد أتباعه بالوزارة ، قال: "وزير من يا لكع؟"، أي أن الوزير مجرد تابع وأداة لتنفيذ الأوامر وليس بيده من السلطان شيء (٤) أما في عهد عبد الملك فارتفع شأن الوزارة ، وتنفس الصعداء ، فاتخذ عبد الملك عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع وزيرا، وتولى ابن القطاع الكثير من أمور الدولة (٥) يقول ابن عذاري : " وأعمل وجوه حيلته ، وأعلى صنائعه، فأعلى منازلهم، واستأثر عليهم بدنياه ، وابتغى المال من مبعاه ، فبلغ في ذلك مداه ، فما كان أحد يلي عملا للسلطان ، ولا يتولى جهة ، إلا أسهم في فائدته " . (٦)

ولقد كان هذا الوزير مصدر ثقة وذا شأن كبير عند المظفر عبد الملك ، حتى ثورته مع هشام بن عبد الجبار ، والد محمد التائر على شنجول ، فكشف أمره وقتل (٧)

(١) الخلف : نظم الحكم ، ج١، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٢) القلقشندي : مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج١، ص ٧٥ + الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص ٣٣ + ابن حيان : المقتبس ، ت. ح : محمود علي مكي ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(٣) الخلف : نظم الحكم ، ص ٤٧٥ .

(٤) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص ٢٢ .

(٥) ابن بسام : النخبة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ١٢٤ .

(٦) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

(٧) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩ - ٣٠ - ٣١ + ابن بسام : النخبة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ١٢١ .

أما في مرحلة الفتنة فلم تكن الوزارة ذات شأن كبير بسبب التقلبات والحروب ، ولقد مر عليها المؤرخون مروراً عابراً ، فذكر ان وزراء المهدي تقتحمهم وقماره (١) ، أما المستعين والقاسم بن حمود فذكر أن حكوماتهم من البربر (٢) ، ويحيى بن علي بن حمود انه أعتمد على أراذل الناس (٣) ، هكذا وصلت الوزارة في عهد الفتنة الى مكانة وضعية ولم يظهر للوزارة أي دور ، إلا عندما أتفق اهل قرطبة ووزرائها على خلع الخليفة المعتد ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م (٤)

٥- القضاء والشرطة : عندما تولى المنصور ابن ابي عامر الحجابة ، سمي قاضي الجماعة بقاضي القضاة، وتولى هذا المنصب في عهد المنصور أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، وهو الذي شارك المنصور في معظم غزواته ، وكان له مكان أقامه خاصة لدى المنصور بن ابي عامر ، وقد أعطاه المنصور خطة الوزارة إلى جانب خطة القضاء في مرحلة الفتنة ٣٩٩-٤٢٢ هـ/ ١٠٠٩-١٠٣١ م ، أصاب نظام القضاء كما باقي الخطط الخلل والاضطراب ، فلم يعد للقاضي أي أهمية ، وفي عهد الخليفة المستعين (٤٠٣-٤٠٧هـ/١٠١٣-١٠١٧م) ، ألغي هذا المنصب نهائياً إلى أن أعادة بني حمود(٥) ويتبع القضاء جهاز الشرطة ، ومسؤوليته ضبط الأمن ، ومعاينة المخلين به ، ويذكر المقرئ ، أن الأندلسيين يسمون صاحب الشرطة صاحب المدينة ، أو صاحب الليل ، ويحق له أنزال عقوبة القتل دون إذن السلطان ، لكن يبقى منصبه أدنى من سلطة القاضي (٦) .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص٤٧ .

(٢) ابن بسم : الذخيرة ، ق ١ ، مج ١ ، ص٤٥ + مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص٢٠٣ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ص٤٨٦ .

(٤) النباهي : ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن : تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا) ، ط ٥ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .

(٥) النباهي : المراقبة العليا ، ص ٨٨-٨٩ + ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٢ . السامرائي ، خليل ابراهيم : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط ١ ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، الباب ٥ ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ + الخشني : ابي عبد الله محمد بن حارث بن أسد : قضاة قرطبة ، ت. ح عزت العطار الحسيني ، مكتبة الاستقامة ، تونس ، ١٩٥٣م ، ص ١١-١٢ .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٢١٨ .

ثانيا : أسس قواعد نظم الحكم في الأندلس ومدى تناظرها مع أوروبا الغربية

١- الأندلس : تعد الأندلس جغرافيا جزءا من أوروبا الغربية ، ولذلك تقضي دراسة نظم الحكم السياسي فيها الاطلاع على نظام الحكم أو نظم الحكم في أوروبا الغربية ، وتأثير كل منهما بالأخر حيث أن النظام الإقطاعي الذي هو نظام حكم سياسي واجتماعي واقتصادي كان سائدا في أوروبا الغربية ، في حين أن نظام الحكم السياسي في الأندلس لم يكن مركزي الإدارة بل كان أشبه بكيانات أو أمارات متعلقة بالمركز قرطبة ، وقد فرضت ظروف القتال الدائم على حدود الأندلس الشمالية والممالك المسيحية في الشمال بناء الحصون العسكرية ، وظهور وبروز القادة العسكريين ، وأقطاعاتهم الخاصة بهم وبفرسانهم وجنودهم ، كذلك كانت الأندلس بلدا زراعيا ، (١) فعلى الرغم من النظام الاسلامي في الأندلس ، فإن ظروف الفتنة والانقسامات جعلت الأندلس تحكمه عوائل تتوارث الحكم بكل مدينة ، وخصوصا عصر الفتنة وفي عصر دول الطوائف لذلك كان الأندلس شبيها بأوروبا الغربية ، ولذلك وجبت دراسة النظام الإقطاعي في أوروبا الغربية واطلاعها السياسية ، ومقارنة ذلك مع الأندلس .

إن من يدرس جغرافية شبه الجزيرة الإيبيرية ، يجد أن حدودها الطبيعية تصلح تماما لان تكون حدودا سياسية إدارية ، فسلال الجبال ووديان الأنهار التي تقطعها في خطوط مستعرضة من الشرق الى الغرب أو العكس، فقد قسمتها الى أقسام طبيعية يمكن تحويلها الى وحدات إدارية وعسكرية واضحة المعالم ، وهذا ما فعله الرومان والقوط في هذه التقسيمات ، وعندما جاء المسلمون جعلوها مدنا civitas وكورا بمعنى ولايات بدلا من provingias وأضافوا اليها عدد من المنشآت كالمسجد وقصر الخلافة (٢) ، إذ لم يغير العرب ما وجدوه من تقسيم إداري في الأندلس ، بل أخذوا هذا النظام وأعطوه صفة إدارية مع تعديلات اقتضتها ظروف الدولة العربية الإسلامية (٣) ، لم يكن الأندلس نظاما مركزي الإدارة ، بل كان أشبه بكيانات متعلقة بالمركز فكان التقسيم الإداري يقسم الأندلس الى أجزاء صغيرة تيسيرا لضبط الامن والمال ، فكانت الأندلس كور، وولايات يتبع هذه الكور مدن، وكل مدينه لها اقليمها، وكان مسؤولو الكور يتبعون الإدارة المركزية وكذلك مسؤولو الاقاليم (٤) .

(١) دوزي ، رينهرت : تاريخ المسلمين في الأندلس، ت: حسين حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م ، ج٢ ص ٤٧ .

(٢) محمود العبري : المكتبة الأندلسية ، alrostag@hotmail.com .

(٣) مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٤٣٦ .

(٤) خلف ، سالم بن عبد الله : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١ ، مكتبة الملك فهد ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٣، ج١ ، ص٣١٥ .

أما بالنسبة للثغور ، وهي المقابلة أو القريبة من خطوط العدو ، أو جبهات الاشتباك ، فلقد عرف الأندلسيون نظام الأجناد أو الكور المجندة أو الأقطاعات العسكرية ، ويسميه العرب بند جمع بنود ويحكمها قادة عسكريون (١) .

ويذكر ابن عذاري ما تقدمه كل كوره أو الاقطاعات العسكرية للقيادة المركزية: "كانت عدة الفرسان المجردة المستغنيين لغزوة الصائفة الى جيليقية في مدة الأمير محمد مع عبد الرحمن ابنه " كورة البيره ٢٩٠٠ ، جيان ١٢٠٠ ، نبره ١٨٠٠ ، باغه ٩٠٠ ، تاكرنا ٢٩٩ ، البزيره ٢٩٠ ، استجة ١٢٠٠ ، قرمنة ١٨٥ ، شذونة ٦٧٩٠ ، رية ١٦٠٠ ، فحص البلوط ٤٠٠ ، مورو ١٤٠٠ ، تدمير ١٥٦ ، قلعة رباح وأوريط ٣٨٧" (٢)

من هذا النص يتوضح ما تقدمه الكور للإدارة المركزية ، وكيف طبيعة علاقتها بها وعلق الدكتور حسين مؤنس على هذا التقسيم " إن ما تقدمه شذونة اضعاف ما تقدم تدمير رغم أن تدمير اكبر منها ولكن الأولى فضلت تقديم الجند على المال " وبناء على ما تقدم يتضح ان لكل مدينة أو كورة حرية التصرف ، لكنها ملتزمة في نهاية المطاف بتقديم شيء للمركز سواء كان جند أو مال مما يعني انها تملك هامش في حرية التصرف ، ولا تخضع للإرادة المباشرة (٣)، وقد كان عرب هذه الكور هم أصحاب الثورات التي شغلت عصري محمد وعبد الله ثم جزءا من خلافة الناصر ، وقد تمسك العرب بهذه الكور بشكل يشبه الاستقلال عن المركز قرطبة ، اعتزازا منهم بما كانوا فيه من استقلال وبما أجمع لهم من ثروة نتيجة هذا الاستقلال (٤) ، وقد استقر الجند العرب في أقطاعاتهم مقابل خدماتهم الحربية ، فاستقر جند الشام في البيرة Elvira حول غرناطة ، وجند حمص في اشبيلية sevillea ، وجند قنسرين في جيان jean ، وجند فلسطين في Sidano ، وجند الاردن في مالقا Malag ، وجند مصر في باجة Beja (٥) .

(٢) مؤنس ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ط٣، دار الرشاد ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ص ٤٣٦ .

(٣) ابن عذاري، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت . ح : كولان- بروفنسال، دار الثقافة، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م ، ج٢، ص ١٠٩ .

(٤) مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٤٣٧ .

(٤) مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٤٣٨ .

(٥) بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ت.ر: حسن قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت ، ص ٤٦ .

أما عن التغييرات التي أحدثها المسلمون في تقسيم الأندلس، فيرى بعض المؤرخين المعاصرين من العرب بشكل عام إن المسلمين حافظوا على ما وجدوه خلال النظام القوطي وقبله الروماني، وأن المسلمين قسموا الأندلس تقسيما إداريا، فساروا على ما وجدوه مع تكييفه، فحولوا الأندلس إلى كور أساسها المدن (١) .

في حين يرى بروفنسال غير ذلك مؤكدا أن التأثير الأموي أنتقل من الشام إلى الأندلس قائلا : "إننا نملك شتى البراهين على أهتمام مؤسس المملكة - يقصد عبد الرحمن الداخل- أن يضع دولته وإطارها الاجتماعي على منوال سوريا الأموية(٢)، ويرى بروفنسال إن الجغرافية فرضت تقسما على الأندلس ويشبهها بسوريا " ما بين اوراق الفيغاس vegas الأندلسية الخضراء وبين الغوطة في مشارف دمشق ، وبين نداء الحنين إلى نخيل الواحات السورية وحوار البساتين على ضفاف العاصي " ويتفق الدكتور حسين مؤنس على أن نظام الأجناد انتقل إلى الأندلس من الشام (٣)، والكورة هي كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من مدينة أو نهر تجمعها (٤) يقول الحميري : "الأندلس اقاليم عده ورساتيق كثيرة وفي كل اقليم منها عدة مدن "(٥) يقول ابن حوقل " ومن معاطم كور الأندلس ريه ومدينتها ارجذونه، ومنها ابن حفصون الخارج على الدولة الأموية، وفحص البلوط المتصل بديار ابن حفصون وريه كورة واسعة وماردة من اعظم مدن الأندلس، واعظم مدينة في الأندلس قرطبة" (٦)، أما كور الأندلس فليس هناك عدد دقيق ذكره المؤرخون، ويحصى بروفنسال ٢٧ كوره هي : قرطبة ، فحص البلوط ، استجه ، اشبيلية ، قرمونه ، لبله ويرى الدكتور حسين مؤنس إن هذه القائمة قد تكون صحيحة في القرن العاشر الميلادي (٧) .

(١) خلف : نظم حكم الأمويين ، ج١ ، ص ٣١٦ .

(٢) بروفنسال، ليفي: حضارة العرب في الأندلس، ص ٤٧ .

(٣) بروفنسال :حضارة العرب في الأندلس ،ص ٤٧ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٦ .

(٥) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٦ .

(٧) خلف : نظم حكم الأمويين ، ج١ ، ص ٣١٨ .

القرية الضيعة كانت القرى والضياع منتشرة في الأندلس ، والضيعة هي المقابل الفيلا villa في النظم الرومانية والضياع الكبيرة تقابل الانتفيديوم (١)، وكان الكثير من زعماء الأندلس يملكون ضياعا واسعة فيها قصور ويطلق عليها وعلى المناطق المحيطة بها اسم بلاط palatium ، ويقسم المقرى الأندلس الى عدة كور هي : قرطبة ، طليطلة ، جيان ، غرناطة ، المرية مرسية ، بلنسية ، دانية ، السهلة ، الثغر الاعلى ، اشبيلية ، ماردة ، واشبونه.... (٢) .

المدينة : كانت المدينة هي المركز الذي اعتمد عليه المسلمون في التنظيم والإدارة، فكما تقدم الذكر، فتيسيرا لضبط البلاد قسم الأندلسيون الأندلس إلى كور، وكل كورة تتبعها عدة مدن، والمدينة تتبعها قرى، وذلك تيسرا لضبط الأمن والمال (٣)، وكان يعين على كل مدينة مسؤول يسمى صاحب المدينة، المدينة كانت مركز الحياة السياسية فقرطبة عاصمة الخلافة كانت واحدة من أكبر المدن ويتبعها عدة رساتيق (أقاليم) كما يذكر المقدسي (٤)، وعلى الرغم من ان المدينة هي مركز الإقليم إلا أن بعض المدن كانت منقسمة على نفسها وقد كان لذلك تأثير حاسم في مجرى الحياه السياسية، قرطبة عاصمة الخلافة كانت مدن داخل مدينة، بعد معركة الخندق تغيرت سياسة الناصر، لم يعد يثق بالبنية الاجتماعية فبنى مدينة أشبه ما تكون بمنطقة امنية فيها كل مؤسسات الدولة فكانت مدينة الزهراء (٥)، على خطاه سار ابن أبي عامر، فبنى مدينة الزاهرة، التي أتخذها حصنا ويحيط به بنية اجتماعية عمادها البربر الأمازيغ (٦) .

(١) مؤنس : فجر الأندلس ، ٤٦٤ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ص ١٥٠-١٥٣-١٥٦-١٥٩ .

(٣) خلف : نظم حكم الأمويين ، ج ١، ص ٣١٨ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٤ .

(٥) ابن حيان: ج ٥، ت.ح: شالميطا، ص ٤٣٧+٤٣٨ .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

٢- أوروبا الغربية : بعد سقوط الإمبراطورية الكارولنجية نهضت الحكومات المستقلة ، وسقطت الحكومة المركزية (١) ، فقد ضلت الامبراطورية التي اقامها شارلمان قوية طوال حياته ، وعندما توفي ١٩٩هـ/٨١٤م ، بدأت عوامل الضعف تدب فيها بفعل عوامل التقسيم ، حيث إنه بفعل قوانينهم ، بان الملك إرث يتوارثه الابناء (كل الأبناء) ، فقد قسمت مملكته القوية على ابنائه ، ولكن بعد الظروف أخرت التقسيم ، فظلت المملكة بيد لويس النقي ابن شارلمان ، وقسم لويس النقي المملكة على ابنائه ، بيبين ، لويس ، لوثر ، وتراجع عن هذا التقسيم عندما انجبت زوجته ولد اخر هو شارل الاصلع ، ترتب عليه صراع كبير لتقاسم الإرث والمملكة إلا أن وفاة لويس النقي وأحد الابناء هو بيبين وضعت حد للصراع ، فكانت معاهدة فردان ٢٢٦هـ/٨٤٠م التي بموجبها حاز لويس الابن الارض بين الالب والراين ، وشارل الاصلع الجزء الأكبر من فرنسا وولايات الرور الإسبانية ، ولوثر ايطاليا والارض بين الراين والشلد شرقا والسارون والرون غربا ، مما مهد لظهور دول فرنسا ايطاليا المانيا ، وهذا التقسيم مع الحروب المستمرة بفعل قانون الملك ارث يتقاسمه الابناء ادى الى تفتيت المملكة وظهور الاقطاع (٢) .

إن النظام السياسي في أوروبا الغربية كان جوهره ومحوره هو النظام الإقطاعي، والنظام الإقطاعي هو نظام اقتصادي سياسي اجتماعي كان سائدا في أوروبا في العصور الوسطى ، خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر ، (٣) وكلمة اقطاع مأخوذة من كلمة اقطاعيه ، وهي قطعة ارض ، او قطع اراضي يشرف عليها سيد او نبيل ، من اجل الاستفادة منها ، ويعتبر النظام الإقطاعي نظام سياسي لأنه في ذلك الوقت من يملك الارض هو الحاكم ، والقوة الاقتصادية واصحاب المال والارض هم اصحاب النفوذ والسلطان وهم ملاك الارض (٤) .

(1) adams , George burton : civilization during the middle ages , pr :charles scribnes sons , new york , 1894c , p190

(٢) عمران ،محمود سعيد : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،دار المعرفة الجامعية ،بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٨٣ - ١٨٤ + فرح ،نعيم فرح: تاريخ أوروبا السياسي ،ط٧،جامعة دمشق، ٢٠٠٧، ص ٦٦+ نسيم ، جوزيف نسيم يوسف : العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، مؤسسة شباب الإسكندرية ، ١٩٨٢م ،ص ١٦٠ .

(٣) السيد ، أشرف صالح محمد: قراءه في تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى، ط١، الكتاب العربي الإلكتروني ،بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٧ .

(٤) فرح ، نعيم فرح : الحضارة الأوربية، ط٧ ،جامعة دمشق، ٢٠٠٩م، ص ١٨+نسيم :العصور الوسطى ،ص ١٠٨

إذاً النظام الإقطاعي باختصار هو تجزئة الملكية ، أو تجزئة السيادة (١)، وفي تعريف الإقطاع من الناحية السياسية هو : تنازل السلطة المركزية في الدولة عن حقوقها وواجباتها بسبب ضعفها ، أو العجز عن مواجهة الاخطار الخارجية ، فكان الملك يتنازل لشخص آخر عن منطقة معينة مقابل حقوق وامتيازات متبادلة ، ومصالح مشتركة ، وقد كان النظام الإقطاعي يشمل جميع اركان النظام السياسي في أوروبا الغربية بل هو محور الحياة السياسية (٢) ، فقد تخلى الملك للكونتات ممثلي السلطات العليا عن جميع املاك الدولة ، والحقوق في نطاق مناطقهم الادارية ، وعدوها كرواتب تدفع لهم وبقيت هذه الرابطة بين الأمير تقوم على يمين الولاء ، واصبح هؤلاء الامراء ذوي مناصب وراثية غير قابلة للعزل من الملك (٣).

- ظهور الإقطاع : يعلق الدكتور جورج ادم استاذ التاريخ في يال Yale عن ظهور الأقطاع "إن قضية اصول النظام الإقطاعي من أكثر الصعوبات في التاريخ المؤسستي ، لأنها أخذت بالارتفاع في عهد تركنا بمادية تاريخية ، وفي عمليات خاصة خارج القانون (٤) وعلق أيضا استاذ التاريخ في جامعة برينستون جوزيف سترابر "إن الأقطاع تصرف ذاتي من قبل افراد ، لتلبية الحاجات الضرورية اللازمة للعيش" (٥) في حين يرى كوبلاند استاذ العصور الوسطى في جامعة ليفرول " إن الأقطاع طور من أطوار النمو التي تدرج فيها المجتمع الإنساني" (٦) ، لقد كانت الامبراطورية الفرنجية قوية متماسكة في مطلع القرن التاسع قوية في ظاهرها ، لكنها تحمل بذور التفكك والانقسام ، بفعل قانون الملك ارث يتوارثه الابناء ، وبذلك قسمت المملكة خلال فترة قصيرة الى اجزاء (٧) .

(١) حاطوم ، نور الدين : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢م ، ج١ ، ص ٣٤٩ + السيد :قراءة في تاريخ أوروبا ، ص ٢٧ .

(٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح: أوروبا في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ج٢ ، ص ٤٥-٤٨ .

(٣) عاشور :أوروبا في العصور الوسطى ، ج٢ ، ص ٤٩+فرح :الحضارة الأوروبية ، ص ٣٦ .

(4)adams: civilization during the middle ages , p190

(5)Strayer, Joseph, R., : Western Europe in middle ages, Appelton

Centurycrofts,NewYork,1955,p60

(٦) ج. و. كوبلاند : الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا ، ت. ر. : محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٤٦م ، ص ٣ .

(٧)فرح : تاريخ أوروبا السياسي ، ص ٦٦ .

إن ظهور النظام الإقطاعي ليس عملاً مصطنعاً بل هو نتاج طبيعي لعوامل سياسية واجتماعية (١) ، وبشكل عام ظهر النظام الإقطاعي السياسي في القرنين التاسع والعاشر ، ويدين للاضطراب السياسي بعد شارلمان (٢) ، إن الصراعات على الإرث ، والحروب الأهلية ، والتنوع السكاني الكبير ، من برجنديون ، فريز ، سكسون ، بافار ، افار ، ألما ، الرومان ، واللومبارديون ، ونزعت كل منهم الى الاستقلال ، خلال ذلك برزت الطبقة الغنية البرجوازية التي ، دعمتها السلطة المركزية ، كي لا تخرج عن ارادتها ، وبالتالي هم يؤدون ايمان الولاء والتبعية للسلطة المركزية ، ولكن مع مرور الزمن ترسخت هذه الطبقة ، وحصلوا على القاب كونت - بارون ، وباتت قراراتهم اكثر استقلالا ، فليدهم جيش وفرسان خاصة بهم ، بهذا اصبح النظام الإقطاعي النظام السياسي السائد الذي دمر الامبراطورية الفرنجية ، وحولها الى ممالك وإمارات مستقلة (٣) .

وترتب على ذلك إن مئات التابعين أصبحوا حكاما مستقلين في أقطاعاتهم الخاصة ، ولقد كان السلم الإقطاعي يبدأ من الفلاح إلى الفارس الذي يتبع سيده يملك أقطاعاً من الأرض ، وبدوره هذا السيد يتبع مالك أكبر وهو الكونت ، والكونت يتبع الدوق والدوق يتبع الملك ، وهو من يتربع على عرش النظام الإقطاعي (٤) ، وبذلك يصبح الاقطاع أكثر وضوحاً فهو : مجموعة نظم وقوانين يخضع بموجبها رجل حر لرجل آخر هو السيد ، أدى له يمين الولاء والخدمة (٥) ، ولا سيما الخدمة الحربية ، ثم تطور الامر الى منح اراضي تسمى اقطاع ، فهو مرتبط بالأرض ارتباط وثيقاً ، فالملك يهب الأرض للأمرأ ، والاشراف ، والنبلاء (٦) .

(١) حاطوم : تاريخ العصر الوسيط ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(2) **adams:** civilization during the middle ages , p195+

-كويلاند : الإقطاع ، ص ١١-١٢

(٣) فرح : تاريخ أوروبا السياسي ، ص ٦٧-٦٨ + نسيم : العصور الوسطى ، ص ١١٢ .

(٤) هـ.و.ديفنز : أوروبا في العصور الوسطى ، ر.عبد الحميد محمود ، ط ١ ، المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٨٨-٨٩ . حاطوم : تاريخ العصر الوسيط ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(5) **adams:** civilization during the middle ages , p195-199

(6) **Durant:** Will, The Age of faith; A history of medieval civilization Christian, Islamic and Judaic- from Constantine to Dante (325-1300), Simon and Schuster, New York, 1950, p553

القرية أو الضيعة كانت القرية أو الضيعة أشبه بمملكة صغيرة ، يحكمها سيد يتمتع بسلطة شبه مطلقه وكانت القرية جزء من عدة قرى تشترك في اقطاع واحد لسيد اكبر ، وسكان القرية مجموعة من الفلاحين الأقنان ، أو أنصاف الأحرار يسكنون في اكواخ متلاصقة محيطة بمنزل السيد أو اللورد (١) .

المدن العسكرية الحصون منذ منتصف القرن التاسع ، منذ انهيار امبراطورية شارلمان ، انقسمت هذه الإمبراطورية الى عدة اقاليم يحكمها الكونتات ، وكانوا ذوي مناصب وراثية لا يربطهم بالملك سوى يمين الولاء ، ولم تكن سلطة الدولة قوة كافية لإخضاع هؤلاء ، لكن هؤلاء اصحاب هذه الاقطاعات كانوا ملتزمين بالدفاع عن اقطاعاتهم من المهاجمين العرب المسلمين والشماليين والاعداء المجاورين ، لذلك اضطروا إلى اقامة الحصون العسكرية أو المدن العسكرية (٢) ، وكانت هذه القلاع عبارة عن مؤسسة عسكرية لحماية الأرض المجاورة ، وكانت مركز للإدارة يسكنها الأمير ورجال الدين والموظفون، وفيها محاكم خاصة ثم فيما بعد اصبحت هذه الحصون مركز المدن (٣) ولقد كان الكثير من الرجال يرحلون للإقامة في هذه القلاع كفرسان متشبعين بروح المسيحية وعقيدة أن الفروسية تحكم العالم (٣) .

النظام الإقطاعي في فرنسا

شهدت فرنسا والمانيا أكمل نظام قطاعي ، وقد تطور فيها أكثر من غيرها من بلدان أوروبا الغربية(٤) ، بعد زوال الامبراطورية الكارولنجية كانت فرنسا مقسمة الى ١٢ امارة أقطاعيه ، في كل أمارة عدد من الكونتيات ، وكانت هذه الإمارات والكونتيات خارج سلطة الملك ، ولم يكن له تدخل إلا في تعيين بعض الاساقفة (٥).

(١)بيرين ،هنري: ت.ر: عطية القوصي،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ، ١٩٩٨م، ص ٦٥ +ببشوب،موريس: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،ت.ر:علي السيد علي،ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م ص ٢٤٢٠

(2)Strayer: Western Europe in middle ages,p59+ adams: civilization during the middle ages , p211

(٣) هويرنجا ، يوهان : اضمحلال العصور الوسطى ،ت.ر.:عبد العزيز جاويد،ط٢،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة، ١٩٩٨، ص٦٩ + نسيم : العصور الوسطى ، ص ١١٩ .

(٤) فرح : الحضارة الأوربية ، ص١١٤-١١٥ .

(5) Strayer: Western Europe in middle ages,p63

(٦) فرح : الحضارة الأوربية ، ص ٣٨ .

النظام الإقطاعي في المانيا

استطاع الامبراطور أوتون الأول ٣٢٠-٣٦٣هـ/٩٣٢-٩٧٣م أن يخضع الأدواق والكونتات لسلطته، وأن يجعلهم تابعين للملك ، ويخدمون باسم الملك ، ولكن أوتون الأول اضطر ان يتكيف مع الأوضاع القائمة ، وقد حاول أوتون الأول وأحفاده من بعده الالتفاف على هذا النظام بمنح الأساقفة اقطاعات ، لأن الاساقفة لا يتزوجون ولا ينجبون فلم يكن اقطاعهم متوارثا بل بتعيين من الملك (١) .

النظام الإقطاعي في ايطاليا

لقد كانت ايطاليا تتبع الملوك الألمان منذ ٣٤٠هـ/٩٥١م ، ولكنهم لم يستطيعوا التدخل بالإمارات الإقطاعية التي كانت متوارثة باستثناء الاساقفة الذين ضلوا مرتبطين بالنجاح الملكي (٢) .

النظام الإقطاعي في انكلترا

لم يكن النظام الإقطاعي في انكلترا كما هو في فرنسا وايطاليا ، بل كان عبارة عن عدد من الأقطاعات ، التي كان يمنحها الملك، ولكنها تبقى مرتبطة به واستمر ذلك حتى ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، حتى غليوم الفاتح ، وطبق فيها قانون شبيه بالنظام الإقطاعي في فرنسا(٣) ، ووزع غليوم الأراضي على أنصاره ، وأعتبر نفسه المالك الأكبر وأن الاراضي له بحق الفتح (٤) .

(١) فرح : الحضارة الأوربية ، ص ٣٧ .

(٢) فرح : الحضارة الأوربية، ص ٣٧ .

(3) Strayer: Western Europe in middle ages, p63

(٤) فرح : الحضارة الأوربية ، ص ٣٨-٣٩ .

٣- استنتاج : أخيرا بناء على ما طرح من تقسيمات إدارية في الأندلس والنظام الإقطاعي في أوروبا الغربية يظهر تساؤل هل كان هناك نظام أقطاعي في الأندلس؟ هل النظام الإقطاعي في أوروبا أثر بفعل القرب والجغرافية على الأندلس ؟ هل كان ظهور دول الطوائف نتيجة النظام الإقطاعي ؟ وهل أثر ذلك في تاريخ الأندلس السياسي ؟

في حقيقة الأمر إن موضوع الأقطاع في الأندلس موضوع شائك قلت الدراسات عنه ، وأختلف المؤرخون حوله ، وقلت مصادره فلا يمكن الحديث عنه إلا من خلال ربط كتابات الجغرافيين بكتب التاريخ السياسي .

يرى شالميطا (chalmitta) في كتابه الأقطاع في الأندلس (feudalismo en Al-andalus) والعديد من الباحثين إن الأندلس لم تعرف النظام الإقطاعي ، ومنهم من رأى أن الأندلس عرفت نظاما إقطاعيا ولكن بشكل محدود (١) .

لقد عرفت الأندلس النظام الإقطاعي ، ولكن بشكل مختلف عن أوروبا الغربية من خلال نظام إسلامي متوارث منذ حكم الأمويين حيث لم تكن الدولة الأموية دولة مركزية الإدارة ، بل كانت كل ولاية تحكم نفسها مع الارتباط بالمركز دمشق ، وعندما انتقل عبد الرحمن الداخل الى الأندلس نقل معه هذا التقسيم ، الذي رسمت معالمه الجغرافية الأندلسية، وما يتضمنه من نظام الأجناد وتوزيع القرى على الجنود والقادة العسكريين ، وما تقدمه كل كوره أو ولاية من جبايات وضرائب للمركز .

عرفت الأندلس المدينة وكانت المدينة محور الحياة الادارية في حين في أوروبا الغربية تأخر ظهور المدن وارتبط بالإقطاع، لقد ساهمت التركيبة الاجتماعية في الأندلس، في تكريس ووجود هذا النظام حيث كان المجتمع الأندلسي يوجد فيه العرب والبربر الأمازيغ والصقالبة ، ولم يكن يجمع ويوحد هذه المكونات سوى الرابطة الإسلامية وعند فقدان هذه الرابطة ظهرت ملامح النظام الإقطاعي في الأندلس .

يرتبط النظام الإقطاعي بالأرض والزراعة والفلاحة (٢) ، وتدل كتابات الجغرافيين إن الفلاحة كانت من ركائز الاقتصاد الأندلسي .

(١) بوتشيش ،ابراهيم القادري : أثر الأقطاع في تاريخ الأندلس(٢٥٠-٣١٦ هـ) ، (رسالة ماجستير) مطابع منشورات عكاظ ،الرباط ،١٩٩٢م ،ص

(٢) كويلاند : الإقطاع ، ص ١٥ .

لقد أثرت حالة الجهاد الدائم ضد الممالك المسيحية في الشمال في وجود النظام الإقطاعي في الأندلس ، فبعد معركة الخندق ٣٢٧هـ/٩٣٩م (١) التي كانت من نتائجها أن غير عبد الرحمن الناصر سياسته ، حيث قام بتسليم كل الثغور إلى قادة عسكريين وزعامات محلية مثل آل تجيب ، وآل ذي النون، وآل غزوان ، وآل الطويل ، وآل رزين ، وقد بقيت هذه العوائل تتوارث حكم مناطقها إلى نهاية عصر دول الطوائف ٥٨٤هـ/١١٨٨م وقد قام عبد الرحمن الناصر بمنح هذه الزعامات هذه الحرية والامتيازات بما يشبه نظام الحكم الفدرالي ، لأن هذه المناطق كانت دائما تتور ضد الحكم الأموي وخصوصا طليطله (الثغر الأوسط) وسرقسطة (الثغر الأعلى) وماردة ثم بطليوس (الثغر الأدنى) ، فكان الناصر يخشى من تعاونها مع الممالك المسيحية (٢) .

بعد ما لحق بعبد الرحمن الناصر من هزيمه في معركة الخندق جعل الناصر يمنح هذه الزعامات امتيازات ، كما أراد توزيع الجهد العسكري على هذه الزعامات حيث أنها تعد مناطق ملاصقة للممالك المسيحية ، وقد كانت هذه الثورات من أكثر الأسباب التي جعلت عبد الرحمن الناصر يعلن الخلافة لإعادة الرابطة الإسلامية المفقودة في عهد الإمارة الأموية، وأيضا لصعوبة الوصول إليها بسبب طبيعة جغرافية الأندلس ، ووضع الثغور السكاني حيث كانت كثيفة السكان ، وذات تنوع بشري كبير ولم يحاربها أيضا خشية ما تجره من خسائر وحرب أهلية وتمكن مع مرور الزمن من إخضاع هذه الأرستقراطية التي كانت تؤسس لحكم إقطاعي على نمط أوروبا الغربية (٣) .

كانت هناك علاقات مصاهرة بين اسرة آل القسي في سرقسطة مع مملكة نافار فسرهما البعض باعتبار هذه الأسرة مسلمة وقوية ، وتتصاهر مع اسره مسيحية ، وفي حالة ضعف أنها نوع من طبيعة النظام الإقطاعي القائم على المصلحة العليا بين السيد والتابع (٤) .

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٧٢.

(2) Reuter :the new Cambridge medieval history 900-1024 c , pr : Cambridge univercity press, 2008, p676

(٣) ريسلر، جاك : الحضارة العربية، ت.ر. نخليل أحمد خليل، ط ١، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ١٥٣

(٤) زكار، سهيل زكار :الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، دمشق ، ١٩٩٥ ، ج ٢، ص ٥٧٨-٥٧٩ .

والتي تضع الدين في مرتبة ثانيه بعد المصلحة هذا يعطي فكره مهمه إن السبب الذي دخل لأجله المسلمون لفتح الأندلس والعقيدة بدأت تخفت وإن الرابطة الإسلامية أصبحت أقل وهذا سبب آخر لإعلان الناصر الخلافة التي كما سيلاحظ لاحقا كيف حطمها المنصور والحرب الأهلية وقيام دول الطوائف

أيضا أسرة آل القسي ، التي حكمت الثغر الأعلى هي من الأسر العريقة في هذه المنطقة ، ووجودها أقدم من الفتح الإسلامي ، وعندما دخل المسلمون الأندلس انصهرت ضمن المجتمع الأندلسي ، ولعبت دورا في الحياة السياسية بعيدا عن الدين ، وهذا ما تؤكد رواية ابن حزم في جمهرة أنساب العرب يقول: "كان قسي قومس الثغر أيام الغوط ، فلما أفتتح المسلمون الأندلس ، لحق بالشأم ، وأسلم على يد الوليد بن عبد الملك ، فكان ينتمي إلى ولاته ، لذلك إذا وقعت العصبية بين المضرية واليمانية ، يكونون في جملة المضرية " (١) إذا هذا النص الذي يؤكد نسب بني قسي ، كمكون عريق في شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم والت المسلمين والعرب مع الفتح الإسلامي ، أيضا يفسر طبيعة العلاقات بين الثغر والممالك المسيحية .

ومن نماذج تأثير أوروبا الغربية في الأندلس هي أن صاحب الثغر الأعلى سرقسطة كان يقسم مملكته على ابنائه ، وكأنه يقتدي بشارلمان الذي قسم مملكته على أبنائه باعتبار إن الملك إرث يتوارثه الأبناء ، وما جر ذلك من صراعات في سرقسطة مثل ذلك كانت معظم الأسر الحاكمة في الثغور تتوارث الحكم .

إن تأثيرات الأقطاع الإسلامي في حياة الأندلس السياسية بفعل تأثير أوروبا الغربية وجغرافية الأندلس ، كانت كبيرة ومؤثرة في مجرى الحياة السياسية في الأندلس ، فالعلاقة التي كانت تربط المدن والأقاليم والثغور بالمركز قرطبة ، كانت بفعل رابط مقدس هو الخلافة الإسلامية ، وعند سقوط هذا الرابط مع بداية الاستبداد العامري وقضائه على الخلافة ، ثم ما نتج عن هذا الاستبداد من فتن واضطرابات وثورات أفقدت هذه الرابطة قيمتها ، فاستقلت كل وحدة إداريه بمركزها ، فكان قيام دول الطوائف فدويلات الطوائف هي من نتائج تأثيرات النظام الإقطاعي ، وإن الولاء الذي كان يربط هذه الدويلات مع المركز هو ما يشبه يمين الولاء والتبعية الذي كان يقدمه أي كونت أو بارون لسيده الملك.

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٢ .

ثالثا :عوامل سقوط الخلافة

قبل الحديث عن هذه العوامل ، يجب توضيح فكرة متى سقطت الخلافة ؟

في حقيقة الأمر ، لم يمكن تحديد سنة سقوط الخلافة الأموية بيوم محدد وتاريخ محدد أو سنة محدده ، وبشكل عام سقطت الخلافة على ثلاث مراحل :

الأولى : الخلافة الأسمية للأمويين ، واستبداد الحجاب العامريين عندما سيطر عليها المنصور العامري سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م ، وبقيت كاسم فالخليفة هشام ليس بيده من الخلافة شيء ، والمنصور بن ابي عامر يحكم باسمه ، وأستمر ولاء المدن والثغور للمركز ، والحاجب ابن ابي عامر ، والخليفة الصوري هشام .

الثانية : محاولات انقاذ الخلافة ، وسقوط السلطة المركزية ما بين ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م حتى ٤٢٢هـ / ١٠٣١م ، سقط نفوذ الخلافة عن باقي الأندلس ، وبقيت سلطتها في قرطبة ، حيث أعلنت عدد من المدن استقلالها ، ومنذ ذلك التاريخ تبدأ مسيرة دول الطوائف ، فعند سيطرة المستعين على قرطبة في المرة الأولى ، طلب منه سانشو غارسية تسليمه الحصون التي وعد بها ، فأجابه إن سلطانه لم يثبت ليسلمه هذه الحصون ، وجميع الخلفاء الذين تعاقبوا عليها منذ ٣٩٩ - ٤٢٢هـ / ١٠٠٩-١٠٣١م ، لم يتمكنوا من الاستقرار ، وفرض نفوذ فعلي على كل الأندلس ، بل كان ما يأتيهم من مبايعات هي عبارة عن مبايعات أسمىه ، لم تصل من كل الأندلس .

الثالثة : سقوط الخلافة وظهور دول الطوائف سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م سقط أسم الخلافة ، ولكن سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١م ، لم تكن الخلافة مهيمنة حتى على قرطبة .

ليس من سنن الله عز وجل أن تنهار دولة ، أو تهلك أمة لولاية رجل فاسق ، فلذلك لا يمكن تحميل سقوط الخلافة وردها إلى عبد الرحمن شنجول ، الذي كان شرارة الاضطرابات في الأندلس ، من خلال تجربته على الخلافة وإسقاطها ، ومحاولته إبدال الشرعية الأموية بشرعية جديدة عامرية .

إن حكم عبد الرحمن شنجول الذي دام قرابة تسعة أشهر ، غير كاف ليعطي سببا مقنعا لسقوط دولة عظيمة حكمها قادة كبار ، وأتت بعقيدة راسخة ، وتمكنت من كسر حصون أوربا الغربية ، وبث الرعب داخلها ، فلماذا سقطت الخلافة ؟

يعلل الفيلسوف البريطاني أرنولد جوزيف توينبي سقوط الحضارات من خلال نظريته التحدي والاستجابة بثلاثة نقط هي :

- ضعف القوة الخلافة في الأقلية الموجهة وانقلابها إلى سلطة تعسفية .
- تخلي الأكرثية عن موالاة الأقلية الجديدة المسيطرة وكفها عن محاكاتها .
- الانشقاق وضياح الوحدة في كيان المجتمع .

من خلال هذه النظرية يمكن تحميل الحكم الجبري الذي فرضه العامريون مسؤولية كبيرة في انهيار الخلافة إلى جانب العوامل الاجتماعية ، والانهايار الأخلاقي والفساد الاجتماعي أيضا كما اتضح سابقا فالنظام الإقطاعي هو محصلة طبيعية لعوامل وظروف سياسية واجتماعية ، وعندما تهيأت هذه الظروف انقسم الأندلس إلى كيانات متصارعة ، بسبب فقدان الرابطة الدينية والشرعية ، والانهايار الأخلاقي إلى جانب العوامل الاقتصادية ، وظهور الأسر الأرستقراطية والزعامات المحلية التي ساهمت طبيعة الأرض الأندلسية في قيامها كجغرافية مترامية الأطراف قطعنها الأودية والأنهار والجبال ، واعتماد الاقتصاد على الأرض والزراعة ، يمكن أيضا اعتماد رأي عبد الرحمن الكواكبي عن انهيار الدولة يقول : "أما الحرية التي تحصل بعد ثورة حمقاء ، فقلما تفيد شيئا لأن الثورة غالبا تكنفي بقطع شجرة الاستبداد ، ولا تقتلع جذورها ، فلا تلبث ان تنبت وتنمو ، وتعود أقوى مما كانت أولا" ، وعليه يمكن تحميل ضعف شخصية الثائرين الامويين أو الحموديين القيادية ودخولهم في الصراعات الداخلية ومطامعهم الشخصية عامل من عوامل السقوط، وفي وجهة نظر أكثر شمولا ، يطرح مؤسس علم الاجتماع صاحب النظرية الأكثر أهمية في سقوط الحضارات ابن خلدون نظريته التي ترى في الحضارة حياة قابلة للموت فتمر بعدة اطوار :

- الطور الاول : طور القيام والنشأة ، حيث مجموعة من الناس تكون عصبية قائمة على عقيدة ما ، وتلتف حول الملك .
- الطور الثاني : طور الاستبداد والاستئثار بالسلطة .
- الطور الثالث : طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك .
- الطور الرابع : طور الخنوع والمسالمة والتقليد للسابقين .
- الطور الخامس : طور الإسراف والتبذير ، واصطناع قرناء السوء ، وإبعاد الصالحين .

من خلال هذه النظرية يمكن تحميل فقدان العقيدة والرابطة الإسلامية سبب السقوط ، إضافة إلى فقدان الشرعية التي قامت عليها الدولة .

يرى جميع المؤرخين إن سقوط الحضارات دائما ما يكون موت داخل ولادة ، فتسقط حضارة لتقوم على أنقاضها حضارة أخرى ، لكن الأندلس أنتت إليه شرعية ورابطة دينية ، وذات عقيدة تتمثل بالأسرة الحمودية ، لكنها اخفقت ، وقامت دويلات الطوائف ، وهذا ما يمكن تعليله بأمرين

الأول : جغرافية الأندلس كبلد كبير تقسمه الجبال والادوية والانهار ، فيصعب حكمه مركزيا .

الثاني : تأثيرات النظام الإقطاعي في أوربا الغربية، فالأندلس بلد زراعي وجزء من أوربا الغربية ، وثغور الأندلس الشمالية بطبيعتها العسكرية، وبسبب بعدها عن المركز، ولسرعة اتخاذ القرار نالت حكما ذاتيا، أيضا طبيعة نظام الاجناد في الأندلس قسمت كل فئة في منطقة، فجدد دمشق في مكان واحد، كذلك حمص كذلك جند الاردن ..الخ، ما مكن هؤلاء من إنشاء كيانات متعصبة داخل مدنها، وهذا ينطبق على العامريين في شرق الأندلس والبربر الأمازيغ في الجنوب، فقد كان جنوب الأندلس مركز لاستقطاب زعماء والمرتقة والطامحين، بذلك يمكن تحليل قيام دويلات الطوائف، إن لسقوط الخلافة جذور راسخة، وعوامل بعيدة هيأت الأسباب لعبد الرحمن شنجول، والثائر محمد بن هشام بن عبد الجبار ليطلقوا شرارة الحرب الأهلية، ليس ذلك فقط، بل الأندلس كانت بحاجة إلى رجل قوي قادر كعبد الرحمن الداخل .

أولا : عامل الدين والعقيدة والاخلاق : الانهيار الأخلاقي وانتشار ، الترف والإسراف يقول الله عز وجل : "وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" (١)

إن الشعوب إذا حصلت على الرخاء الاقتصادي ، دائما ما تبحث عن الحرية ، ولكن هذه الحرية التي ظهرت في الأندلس لم تكن حرية يقيدها دين ولا قانون ولا دستور ولا أخلاق ، بل أنتشر في الأندلس حرية استباحة الأموال والأعراض ، وخصوصا بين البربر (الأمازيغ) وأهل قرطبة، كذلك أيضا إن الدولة التي بنيت على عقيدة وأسس اجتماعية ما ، ستتهار مجرد ابتعادها عن هذه العقيدة (٢) ، ومثال ذلك عند مؤسس الخلافة عبد الرحمن الناصر ، عندما جعل لقصره سقفا من فضه ، فعندما جاءه القاضي المنذر بن سعيد ، مجيبا عبد الرحمن الناصر عن سؤاله حول جمال هذا القصر (٣)، فتلى القاضي قول الله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضه ومعارج عليها يظهرون) (٤)، هدم الناصر هذا السقف ، وتمسك بالعقيدة بقيت دولته متماسكة .

(١) القرآن الكريم : سورة الأسراء ، الآية ١٦ .

(٢) النهار ، عمار محمد : أسباب سقوط الدول والحضارات Profil- ammar alnahr / www.facebook.com / ٢٠١٧/٨/١٥

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٥٧٤ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الزخرف ، الآية ٣٣ .

توسيد الأمر لغير أهله

لا يمكن تحميل الاستبداد العامري المسؤولية الكاملة والمباشرة ، فقبل الحديث عن هذا الاستبداد قام الخليفة الحكم المستنصر ، بتولية ابنه الصغير هشام ولاية العهد ، وهو لم يبلغ الحلم .

إذا تلك الدولة القوية التي فتحها موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، ووطد أركانها عبد الرحمن الداخل ، وحمى ثغورها عبد الرحمن الناصر ، هي الآن بيد فتى صغير ، لم يبلغ الحلم تحكم امه باسمه ، التي هي مسيحية من بلاد نافار ، انت كجارية ، وقلبها معلق بالمنصور ابن أبي عامر ، فكيف لا تسقط الخلافة ، وأكبر مناصبها بيد طفل وجارية .

كذلك يدخل في هذا الحيز العامل الديني في الممالك المسيحية ، فخلال هبوط الروح الدينية لدى مسلمي الأندلس ، أرتفع هذا العامل لدى المسيحيين ، ويمكن اعتبار غزوة شانت ياقب ، التي قام بها المنصور عامل محفز لدفع الروح الدينية لدى المسيحيين .

في حقيقة الأمر إن الفوائد التي كسبتها الممالك المسيحية من هذه الغزوة ، أكبر من الفوائد التي جناها المسلمون كيف ؟

المنصور عندما غزا سانت ياجوب أو سانت يعقوب أو القديس يعقوب ، لم يستقر فيها ، وجل ما قام به تدمير مصانعها ، وأخذ الغنائم ، ثم الانسحاب ، أما المسيحيون ، فقد قاموا بالهروب منها ، أو إفراغها قبيل دخول المنصور .

البابوية والقادة المسيحيين استخدموا العامل الديني على أكمل وجه ، فالمنصور على الرغم من عدم تعرضه لقبر القديس يعقوب ، إلا أن هذا القبر الذي يذكر ابن عذاري إنه عند المسيحيين بمثابة الكعبة عندنا (١) ، كان محفزا لهم لاستعادة المدينة والتوحد ، وأبعاد الخطر الإسلامي الذي بات يهدد المقدسات ، والأماكن المقدسة المسيحية ، فالمسلمون في عهد المنصور ، لم تكن غزواتهم لنشر الإسلام الهدف الرئيسي ، بل كانت للغنائم والسبي ، ثم عندما هددت المقدسات المسيحية أزداد ...

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٤ .

وأرتفع العامل الديني لدى المسيحيين ، بالمقابل انخفض لدى المسلمين بفعل الثروة والأمان والتزرف ، وكثرة السبي حتى أن المؤرخين يوردون إن الفتيات العربيات ، لم يعد أحد يتزوجهن لكثرة السبي، وهذا يدخل في العامل الاجتماعي حيث أن السبايا التي ملأت الأندلس ، خلقت جيل متأثر بالعادات المسيحية ، وأدت إلى انخفاض الروح الدينية ، وصبح البشكنجية أم هشام ، كانت عامل في سقوط الخلافة ، فتعلقها بالمنصور حتى أنها اتهمت به (١) ، أدى لصعوده كذلك عبده زوجة المنصور ، أنجبت شنجول الذي دمر الخلافة ، وهنا يتضح أثر الاختلاط الاجتماعي بين أوربا الغربية والأندلس وأثره في الحياة السياسية .

ثانيا : العامل السياسي كما ذكر من قبل ، فإن الحكم المستنصر ،؟ أعطى ولاية عهده لابنه الصغير ، ولأن هذا الطفل لا حول له ولا قوة ، فلا يمكن تحميله ما جرى من انهيار ، فلقد تولى ابن أبي عامر مسؤولية الحجابة ، واستبد بالسلطة ، وأصبح الحاكم الفعلي .

إن ما ذكر سابقا عن استبداد المنصور ، وقتله لجميع منافسيه ، وتخلصه منهم ، ثم استبداده بالسلطة ، ونقش السكة باسمه ، واتخاذ سمة الملك لا يكفي لإعطاء صورة واضحة ، حول كيفية إسقاط الاستبداد العامري للخلافة .

لتكون هذه الصورة واضحة ، يجب العودة إلى الوراء إلى البدايات إلى شخصيتين كبيرتين . هما عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر :

في أحد الأيام ، كان جعفر المنصور الخليفة العباسي ، جالسا في قصره ، فسأل وزرائه ، من صقر قریش ، قالوا الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل .

قال : ما قلتم شيئا ؟ قالوا : معاوية ، قال : لا ، قالوا :عبد الملك بن مروان ، قال : لا ، قالوا : فمن ؟ قال : صقر قریش ، عبد الرحمن بن معاوية ، عبر البحر ، وقطع الفقر ، ودخل بلدا أعجميا ، منفردا بنفسه ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا عظيما ، فأما معاوية ، فمركب حمله عليه عمر وعثمان رضي الله عنهم ، وعبد الملك بببيعة أبرم عهدها " (٢).

(٢) ابن حزم : نقط العروس ، ص ١٩ .

(٣) المسلمون في الأندلس www.facebook.com /al.andalus1492

لم يتمكن عبد الرحمن الداخل من فعل ما فعل ، كما قال المنصور العباسي بقوة شخصيته فقط ، بل لأنه أتى كأموي ، توارث الخلافة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم إلى الأمويين ، فحكم الأندلس والتف الناس حوله لما يملكه من شرعية لها في القلوب مالها ، فأعلن نفسه أمير ، كذلك عبد الرحمن الناصر ، عندما أتى كان أميراً ، وكانت الأندلس تمزقها الثورات والانقسامات ، فأعلن الخلافة ، خلافة على كل المسلمين ، ليشد القلوب اليه برابط ديني وشرعي ، وخصوصاً أن الخلافة المتعارف عليها ، وهي العباسية في وضع ضعيف ، وما شجعه ايضاً ظهور الخلافة الفاطمية في المغرب ، إذا مؤسس الإمارة أتى بالشرعية ، وانقذ الدولة ، ومؤسس الخلافة أعلن الخلافة الإسلامية بشكل شرعي ، وانقذ الدولة مرة أخرى ، عندما أتى المنصور بن ابي عامر ، أخذ السلطان لنفسه ، وكانت الدولة قوية متماسكة مرهوبة الجانب ، فدمر الشرعية ، وحاول إبدالها بشرعية أخرى ، وقد أخفق في ذلك ، وحدث الانهيار ، والدليل على ذلك خلال مسيرة الخلافة منذ ٣٦٦ - ٤٢٢هـ / ٩٧٦ - ١٠٣١م ، يشاهد أكثر من محاولة لأخذ شرعية ، باسم هشام المؤيد ، على الرغم من ضعف شخصيته ، وهذا يدل على أن لهشام المؤيد مكانة في نفوس الأندلسيين ، وما فعله شنجول لم يكن سوى إطلاق شرارة السقوط ، فلقد كانت النفوس والبيئة مهيأة لهذا الانقسام ، وهذه الحرب الأهلية ، ويلاحظ من النص الذي ورد عن قصة جعفر المنصور كلمة صقر قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الحكم في قريش " (١)

المنصور بن ابي عامر ليس من قريش ، وقد أورد ابن حزم قصة المنصور عندما عرض على الفقهاء والوجهاء تسلمه الخلافة ، فقالوا له الحكم في قريش ، فرد أحدهم "عربي ضابط خير من قرشي مضيع" (٢) ، في نهاية الرواية أعرض المنصور عن تقلد الخلافة ولكن ما ورد في هذه الرواية ، من أن الحكم في قريش يدل على مكانة هذا الحديث في النفوس ، وإلى يومنا هذا هناك من حكم ، ويحكم باسم الحكم في قريش من الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين التي قادها الشريف حسين ، إلى المغرب اليوم (محمد السادس) ، إلى الاردن (عبد الله الثاني) ، شنجول نفسه لم يكن غافلاً عن العامل الشرعي ، وأثره في النفوس فخلال نص توليته العهد ، يلاحظ اعتماده على الحديث المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم "لن تقوم الساعة حتى يخرج رجل...

(١) رواه ابن عمر + رواه ابو هريره + رواه محمد بن جبير - الدخيل ، خالد : الأئمة في قريش ، صحيفة الحياة www.alhayat.com

(٣) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥٧ .

من بني قحطان يسوق الناس بعصاه" ، فأراد أقناع الناس والفقهاء بما يقوم به ، ولكنه أخفق وعلى هذا الأخفاف ترتب سقوط الخلافة ، وانهيار الدولة (١) بناء على ما سبق أخفق العامريون بأبدال الشرعية الأموية ، وامتألت النفوس حقدا عليهم ، وعلى من اعتمدوا عليهم من بربر وصقالبة ، وهذا يدخل في العامل الاجتماعي .

ثالثا : العامل الاجتماعي تأثير المغرب على الأندلس ، وأرسال العديد من القادة والزعماء الذين أنشأوا عدة كيانات ساهمت بالحرب الأهلية ، فقد أعتمد المنصور ابن أبي عامر على البربر (الأمازيغ) مع اهمال العنصر المحلي ، ومن سبق المنصور اعتمدوا على الصقالبة الأوربيين ، ولكن المصادر أوردت ان عددهم لم يتجاوز الألف (٢) لكن المنصور استجلب الألاف ، وكما ذكر صاحب كتاب البيان أن المنصور أستجلب الالاف منهم ، مغريا إياهم بالقصور والمال ، أي أن المنصور لم يستبد بالسلطة فقط، بل أراد تكوين بنية اجتماعية قوية تحيط به، ليس لها ولاء لسواه ، وقد استقدم جعفر بن حمود الأندلسي واتباعه البربر (الأمازيغ) ، ثم تخلص من القائد ، وبقي الأتباع يدينون له بالولاء .

أيضا اليهود شكلوا عنصرا اجتماعيا عريقا، لعب دور مؤثر منذ الفتح الإسلامي، فلقد ساعد اليهود الفاتحون الجدد، ليس كما يفسر البعض بحثا عن التسامح، وانهم كانوا مظلومين انما بدوافع المصلحة يقول لويس برتراند عضو الأكاديمية الفرنسية: "ان موقف اليهود لم يتبدلانهم يفرقون بين أعدائهم ليسيطروا عليهم"(٣)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ٤٤-٤٥ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) زعرور، ابراهيم-احمد ، علي سلمان : اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، ط١، دار المستقبل، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٧٧ .

انتشر اليهود في المدن الأندلسية كقرطبة، غرناطة، طركونه، طليطلة (الثغر الأوسط) عاصمة اسبانيا قديما، وكانت هذه الأسر اليهودية الأرستقراطية تملك المال الكثير مستفيدة من التسامح الإسلامي، أعتمد عبد الرحمن الناصر على السفير اليهودي حسداي في مفاوضاته مع جيلقية، كذلك اعتمد المنصور على رجل يهودي يجمع له العسل^(١)، هذه الثقة المطلقة العمياء، مكنت اليهود من لعب دور وصفه المؤرخون بالشائن، ولا سيما عصر دويلات الطوائف، ولا سيما الصراع بين اشبيلية و طليطلة عندما هاجم المعتمد قرطبة سنة ٤٦١هـ/١٠٩٦م^(٢)، وخيانة اليهود معلومة منذ عهد الانبياء فقبيل معركة الزلاقة أرسل حاكم قشتالة وليون لابن تاشفين يقول " الجمعة لكم والسبت لليهود وهم كثيرون في محلتنا، وهم وزراءنا وكتابنا ... " ^(٣) وهذا يدل على انتقال اليهود إلى المعسكر، الذي بات أقوى في شبه الجزيرة الإيبيرية، وهو التحالف المسيحي .

كذلك المجتمع الأندلسي لم يكن موحدا فمنذ الفتح الأول كان هناك صراع بين العرب المضرية واليمينية وفي عصر الفتنة حدث الصراع بين العرب والبربر، حتى قبيل سقوط غرناطة كان هذا الصراع ظاهرا، كذلك منذ أن دخل المسلمون الأندلس ، دخل جند كل منطقة سواء من دمشق، أو حمص، أو الأردن ، واستوطنوا منطقة محدده ، وقد دخلت هذه العناصر الاجتماعية في حالة صراع دائم سواء داخل العرب اليمينية والمضرية ، أو بين مكون اجتماعي وآخر بين والشاميين والأمويين تارة ، والبلديين والبربر تارة اخرى (٤) ، هذه جذور قديمة منذ الفتح الأول ، وتجسدت بصراع على الأرض الأكثر خصوبة فمنذ الفتح الأول كانت الأرض هي عامل في الصراع الاجتماعي .

(١) زعرور-احمد: اليهود في الأندلس ، ص٧٨-٧٩.

(٢) زعرور-احمد: اليهود في الأندلس ، ص٨١.

(٣) مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ت.ح: سهيل زكار-عبد القادر زمامة، ط١ ، دار الرشاد، فاس، ١٩٧٩م، ص٥٧.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٣-٤٤ .

رابعاً : العامل الجغرافي الأندلس ذات موقع جغرافي حصين ، فهو كشبه جزيرة ، يحيط بها البحر من ثلاث اتجاهات الشرق والغرب والجنوب ومن الشمال العدو (١) الذي لا يتوقف عن الحرب ، وذو خطوط الأمداد المفتوحة ، بفعل انبعاث الروح المسيحية والدينية ، وتحفيز البابوية أما الأندلس ، فليس له من دعم ، بل كانت المغرب التي يملك معها منفذ ضيق ، هو منفذ جبل طارق ، كانت في ذلك الوقت مصدراً محفزاً للثورات ضد الحكم في الأندلس ، منذ حكم الفاطميين إلى الحسن بن كنون إلى ثورة زيري بن مناد الصنهاجي ، كما ان الجغرافية الأندلسية قسمت الأندلس إلى أقاليم ، فطليطلة ذات الموقع المرتفع والحصين ، كانت مركز ثورة دائم ، أيضاً سرقسطة الثغر الأعلى ، كذلك قلمرية الثغر الأدنى ، كل هذه المناطق كانت بعيدة عن مركز الخلافة ، ويصعب قمع الثورات فيها ، وخوف الحكام من تعاون أصحاب الثغور مع الممالك المسيحية ، دفعهم إلى منحهم امتيازات ، منها الحكم المتوارث لعوائل بعينها على هذه الثغور (٢) .

خامساً : عوامل الخارج : لم تكن الحرب الأهلية في الأندلس لتستمر دون الدعم الخارجي ، فخلال ثورة ابن عبد الجبار والمستعين كلاهما استعان بالممالك المسيحية للتغلب على عدوه ، وهذه الممالك استفادت من هذه الحرب في دخول الأندلس ، ومعرفة طبيعة سكانه وأرضه ، وأخذ الحصون الأمامية للمسلمين ، وكسر خطوط دفاعهم ، ومعرفة بنية جيشهم ، وهذا ما يفسر سرعة تقدم هذه الممالك في حرب الاستغلاب .

سادساً : العامل الاقتصادي لا يمكن تحميل سوء الحالة الاقتصادية مسؤوليه السقوط ، فلم تخرج الثورات والانقلابات من الأسر الفقيرة أو من الفلاحين أو المعدمين بل خرجت من الأسر الأرستقراطية الغنية مثل محمد بن هشام بن عبد الجبار بدعم وتمويل من والدته عبد الملك بن المنصور العامري وكذلك انقلاب المستعين وأتباعه الأمازيغ لم يكونوا من الفقراء كذلك الأسرة الإدريسية الحمودية ، على نقيض ذلك يمكن تحميل حالة الترف التي ساعدت الأسر الأرستقراطية والغنية على الانفصال ، مثل أسرة بني مجاهد وبني تجيب وبني هود وبني ذي النون وبني عباد وبني زيري والحموديون ، والكثير من الأسر ساعدتها حالتهم الاقتصادية والثراء الفاحش على إنشاء كيانات خاصة مستقلة عن المركز .

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٢١ .

(٢) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

رابعاً : نتائج سقوط الخلافة

١- **على الأندلس:** انقسام بلاد الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة ، واستقرار كل أمير بناحية أو مدينة ، وإعلان نفسه أميراً عليها ، وبدأ عصر ملوك الطوائف يقول ابن عذاري : " فمنذ ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م كثرت الفتنة ويات كل واحد في موقعه واستبد رؤساء الأندلس وثوارها فيما في أيديهم من البلاد والمعازل وبغى بعضهم على بعض " . (١)

إن الكيانات الناشئة عن سقوط الخلافة في الأندلس تحولت إلى ما يشبه دول مستقلة أو دويلات أو أمارات ، كل واحدة من هذه الكيانات الصغيرة تحكمها أسرة أرستقراطية .

ولقد تخلت هذه الأسر عن السياسة الجهادية ضد الممالك المسيحية ، وتخلت عن الهدف الأسمى الذي لأجله افتتح الأندلس ، فنتيجة الضغط عليها من الممالك المسيحية ، أضافه إلى أطماع زعمائها الشخصية ، وحب الشهرة ، بدأت هذه الدويلات أو الكيانات حالة من الصراع الدائم للتغلب على جيرانها من الدويلات الجارة .

في حقيقة الأمر كانت هذه الدويلات الناشئة أقرب إلى وحدات إقطاعية ، تحكمها أسر قوية ذات عصبية قبلية ، ولم تعمل هذه الأسر الحاكمة لأجل الصالح العام ، أو لأجل صالح الدين الإسلامي ، بل عملت هذه الزعامات لأجل مصالحها الشخصية وتنمية ثرواتها .

فمع سقوط الخلافة ظهرت الأندلس بثوب دولة من دول أوروبا الغربية ، تعيش عصراً إقطاعياً متكاملاً ، والدليل على ذلك ما يرويه ابن عذاري ، حيث يؤكد ابن عذاري ظهور الزعامات المحلية ، وطبقات الفلاحين والعبيد ، وكيفية تملك السادة أو الزعامات لهذه الأقطاعات ، وكيف يجبرون الفلاحين للتحول للعبودية والقنية ، يروي واصفاً حال العبدین مظفر ومبارك اللذين أصبحا من السادة والزعماء في بلنسية شرق الأندلس...

(١) ابن عذاري : البيان، ج٣، ص ١٥٢ .

يقول : " يحثان بسوق الرعية المضطهدة بسلطانهما ، ولا يعبئان بما آذاها ، يقلدانهما شرار العمال ، ويزيدان عليهم بالطوائف الثقال مع الأيام والليال ، حتى غدا الكثير منهم يلبسون الجلود والحصر ، ويأكلون البغل والحشيش ، وفر أكثرهم عن قراهم ... (ثم يقوم السادة مظفر ومبارك) يتخذان ما جلا عنه أهله من تلك القرى ضياعا مستخلصه ، فإذا وقع عليها أسم كبير منهم ، راجع اهلهما ، راضين عنه بالإعتمال بالسهم ، راجين في دفاعه من الحدثان ، وعلى هذا السبيل سلك أكثر الثوار المنتزين على اكنافها الثائرين بأطرافها بعد افتراق سلطان الجماعة بقرطبة، آخر دولة بني عامر " (١) هذا النص ، وطريقة تحويل الفلاحين إلى عبيد ، وإجبارهم نتيجة الفقر إلى العمل تحت ظل السيد ، لا يدع مجال للشك حول أثر النظام الإقطاعي ، وبروزه بشكله الحقيقي ، بعد سقوط دول الطوائف ، ما يؤكد ذلك ايضا إن الصراعات الداخلية التي حدثت لم تقم على اساس ديني إسلامي مسيحي ، ولا حتى على أسس طائفية أو حتى مذهبية ، كذلك لم يكن الصراع على اساس العرق وإن شوهد هذا خلال عصر الفتنة ، فخلال عصر الطوائف أخ يقتل أخيه أو ابن عمه لأجل السلطة كما في الأسرة الادريسية الحمودية ، كذلك بربر زناته لا يتقون في بربر صنهاجة ، لذلك انضم بربر قرمونه ورنده وتاركانا إلى بني عباد العرب في أحيان كثيرة ضد بربر صنهاجة ، كما حارب العرب بعضهم البعض كما حدث بين بني عباد وبني جهور في قرطبة ، وضموا قرطبة إلى أملاكهم .

إلى جانب ذلك لم يكن لهذه الزعامات الشرعية التي تخولها الحكم سوى أنها ورثت الدولة المنهارة ، وكل شخص احتفظ بأملكه معتمدا على قوته المالية في كسب الولاءات ، وبما له من عصبية قبلية ، وأدعى كل واحد من هؤلاء أنه يحتفظ بما يملك حتى ظهور الشخص الشرعي ، أيضا بحثت عدد من هذه الزعامات ، أو شخص خلف الحصري المدعى أنه هشام المؤيد في اشبيلية(٢)

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣، ص١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٩٧ .

وأن من اعترف بخلافة الشخص المدعي انه هشام الذي ذكر ابن حزم أنه شخص يدعى خلف الحصري، فبايعوه انقاء للخطر الحمودي الذي يحكم ، ويدعي الخلافة باسم آل البيت ، أذا هذه المرحلة بعد سقوط الخلافة كانت سمتها الأبرز فوضى سياسية اجتماعية ، يظهر فيها أكثر من شخص يدعي الخلافة لنفسه ، فقط في الأسرة الحمودية يظهر خليفتين ، كلاهما يدعي الخلافة لنفسه إلى جانب الخلافة المزعومة في اشبيلية يقول ابن حزم " اجتمع عندنا في الأندلس أربعة خلفاء ، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة ، وتلك فضيحة لم ير مثلاًها ، خلف الحصري (١) المدعى انه هشام ، وسفكت الدماء لأجله . ومحمد بن القاسم بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بمالقه ، وإدريس بن يحيى ببشتر " (٢) .

بالنسبة للحالة الدينية ، فقد استخدمت الزعامات المحلية الشخصيات الدينية كالفقهاء في تحقيق غاياتها ، يقول ابن حزم : " لا يغرنكم الفساد والمنتسبون إلى الفقه ، واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم " يقول المقرئ : " إن علماء هذا العصر ساروا يسعون الى السلاطين بعد أن كان السلاطين يسعون إليهم أما من كان من هؤلاء العلماء يعارض السلطان ، فكان يواجهه بالأبعاد والتهميش ، وحتى القتل مثل ما تعرض ابي الحسن الهوزي للقتل لدى المعتضد عندما أنتقد فرقه دول الطوائف " (٣) مقارنة بذلك ، يروى في عهد عبد الرحمن الناصر أن الناصر كان لا يصلي في الزهراء ، بل في قرطبة لشده انتقاد الأمام في صلاة الجمعة ، لبذخه وترفه في بناء القصور ، على الرغم من ذلك لم يقم الناصر بأي تصرف معادي لهذا الخطيب ، بل اكتفى بعدم الصلاة ورائه يوم الجمعة . (٤)

٢ - على الممالك المسيحية و أوروبا الغربية وحرب البحر المتوسط :كانت الخلافة قوة كبيرة تمنع تقدم دول اسبانيا المسيحية ، ومن ورائها الدفع المعنوي من البابوية والدفع الاقتصادي من أوروبا الغربية ، ولكن عند ظهور دول الطوائف وعندما بدأت الأندلس تعاني الضعف السياسي والاقتصادي ، والتمزق الاجتماعي ، وتفكك البلاد مع الصراعات الداخلية ، خلال حكم دويلات الطوائف ، .

(١) ابن حزم : رسائل ابن حزم (نقط العروس) ، ص٩٧+ لوثينا : الحموديون ، ص٣٣.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢، ص١٣٩.

(٣) عبد الحليم ، رجب محمد : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٥٧١.

اصبحت الممالك المسيحية في الشمال ، وبدعم من أوروبا الغربية تعمل على توحيد جهودها فمع بدء عصر دويلات الطوائف خفت ضغوط اسبانيا النصرانية على الأندلس بفعل وفاة أحد من أبرز زعامات الممالك المسيحية ، وهو شانجة الكبير ، وحدث صراع بين أبنائه على الإرث (١) ، برز من بينهم فرناندو الذي تمكن من التغلب على اخوته ، وفرض نفوذه على قشتالة وليون سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وفي سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥١م بدء حملة على كل مدن الثغور الأندلسية مثل طليطلة - بطليوس - وسرقسطه ، وفي سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م توفي فرناندو ، فحدث صراع بين ابنه سانشو الثاني والفونسو السادس ، أنهى بلجوء الفونسو إلى طليطلة ، لكن وفاة سانشو الثاني مهدت الطريق للفونسو السادس ليقود الممالك المسيحية ، ويبدأ أكبر عمليات الاسترداد في بلاد الأندلس (٢) .

لقد كان الفونسو السادس ملك قشتالة وليون الحاكم الأبرز في اسبانيا المسيحية ، وتمكن من بسط نفوذه على الممالك المسيحية ، وتوحيدها فتمكن مستفيدا من تمزق الأندلس من دخول معقل الثغر الأوسط طليطلة ، على الرغم من حصانتها وميل شعبها للتمرد ، لكن هذه المرة سقطت وبسهولة ، ودون أي مساعدة من جيرانها ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م ، وتمتاز طليطلة بموقع جغرافي متميز ومرتفع تجعل احتلالها أمرا صعبا ، لكن مساعدة دول الطوائف الأخرى للفونسو ، و ضعف أرادة حاكمها يحيى القادري بن ذي النون ، وأنهاك جيشها بفعل الصراعات الداخلية مع جيرانها ، سهل سقوطها إلى جانب خفوت في الروح الإسلامية الجهادية ، أيضا معرفة الفونسو السادس بنقاط ضعفها ، باعتباره كان لاجئا فيها لوقت طويل ، فتداعا نتيجة سقوطها كل الثغر الأوسط ، مدينة سالم - وادي الحجارة - قونكة - أقليمش - و قلبيرة ، فبات وسط الأندلس محتلا ، وبانت أطرافه يحيط البحر بها من جهة و الممالك المسيحية من جهة أخرى ، فباتت شبه محاصرة ، لأنها لا تتعاون مع جيرانها من دول الطوائف الأخرى .

وقد عبر الشاعر محمد بن عبد الله بن فرج اليحصبي الملقب ابن عسال يقول :

شدوا رواحلكم يا أهل أندلس

فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى

ثوب الجزيرة منسول من الوسط

(١) العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٠ .

(٢) الكلاس ، فايزة : الأندلس ولاية مغربية (أطروحة دكتوراه) ، أشرف: سهيل زكار ، جامعة دمشق ، ١٩٩٢م ، ص ٧-٨ .

من هذه الكلمات يستنتج إن الأندلسيين في ذلك الوقت ، كانوا في أسوأ حالتهم النفسية ، وأن الإحباط قد بلغ منهم مبلغا كبيرا ، فالشعراء ما يطلب منهم هو شد الهمم ، وليس تثبيطها ، وهذا الشعر يدل على أن هناك بالفعل من هاجر أو يفكر بالهجرة النهائية من الأندلس .

هذا النصر ساهم في رفع الروح الصليبية ، فسارع الفونسو إلى سرقسطة التي باتت سقوطها في متناول اليد ، وتمكن من حصارها ، وبدأ يضغط على دويلات الطوائف بالحرب وطلب المال ، وقد أخذ الفونسو ألقابا تدل على نيته السيطرة على كل شبه الجزيرة الإيبيرية ، وتلقب *imperator Hispania* امبراطور اسبانيا ، وكما ذكر سابقا فإن المسيحيين يطلقون على الأرض التي يسيطر عليها المسلمون اسبانيا ، وتلقب بذو الملتين أي الإسلامية والمسيحية ، ولم يتخلص الأندلسيون من الفونسو ، وسطوة الممالك المسيحية ، إلا بقدم المرابطين الملتزمين الصنهاجيين ، الذين خرجوا من صحراء موريتانيا والنيجر ، بقيادة يوسف بن تاشفين (١)

أما بالنسبة للصراع على البحر المتوسط

فقد كان انهيار الخلافة الأموية في الأندلس ، وانكشاف عيوبهم وانشغالهم في صراعاتهم الداخلية ، مقابل تصاعد الروح الصليبية في أوروبا الغربية ، إلى جانب سوء الأوضاع المعيشية في أوروبا الغربية ، بفعل النظام الإقطاعي فلم ينته القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، إلا وقد وصلت طلائع الفرنجة (الصليبيين) إلى القسطنطينية وآسيا الصغرى (٢) ، وسواحل بلاد الشام (حيفا - يافا - وعكا) ، كذلك سيطر الأوروبيون على جزائر البحر المتوسط الشرقية فسيطروا على أقرطش ومالطا وصقلية بفعل عدم اهتمام الأندلسيين ، ومن سواهم من المغاربة وفي بلاد الشام بالأساطيل (٣) ، ففي الأندلس انشغلت دول الطوائف بصراعاتها الداخلية ، ويلخص ابن خلدون حال المسلمين في نهاية القرن الخامس الهجري بعد أن كانت أساطيلهم تسيطر على هذا البحر ، وانسحاب الفرنجة إلى الشمال الشرقي منه .

(١) العبادي ، احمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة ، بيروت ، د.ت ، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(2) France, John : Western Warfare in the age of the Crusades (1000-

1300), University of Wales, Swansea,p208-209+

-الكلاس : الأندلس ولاية مغربية، ص ٣-٤.

(٣) ابن خلدون : العبر ، مج ١، ص ٤٥١.

يقول : "حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والهوان ، وطرقها الاعتلال ، مد النصارى أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية ، مثل صقلية وأقريطش ومالطا ، فملكوها ، ثم ألحوا على سواحل الشام في تلك الفترة ، وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا ، واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام ، وغلبوا على بيت المقدس ، وبنوا عليه كنيسة لإظهار دينهم وعبادتهم ، وغلبوا بني خزرون على طرابلس ، ثم على قابس وصفاقس ، ووضعوا عليهم الجزية ، ثم ملكوا المهديّة مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زيري ، وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة في هذا البحر " (١)

إن هذا النص يعطي صورة واضحة عن تصاعد قوة أوربا الغربية ، وانبعاث روح صليبية جديدة ، وخروج من ظلام أوربا ، بالمقابل ذلك دخلت الدولة الإسلامية في الأندلس في عصر مظلم مثل عصر الإقطاع ، إذ لم يكن هو عصر الإقطاع في الأندلس ، وابتعاد عن الدين ، وبروز دور الزعامات المحلية ، باختصار ما خرجت منه أوربا دخل فيه الأندلسيين ، بذلك تمكن الأوروبيين من بدء مرحلة توسعية باتجاه الشرق باسم الصليب والمسيحية ، ولم يتمكن المسلمون من مقاومة هذه الهجمة ، إلا بعد ظهور الزنكيين والأيوبيين في المشرق والمرابطين ثم الموحدين في المغرب .

٣- **على المغرب** ارتبط تاريخ الأندلس السياسي بالمغرب ارتباطا وثيقا ، فطبيعة شبه الجزيرة الأيبيرية المحاطة من ثلاث جهات بالبحر ، ومن الشمال الممالك المسيحية ، مع امتلاكه ممر ضيق مع المغرب ، جعل المغرب ممر الخروج الوحيد للأندلس ، وممر لدخول الزعامات والامداد البشري اليه .

خلال عصر الخلافة كان المغرب ساحة صراع بين الأندلسيين والفاطميين على المغرب ، أما بعد سقوط الخلافة ، فانشغل حكام دويلات الطوائف عن المغرب ، كذلك الفاطميين في مصر بفعل أن قبيلة صنهاجة نقضت بيعتها وولائها للفاطميين ، ردا على ذلك رد الفاطميون في مصر بتحريض قبائل سليم وهلال ، للعبور إلى المغرب في سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥٢ م (٢)

(١) ابن خلون : العبر ، مج ١ ، ص ٤٥١ .

(٢) أحمد : تاريخ المغرب ، ص ١٣١ .

نزل بنو سليم في برقه ليبيا وبني هلال المغرب ، فحدث صدام بينهم وبين السكان المحليين ، بقيادة المعز بن باديس ، في ذات الوقت تعرضت السواحل المغربية لضغط النورمان ، فسيطر النورمان على المهدية الواقعة على الساحل المغربي ، وبذلك سقطت الدولة الزيرية في المغرب ، في نفس وقت سقوط الخلافة وظهر دويلات الطوائف ، كانت هناك قبائل مسوفة - لمتونه - جداله في صحراء موريتانيا تعاني الفاقة والحرمان ، ولم تكن تعرف هذه القبائل عن الدين شيئا ، لكن بفضل عدد من الدعاة مثل يحيى بن ابراهيم الجدالي ، وابو عمران الفاسي ، وعبد الله بن ياسين ، وقد تمكن الاخير بالدعوة والقوة من تطويع هذه القبائل وتوحيدها ، والعبور بها إلى المغرب بعد تعليمها أمور الدين . (١)

في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م كانت قبائل المرابطين الذين يعتبرون جزء من قبيلة صنهاجة قد انهوا دويلة برغواطه ، وقد برز من هذه القبائل قائد قوي هو يوسف بن تاشفين ، وقد تمكن هذا القائد من السيطرة على المغرب الاقصى ، ولم تنته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨٢م حتى بسط نفوذه على المغرب الأوسط (وهران - وجده) ، خلال ذلك كانت الأندلس تعاني من هجمات الفونسو السادس ، الذي اسقط وسط الأندلس ، وطليلته الحصينة ، وياتت معظم الأندلس ساقطه بيده سواء بالحصار أو بدفع الجزية .

يروى أنه عندما أتى ابن شاليب اليهودي إلى المعتمد بن عباد لأخذ الجزية ، هدد ابن شاليب ان اشبيليه ذاتها ستكون الجزية العام المقبل ، متذعرا برداءة الذهب المقدم كجزية ، فقتله المعتمد بن عباد ، ثم اعتذر ابن عباد لالفونسو عن قتله ، وقبل الفونسو ، مع ذلك ايقن ابن عباد بأن كلام ابن شاليب حقيقي ، وعلى محمل الجد ، فبدأ يفكر بطلب مساعدة ابن تاشفين في المغرب ، الذي تلقى دعوة للعبور الى الأندلس من بطليوس . (٢)

(١) احمد : تاريخ المغرب ، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ١٥٥-١٥٦ + الكلاس : الأندلس ولاية مغربية ، ص ٢٠ .

لقد حذرت بعض الزعامات ابن عباد من تغلب ابن تاشفين على ملكه ، فرد ابن عباد "رعي الابل عند ابن تاشفين خير من رعي الخنازير لدى الفونسو "، في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م كان المرابطون داخل الأندلس عن طريق الجزيرة الخضراء(١)، واشبيليه ، واستعدوا لمواجهة الفونسو السادس ، فحدثت معركة الزلاقة (٢)، التي كانت إبل المرابطين وقوتهم ، وجهل المسيحيين بطرق قتالهم ، سبب لهزيمة الفونسو السادس ، وبذلك كان المغرب طريق العبور الزعيم ابن تاشفين ، الذي تمكن من صد حرب الاسترداد، وبهذه المعركة الهامة كتب للحضارة الأندلسية الاستمرار حتى سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م والله ولي التوفيق

(١) الكلاس : الأندلس ولاية مغربية ، ص ٢٨.

(2)France , John: Western Warfare in the age of the Crusades (1000

1300), University of Wales, Swansea, p163

خاتمة

منذ سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م سقطت الخلافة الأموية ، وأصبحت صورة يحكم باسمها محمد بن ابي عامر ، معلنا بداية حكم دولة الحجاب العامريين ، التي استمرت تحكم الأندلس ثلاثة وثلاثين سنة ، ومنذ ذلك الحين حجب الحجاب العامريين الخلافة ، فلم تكون سوى صورة تمكن من خلالها ابن ابي عامر من أن يحكم الأندلس ، منفردا وحيدا مستبدا بكل السلطات ، متجاهلا الشرعية الأموية ، ومدمرا كل رسومها ، مستبدا بكل سلطاتها ، ولم يقف عند هذا ، بل وضع كل أموي يمثل خطر تجاهه تحت المراقبة الدائمة ، حدث كل هذا دون اعتراض من أحد ، بفضل براعة المنصور وقوة شخصيته ، فصرف أنظار الداخل نحو الخارج ، من خلال أكثر من خمسين غزوة على الممالك المسيحية في الشمال ، فباتت الأندلس قوية مرهوبة الجانب ، واعتمد في ذلك على تشكيل جيش قوي عماده البربر (الامازيغ) ، الذين أتى بهم من المغرب مغريا اياهم بالمكاسب والعطايا ، فاستطاع من خلال هذا الجيش ضبط حدود الخارج وإرهاب الداخل من أي محاولة ثورة ضده .

ثبت المنصور حكمه بانتصارات تلو أخرى ، ساعدته فيه ظروف لم تنتهيا لغيره ، فليس في الأندلس قائد قوي خطط ودبر كالمنصور ابن ابي عامر ، فضرب كل منافسيه بعضهم ببعض دون علم منهم ، فدخل القصر بمحبة صبح ، واستعان بالمصحفي للتخلص من الصقالبة خاصة خلفاء بني أمية ، ثم استعان بغالب قائد الجيش ليتخلص من المصحفي ، ثم أتى بالبربر (الامازيغ) ، وقائده جعفر الأندلسي ، فاستعان بهم وبه للتخلص من غالب ، ثم قتل الأندلسي مسموما ، ثم بقي وحيدا ينادي صروف الدهر هل من مبارز ؟

أغرق المنصور الأندلس مستفيدا من انتصاراته ضد ممالك الشمال بالسبايا والغنائم ، فكسب ولاء الجيش بالمطلق حتى رخصت فتيات العرب ، ولم يعد أحد يتزوجهن لكثرة السبي، أنهى حكم المنصور بوفاته ٣٩٢هـ/١٠٠٢م ، وهو يقاثل ضد ممالك الشمال ، تاركا الحكم لابنه عبد الملك المظفر الذي سار على نهج والده في الداخل والخارج ، أما الخليفة الحقيقي المحتجب من تلقاء نفسه عن الناس ، فقد أعتاد عيشة القصر ، وترك الدولة لبني عامر ، لم يستمر حكم المظفر سوى سبع سنوات توفي بعدها حيث توفي والده في مدينة سالم قاعدة الجهاد الاولى ، أو اغتيل من قبل أخيه شنجول ، شنجول هذا هو الشقيق الأصغر لعبد الملك ، واسمه عبد الرحمن ، وسمي شنجول لكثرة شبيهه بجده شانجه بن غارسيا وإن صح التعبير فاسم شنجول أحق له من اسم عبد الرحمن ، فما فعله شنجول عجز عنه شانجه بن غارسية ، وكل حكام الممالك المسيحية في الشمال ، فما استلم الحجابة حتى طلب ولاية العهد لنفسه ، متجاهلا أن والده المنصور الحاكم القوي لم يجرؤ على فعل هذا، تجرأ شنجول على

الخلافة الشرعية مدعيا أنه القحطاني ، الذي يسوق الناس بعصاه كما وعد رسول الله بهذا الرجل في آخر الزمن .

صدق رسول الله وكذب شنجول ، فما حكم سوى أربعة أشهر حتى تجرأ عليه بني أمية ، كما تجرأ على خلافتهم ، مستغلين غيابه في غزوته الأولى نحو الشمال فثار ابن عبد الجبار ، بدعم من أم الخليفة السابق عبد الملك المظفر ، مدمرا مدينة ابن ابي عامر الزاهرة ، معلنا انتهاء دولة بني عامر ، وعودة بني أمية بحكم شرعي دون الخليفة هشام، دخلت الأندلس بسقوط دولة بني عامر بحرب اهلية استمرت ثلاثة وعشرين سنة ، كانت كفيلة بانتهاء خلافة بني أمية إلى الأبد ، ليس ذلك فحسب بل أنهار النظام السياسي بشكل كلي ، فانزوى كل قائد وكل حاكم بمدينته ، وبدأت دويلات الطوائف بالظهور .

هذا الانهيار لم تتمكن من إيقافه لا شرعية بني أمية ولا حتى شرعية مستمدة من آل البيت ، فأخفق بني حمود في إعادة أمجاد الأندلس ، ذلك أن الأندلسيين قد تخلوا عن مبادئ الدين الذي دخل به أجدادهم إلى الأندلس بدعوى نشر الدين الإسلامي، في تلك المرحلة اصطدمت عدة شرعيات ببعضها ، فبني أمية يدعون الشرعية والامازيغ أدعوا الشرعية، وبني حمود أدعوا الشرعية، لكن كلهم أخفق لأن الأندلس لم تعد كما كانت .

لم يتمكن أي خليفة من تثبيت حكمه ، فكانت نهاية عهد الخليفة إما قتلا ، أو خلعا أو ان يكون مهزوما هاربا من السقوط في يد خصمه، غرقت الأندلس بظلام أوربا ، فباتت جزء منها كل أمير يحكم منطقته أو قلعته ، وكل منهم لا يتورع عن فعل أي شيء في سبيل الخلاص من منافسيه ، فكان طلب المساعدة من الممالك في المسيحية في الشمال سمة تلك المرحلة ، متجاهلين أن هؤلاء هم أعداء الأمس الذين أتى اجداهم اليهم لينشروا الإسلام في أرضهم، سقطت الرابطة الدينية ، وتخلى الأندلسيون عن عقيدتهم في سبيل مصالح شخصية ، فظهرت الزعامات والطبقات الأرستقراطية ، وظهرت الأندلس بثوب دولة من دول أوربا الغربية ، فتجلى النظام الإقطاعي في الأندلس في أكمل صورة هذا سرد موجز لأحداث المرحلة المدروسة أما أبرز نتائج البحث:

١- أخفاق الاستبداد العامري بإحلال شرعية جديدة محل الشرعية الاموية بسبب فقدانه الشرعية الدينية، وعدم امتلاك العامريين العصبية الكافية، فاعتمدوا على البربر (الامازيغ)، مما أحدث شرخ اجتماعي بين العرب والامازيغ، ايضا ظهور الأسر الغنية التي تملك المال والجاه بفعل كثرة الغنائم، مكنها بفضل المال وطبيعة بلاد الاندلس كبلد مترامي الاطراف، يصعب حكمه مركزيا، في النهاية اخفق العامريون، وعلى هذا الاخفاق ترتب انهيار النظام السياسي .

٢- إن عصر الفتنة والحرب الأهلية هو تحصيل حاصل لجذور قديمة منها الانقسام الاجتماعي، وطبيعة جغرافية بلاد الأندلس، وفقدان العقيدة الإسلامية، والابتعاد عن الأخلاق التي قامت عليها الدولة وانقسام الأمويين وضعفهم وتوسيد الأمر لغير أهله .

٣- بقيت الخطط السياسية والنظام السياسي مستقرة حتى نهاية الاستبداد العامري، ثم دخل في مرحلة فوضى مرحلية حتى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، ثم عاد هذا النظام مستقرا بشكل آخر، فأصبحت كل مدينة هي دولة فيها نظام محكم يحكمها، هذه المدن لن تكن وليدة اللحظة، بل كانت تحصيل طبيعي لعوامل الجغرافية والمجتمع، وتأثيرات النظام الإقطاعي الذي هو نظام سياسي اجتماعي .

انقذ المرابطون الأندلس، ثم تلاهم الموحدون واستمر الوجود الإسلامي في الأندلس حتى سقوط غرناطة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ، في عهد أبي عبد الله الصغير فأنشدت أمه شعرا :

أبك مثل المساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال

أطلق بعض المؤرخين على الأندلس الفردوس المفقود ، رحلت الأندلس وبقيت أثارها إلى اليوم شاهدة على حضارة المسلمين ، وما زال أثر علاقات الغرب بالأندلس حتى هذا العصر ، فخلال الحرب الأهلية الإسبانية ١٣٥٥-١٣٥٨هـ/١٩٣٦-١٩٣٩م بين القوميين والجمهوريين ، والتي انتهت بانتصار الجنرال فرانكو الذي استعان بالمغاربة في سبيل تحقيق النصر ، وما زالت اسبانيا حتى هذا اليوم تحكم بنظام غير مركزي ، وما يزال حتى هذا اليوم إقليم كاتلونيا الإقليم المقابل لسرقسطة (الشعر الأعلى) ، ينزع للاستقلال عن السلطة المركزية، هذا وما زال الغرب حتى هذا اليوم ينهل من علم الأندلس وحضارتها وهندستها وفنونها حتى تعلم فن بناء الحمامات من الأندلسيين ، والموضة من زرياب أما المسلمون فقد أخذوا من الأندلس ملوك طوائفها، في الختام إن أي حدث تاريخي ، ومهما حاول الباحث الإلمام به ، فهذا غير ممكن ، ولكن كان كل الحرص الخروج بأفضل الممكن ، والخروج بصورة تعطي القارئ صورة واضحة قدر الإمكان، قال تعالى : { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير } صدق الله العظيم ، فيما أصبت بففضل من الله ، وبما أخطأت فمن نفسي .

والله ولي التوفيق

الأندلس



- مكتبة الأوسكريال في مدريد حيث تحفظ معظم المخطوطات والوثائق الأندلسية

- عملة نقدية أصدرتها بريطانيا في ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م لصالح حكومة جبل طارق وعليها صورة طارق بن زياد والنجمة الخماسية المغربية

ملحق رقم (١) وصية المنصور محمد بن ابي عامر لابنه عبد الملك

يا بني لست تجد أنصح لك، ولا أشفق مني عليك، فلا تتعدين وصيتي، فقد جودت لك رأي ورويتي على حين اجتماع من ذهني ، فاجعلها مثلاً بين عينيك ، وقد وطئت لك مهاد الدولة ، وعزلت طبقات أوليائها ، وقايست لك بين دخل المملكة وخرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها وخلفت لك جباية تزيد على ما يقويك بجيشك ونفتك ، فلا تطلق يدي الانفاق ، ولا تغض لظلمة العمال ، فينحل أمرك سريعاً فكل سرف الى اختلال ، فاقصد في امرك جهدك واستلثب فيما يرفع اليك اهل البطالة والرعية ، قد استصفيت لك تقويمها ، واعظم منها الى ان تأمن البادرة ، وتسكن الين الجنبه ، وصاحب القصر قد علمت مذهبه ، وإنه لا يأتيك ، من قبله شيء تكرهه ، والألفة ممن يتولاه ، ويلتمس الوثوب به ، فلا تتم عن هذه الطائفة جهدك ، ولا ترفع عنها سوء الضن والنميمة وعاجل بها من خفته على اقل تهمة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه ، فليس لك ولأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمين بيعته ، الا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة واما الانفراد بالتدبير ، مع ما بلوته من جهله وعجزه ، فإني ارجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة ، والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك ، فاقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبدلها ، إلا عند شدة تخاف منها على سائر جسدك ، واخوك عبد الرحمن قد صيرت له في حياتي ما أرجو اني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي واخرجته من الثغر ، لئلا يجد العدو مسعى بينكما في خلاف وصيتي ، فيسرع ذلك في نقض امري ، ويجلب لفاقة الى دولتي ، وقد كفيته الخبرة فيه ، فاكفني الحيف منك عليه ، وكذلك سائر اهله فيما صنعت بهم بحسب ما قدرت به خلاص من مالك الله الذي بيدك ، وخلافتك أخرى مما صرفته اليهم ، فلا تضع جميعهم ، ولحظهم بعيني ، فإنك ابوهم بعدي ، فخرج ذكورهم باستخدامك ، ولحف بناتهم جناحك ، جبر الله جماعتهم واحسن الخلافة عليهم .

وإن انقادت لك الامور بالحضرة ، فهذا وجه العمل ، وإن اعتاصت عليك ، فلا تلقين بيدك القاء الامه ، ولا تبطر بك ، ولا بأحبابك النعمة والسلامة ، فنتسوا آمالك في بني أمية ، وشعبهم بقرطبة ، فاقبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعافل التي حصنتها لك ، واحتقر غدك ان انكرت يومك ، وإياك ان تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك ، فإني أعرف ذنبي اليهم .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٧٧-٧٨

ملحق (٢) وصية المنصور لغلمانه

تتبهوا لأميركم ، واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعته ، عبد الملك أخيك ومولاكم ، ولا تغرنكم بوارق بني أمية ومواعد من يطلب منهم سيئاتكم ، وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعهم من الحقد عليكم ، فليس يرأسكم بعدي أشفق عليكم من ولدي .

وملاك أمركم أن تتسوا الأحقاد ، وأن تكونوا كرجل واحد فإنه لا يطمع فيكم ، وانصرف المظفر لشأنه وضبط سلطانه ، وتخلف المنصور ينازع من أجله وانفراده بعمله ، قد قطع الهر به عن أمله فسيح ان الحق الباقي لا إله إلا هو .

ملحق (٣) كتاب من هشام المؤيد لعبد الملك بن المنصور بلقب المظفر

أتم الله عليك نعمة ، وهناك قسمه ، والبسك عفوه وعافيته ، اما رأيناك مسلك الله ، ومن صنع الله الجسيم وفضله العظيم لنا عليك ، وما شفق الصدور وافر العيون ، استخرنا الله تعالى في أن سميناك : "المظفر" ، فنسال الله سؤال الجاني وضراعة وابتهال اليه ، ان يعرفنا وإياك بركة هذا الاسم ويحييك معناه، ويعطينا وإياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منة ، وان يخير لنا ولهم في أفضيته ، ويقرن قيمته وسعادته منه ، وخفي صنعه ، وكذلك أبحنا لك التكني في مجالسنا ومحافلنا وفي الكتب الجارية منك واليك وفي اعمال سلطاننا ، وسائر ما يجري فيه اسمك معنا ، ودونك إنابة بحلك لدينا ، ودلالة على مكانك منا ، وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عامر محمد بن المظفر قلادنا أسعده الله بالإنهاض الى خطة الوزارتين ، وجعلنا بها في التكني على المشيخة والترتيب أترك في الدولة ، وانت الحقيق منا بذلك كله ، وبمزيد المزيد عليه ، لأنك تربيتنا ، وسيف دولتنا ، وولي دعوتنا ، ونشئ نعمتنا ، وجريح أدبنا ، فضهر ما جددناه في الموالي ، وأهل الخدمة ، واكتب به الى اقطار المملكة ، وتصدقه بشكر النعمة ، احسن الله توفيقك ، ومتعنا طويلا بمعافاتك ، وأنسانا مليا بدوام سلامتك ، أنه ولي قادر عزيز قائم إن شاء الله تعالى .

ملحق (٤) وثيقة منح هشام المؤيد عبد الرحمن شنجول ولاية العهد

هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله أطل الله بقاءه الى الناس عامة ، وعاهد الله عليه من نفيه خاصة ، واعطى بيعة صفقة يمينه بيعة تامة ، بعد أن أمعن النظر ، واطال الاستخارة ، وأهمهما جعل الله اليه من إمامة المسلمين ، واتقى حلول الأجل بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف ، وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع لهذه الأمة علما تأوي اليه ان يكون بقاء الله مفرطا فيها ساهيا عن أداء الحق اليها ، ونظر عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قریش وغيرها ممن يستحق ان يسند الامر اليه ، ويعول في القيام به عليه ، بعد اطراح الهوادة ، والتبري من الهوى ، والتحري للحق ، والتزلف الى الله جل جلاله بما يرضيه ، وان قطع الاواصر ، واسخط الاقارب عاملا بالألا شفاعا عنده اعلى من العمل الصالح ، وموقنا الا وسيلة اليه أزكى من الدين الخالص لم يجد أحدا هو أجدر ان يقلده الخلافة في فضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف موكبته ، وعلو منصبه ، مع تقوله وعفافة وحزمه وثقافته من المأمون الغيب الناصح الجيب النازح من كل عيب ناصر الدولة (ابي المطرف عبد الرحمن ابن المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر وفقه الله ، اذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه ، واختبره ونظر في شأنه وأعتبره ، فراه مسارعا الى الخيرات ، مستوليا عن الغايات ، جامعا للمؤثرات ، وارثا للمكرمات يجب بضبعه الى ارفع منازل الطاعة ، ويسمو بعينيه الى اعلى درج النصيحة ، ومن كان المنصور اباه والمظفر أخاه ، فلا غرو ان يتبع من سب البر مداه ، ويحوي من خلال الخير ما حواه ، مع ان أمير المؤمنين أبقاه الله لكثرة ما طالعه من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر ، امل ان يكون ولي هذه القحطاني الذي جاء فيه الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه " فلما استولى عنده الاختيار ، وتقابلت فيه الآثار ، لم يجد عنه مذهبا ، ولا إلى غيره معرجا ، خرج اليه من تدبير الامر في حياته وفوض اليه النظر في امور الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجهدا متخيرا ، غير محاب له ، ولا مائل بهوادة اليه ، ولا شرك نصح الاسلام واهله فيه ، وجعل اليه الاختيار لهذه الامة بولاية عهده فيها ، ان رأى ذلك في بقاء أمير المؤمنين أعزه الله وبعده ، وامضى أمير المؤمنين أعزه الله عهده هذا وانفذه وأجزه وبتله ، لم يشترط فيه مثنوية ولا خيارا .

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ٤٤-٤٥ .

واعطى على الوفاء بذلك في سره وجهه وقوله وفعله و عهد الله وميثاقه ، وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم و وذمم الخلفاء الراشدين من آله وآبائه وذمة نفس بان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يتأول ، واشهد الله على ذلك وملائكته وكفى بالله شهيدا ، وشهد من أوقع اسمه في هذا الكتاب ، وهو ابقاه الله جائز الامر ، ماضي القول والفعل ، بمحضر من ولي العهد المأمون ناصر الدولة ابي المطرف عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله ، وقبوله لما قلده ، والتزامه لما التزمه ، وذلك في شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وثلاثمئة.

(١) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ، ص ٤٦ .

ملحق رقم (٥) المستعين يمنح ولاية عهده لابنه محمد

فإن أمير المؤمنين لما جبله الله عليه وحببه إليه من الاجتهاد للمسلمين والنظر لهم والفكر في عواقبهم ، والحرص على مصالحهم ، والإشفاق من اختلافهم ، وافتراق كلمتهم رأى أن يجتهد لهم لمماته، كما اجتهد لهم في حياته ، فإن يرفع لهم علما يهتدون به ، وينصب لهم وزرا يلجؤون اليه ، وموئلا يتعطفون عليه ، مقتديا في ذلك بالأمة المهتدين والخلفاء الراشدين الذين نظروا للأمة بعدهم وأشفقوا من اختلاف كلمتهم ، وتفرق مذاهبهم عندما يفاجئهم ما لا محيد لهم عنه ولا بد منه من بغتات الأقدار ، ونفاذ الاعمار الليل والنهار .

فأطال استخارة الله عز وجل والرغبة إليه في الأخذ له بتوقيفه ، ومعاضدته ، وتسديده وحمله على ما فيه الخير له ولجميع المسلمين بجميل العافية في الدنيا والآخرة ، فألقى الله في روعه ، وثبت في خلد ، وقرر في نفسه ، أن محمد ابن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة بولاية عهد المستعين ، غير مجاب له ولا آخذ بمولده فيه ، وما هو عليه في دينه وهديه وورعه وفضله وطهارة أثوابه وعفان مذهبه ، وصلف نفسه ، واكتمال حلمه ، وسعة علمه ، وكمال أدبه ، واضطلاعه بأعباء الخلافة ومعرفته بمعاني السياسة ، ونفاذه في التدبير والإدارة .

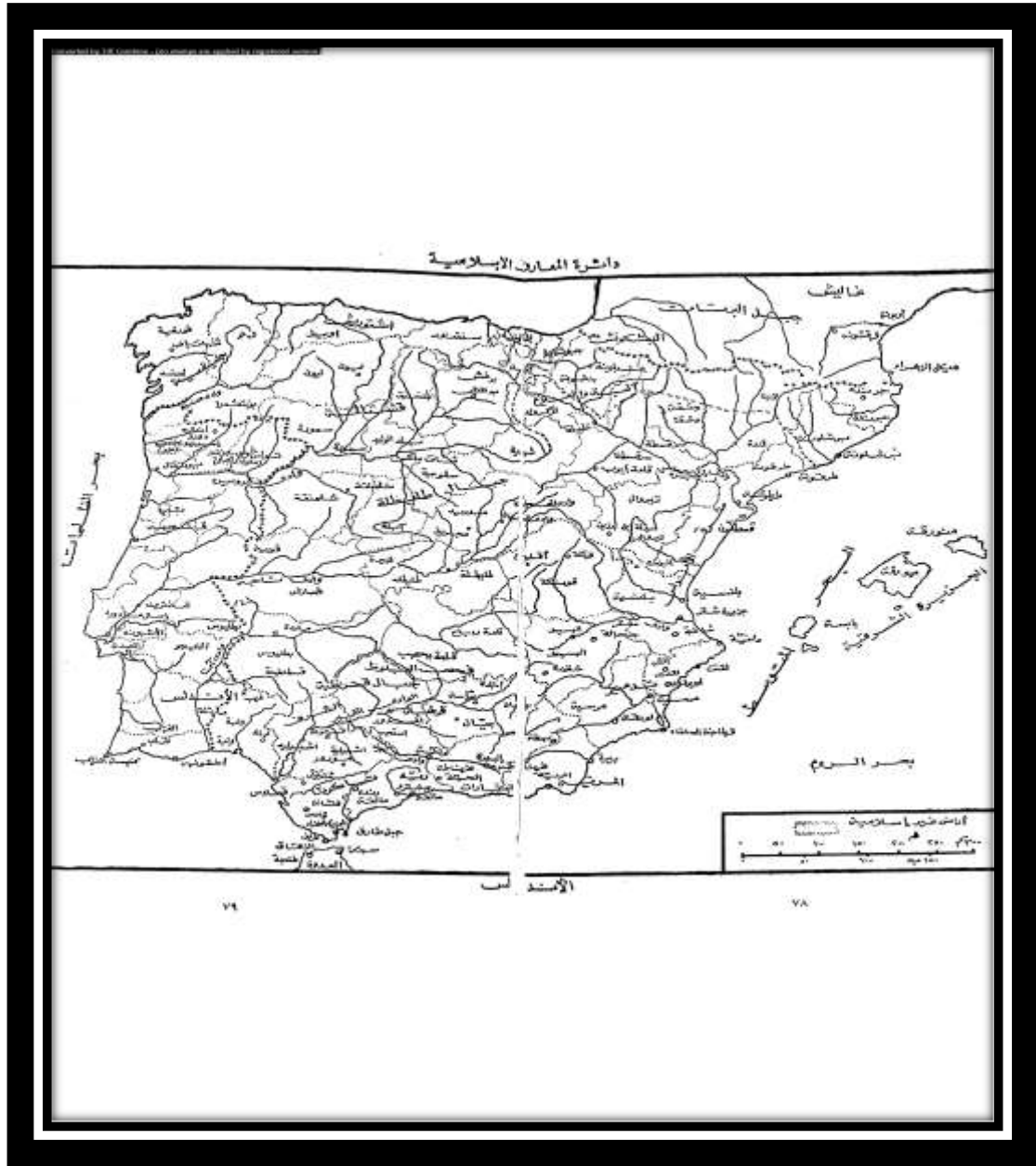
فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله تعالى فيه وعزم عليه ، وجعل ولاية عهد المسلمين إلى محمد بن المستعين بالله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج لجماعة المسلمين عما ألزمه الله من حقهم ، وتبرأ إلى الله مما كلفه من أمرهم وأداء الأمانة التي حمله الله في الاجتهاد لجماعتهم ، وقضى ما وجب عليه من الاحتياط في الاختيار لإمامتهم ، مبتغيا بذلك ثواب الله العظيم وفضله الجسيم ، ونظره لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحصينا عليها ، واحتياطا لها وهروبا من التقصير في حقها والله يريد وجماعة المسلمين الخير والخيرة واليمن والبركة والسعادة والغبطة فيما وفق أمير المؤمنين وعهده ، وما أنشد من فعله ، وتقدم إلى أصحاب الصلوات في جوامع عملك بالدعاء له في خطب الجمع بما ادرجناه طي كتابنا هذا .

والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه في جماعة المسلمين بما فيه الخير لهم وسبل العاقبة في دينهم ودنياهم ، وأن يقارضه بجميل نيته لهم وكريم مذهبه فيهم إنه ولي المجازاة بالإحسان عن الإحسان والممتن بالفضل والامتنان إن شاء الله .

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص١١٨-١١٩.

الخلافة الأموية في الأندلس

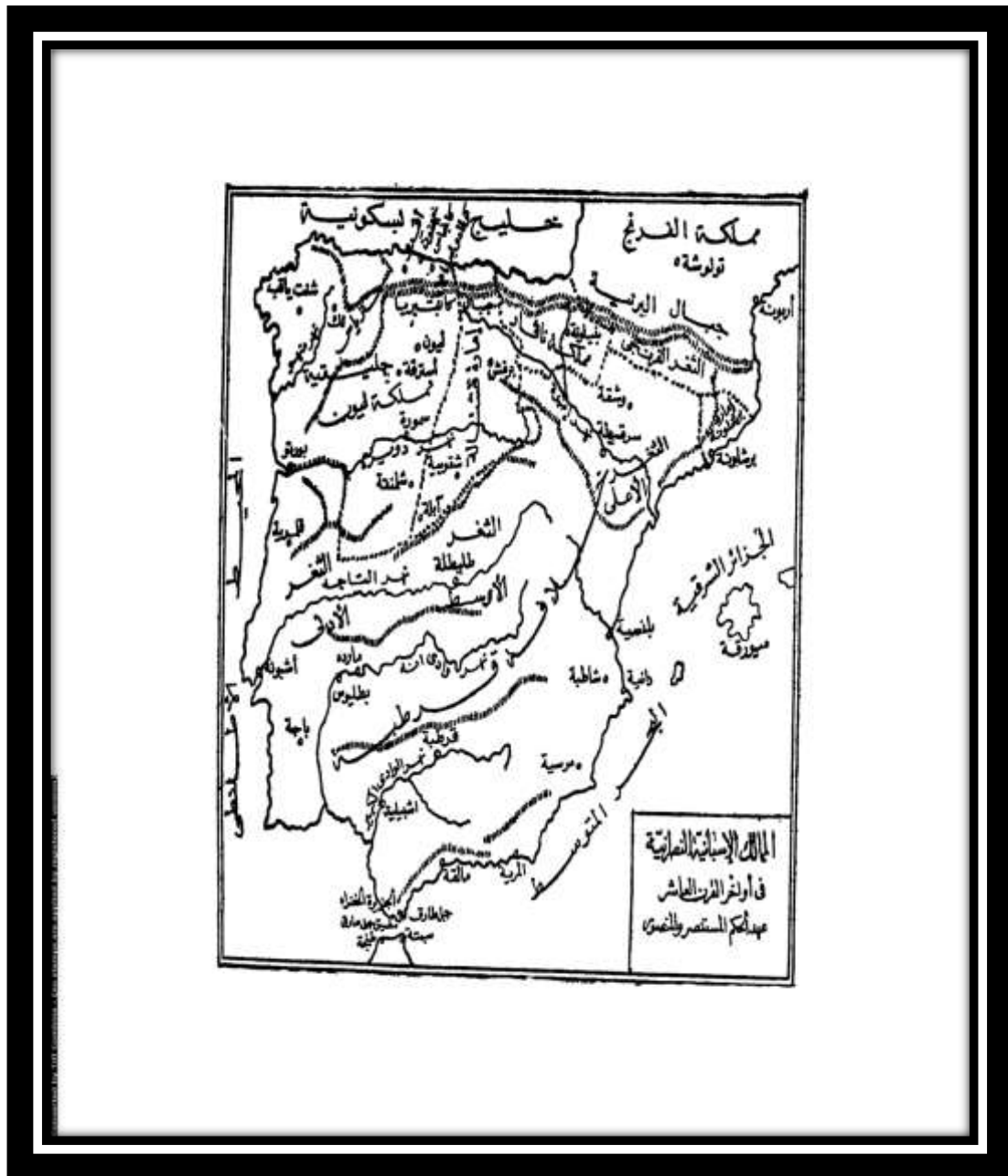




الأندلس

كولان : الأندلس ، ص ٧٩ .

عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .



الممالك المسيحية في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية



الفتح الأموي للأندلس



الأندلس



الأندلس



الأندلس



الاندلس



الأندلس



Al-Andalus 1000c

reuter : medieval history 900-1024 c, p 671





الأندلس : المرابطون

قائمة المصادر والمراجع (مرتبة معجمياً)

القرآن الكريم

- ١- ابن الأبار ، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي : (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)
- الحلة السيرة ، ت . ح : حسين مؤنس ، ط ٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٢- ابن الأثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري : (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٣م)
- الكامل في التاريخ ، ت . ح : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ٣- الادريسي ، ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحسني : (القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي)
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط ١ ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
- ٤- الإيلاني : (كان حيا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
- مفاخر البربر ، ت . ح : عبد القادر بوباية ، ط ١، دار ابي رقرق ، الرباط ، ٢٠٠٥ م .
- ٥- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام: (ت. ٥٤٣هـ/ ١١٤٧م)
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت . ح: احسان عباس، ق ٤ ، مج ١ ، دار الثقافة، ط ١، بيروت ، ١٩٨٥ م.
- ٦- ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك : (ت. ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)
- الصلة ، ت . ح : ابراهيم الإيباري ، ط ١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
- ٧- البغدادي ، صفى الدين بن عبد المؤمن : (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)
- مرصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، ت . ح : علي حمد البجار ، دار الجبل ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٢ م.
- ٧- ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف: (ت . ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ت . ح : محمد حسين شمس الدين ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ٩- ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم : (ت . ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)
- رسائل ابن حزم الأندلسي (نقط العروس)، ت . ح : احسان عباس ، ج ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- جمهرة انساب العرب ، ت . ح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٥، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

١٠- الحموي ، ياقوت الحموي : (ت . ٦٢٦هـ/٢٩٩م)

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

١١- الحميدي ، ابو عبد الله بن محمد بن ابي نصر: (ت . ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

- جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م .

١٢- الحميري ، محمد بن عبد المنعم : (القرن السابع أو التاسع الهجري الثالث عشر أو الخامس عشر ميلادي)

- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ت . ح : إحسان عباس ، ط١، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

١٣- الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي ابن العماد : (ت . ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ط٢، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩

١٤- ابن حوقل ، ابي القاسم بن حوقل النصيبي : (كان حيا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي)

- صورة الأرض ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

١٥- ابن حيان ، ابي مروان بن حيان : (ت . ٤٢٧هـ/١٠٣٦م)

- المقتبس في أخبار أهل الأندلس ، ت.ح : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

- المقتبس في أخبار أهل الأندلس ، ت.ح : شالميطا -كورنيطي ، المعهد الإسباني ، مدريد ، ١٩٧٩ م ، ج ٥.

١٦- الخشني : ابي عبد الله محمد بن حارث بن أسد : (ت . ٣٦١هـ/٩٧٢م)

- قضاة قرطبة ، ت. ح عزت العطار الحسيني ، مكتبة الاستقامة ، تونس ، ١٩٥٣ م .

١٧- ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب : (ت . ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

- أعمال الأعلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

- الاحاطة في اخبار غرناطة ، ت. ح : محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م

١٨- ابن خلدون : (ت . ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب المصري +دار الكتاب اللبناني، القاهرة + بيروت ، ١٩٩٩ م .

١٩- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : (ت . ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

٢٠- الرشاطي (ت. ١١٤٧/٥٤٢م) - ابن الخراط الأشبيلي (ت. ١١٨٦/٥٨١م) :

الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، ت. ح: مولينا - بيللا ، مجلس الأبحاث العلمية . مدريد ، ١٩٩٠م

٢١- الرقيق ، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم : (كان حيا أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي)

- قطعة من تاريخ إفريقيا والمغرب ، ت. ح : عبد الله العلي الزيدان - عز الدين عمر موسى ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م .

٢٢- ابن أبي زرع الفاسي ، الحسن علي بن عبد الله :

- الانيس المطرب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس ، ت. ح: كارل بونادر ، دار الطباعة المدرسية ، أويسيل ، ١٨٣٣م .

٢٣- ابن سعيد ، علي بن موسى بن محمد : (ت. ١٢٨٥/٦٨٥م)

- المغرب في حلي المغرب ، ت. ح : خليل المنصور ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

٢٤- السلاوي ، ابو العباس أحمد بن خالد الناصري : (ت. ١٣٥١هـ/١٨٩٧م)

- الاستقصا لإخبار دول المغرب ، ت. ح : جعفر الناصري - محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧م .

٢٥- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : (ت. ٩١١هـ/١٥٠٥م)

- تاريخ الخلفاء ، ت. ح : رحاب خضر عكاوي ، ط١ ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ١٩٩٢م .

٢٦- الشقندي - ابن سعيد - ابن حزم : (ت. ٦٢٩هـ/١٢٤٠م)

- نصوص فضائل الأندلس وأهلها : ت. ح : صلاح الدين المنجد ، ط١، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨م .

٢٧- الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة : (ت. ٥٩٩هـ/١٢٠٣م)

- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي ، د. م. ١٩٦٧م .

٢٨- ابي عبد الله بن عسكر (ت. ٦٣٦هـ/١٢٣٩م) - ابي بكر بن خميس (عصر المؤلف الآخر) :

- أعلام مالقا ، ت. ح : عبد الله المرابط الترقى ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م .

٢٩- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله : (ت. ٢٥٧هـ/٨٧١م)

- فتوح إفريقيا والأندلس ، ت. ح : عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٣٠- ابن عذاري، ابن عذاري المراكشي : (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ت . ح : كولان - بروفنسال ، دار الثقافة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٨ م ..

٣١- العذري ، احمد بن عمر بن انس : (ت . ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، ت.ج : عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، د. ت .

٣٢- العمري ، شهاب الدين احمد بن فضل الله : (ت . ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

مسالك الابصار فب ممال الأمصار ، ت. ح : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ٢٠٠٢

٣٣- الفتح بن خاقان، محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الأشبيلي: (ت. ٥٣٥هـ/١١٣٤م)

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ت.ح: محمد علي شوابكة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

- قلائد العقيان ، ت . ح : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٩٠ م .

٣٤- ابو الفداء ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل : (ت . ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

- المختصر في اخبار البشر ، دار البحار ، بيروت ، د. ت .

٣٥- ابن الفرضي : (ت . ٤٠٣هـ/١٠١٣م)

- تاريخ علماء الأندلس، ت . ح : ابراهيم الإيباري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٩م

٣٦- القلقشندي : احمد بن عبد الله : (ت . ٨٢١هـ/١٤١٨م)

- مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ت.ح : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت.

٣٧- ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر : (ت. ٣٦٧هـ/٩٧٧م)

- تاريخ افتتاح الأندلس ، ت. ح : ابراهيم الإيباري ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

٣٨- ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر : (ت . ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

- البداية والنهاية ، ت . ح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط٢ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ٢٠٠٣ .

٣٩- الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب : (ت . ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ت.ح : احمد مبارك البغدادي، ط١ ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ١٩٨٩ م .

٤٠- المقدسي ،شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن احمد بن ابي بكر : (ت. ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٩م ..
- ٤١- المراكشي، عبد الواحد المراكشي: (كان حيا في أوائل القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي)
- المعجب ، في تلخيص أخبار المغرب ، ت . ح : محمد سعيد العريان ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٣م
- ٤٢- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني : (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
- نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ت.ح: إحسان عباس، مج١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م .
- ٤٣- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي : (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ت . ح : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- المقفى الكبير ، ت.ح: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٥٣-٣٢٨-٣٢٩ .
- ٤٤- مؤلف مجهول : (القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي)
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها ، ت. ح : ابراهيم الإيباري ، ط٢ ، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- ٤٥- مؤلف مجهول : (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي)
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ت.ح : سهيل زكار-عبد القادر زمامة، ط١ ، دار الرشاد، فاس، ١٩٧٩م.
- ٤٦- مؤلف مجهول:
- ذكر بلاد الأندلس، ت . ح : لويس مولينا، ج١، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣.
- ٤٧- النباهي :ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن : (ت . بعد ٧٩٢هـ/١٣٩٠م)
- تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا) ، ط٥ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- ٤٨- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : (ت . ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م)
- نهاية الارب في فنون الأدب ، ت.ح: حسين نصار، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م
- ٤٩- الهمذاني : ابي عبد الله بن محمد بن أحمد بن سحوق : (كان حيا ٢٩٠هـ/٩٠٣م)
- البلدان ، ت. ح : يوسف هادي ، ط١، دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦م
- ٥٠- اليافعي، ابو محمد عبد الله بن أسعد : (كان حيا حتى أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط٢، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

٥١- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب : (ت . حوالي ٢٩٢هـ/٩٠٥م)

- البلدان ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المراجع العربية والمعرّبة

١- أحمد ،علي احمد : تاريخ المغرب القديم والإسلامي ، منشورات جامعة دمشق دمشق، ٢٠١١م.

٢- بيرين ،هنري: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ت. ر : عطية القوصي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٣- بيشوب ، موريس: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ت. ر : علي السيد علي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م .

٤- بيضون ، ابراهيم : الدولة العربية في اسبانيا ، دار النهضة ،بيروت ، ١٩٨٦م.

٥- ج. و. كوبلاند : الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا ، ت. ر : محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

٦- حاطوم ، نور الدين : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٢م .

٧- الخربوطلي ، علي حسني :ابو عبد الله الشيعي ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٨- خلف ،سالم بن عبد الله : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١ ،مكتبة الملك فهد ،المدينة المنورة ، ٢٠٠٣.

٩- دوزي ، رينهرت : تاريخ المسلمين في الأندلس، ت: حسين حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٤م.

١٠- دويدار ، حسين يوسف : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، ط١ ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م

١١- هـ.و.ديفز: أوروبا في العصور الوسطى ، ت. ر: عبد الحميد محمود، ط١، المعارف ،الإسكندرية ، ١٩٥٨ .

١٢- ريسلر ،جاك : الحضارة العربية ، ت. ر: خليل أحمد خليل، ط١، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م

١٣- السامرائي ،خليل ابراهيم- طه ، عبد الواحد دنون - مطلوب ، ناطق صالح : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ٢٠٠٠م .

١٤- السيد ، أشرف صالح محمد : قراءه في تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى ، ط١، الكتاب العربي الإلكتروني، بيروت ، ٢٠٠٨م .

١٥- زعرور، ابراهيم- احمد، علي سلمان : اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، ط١، دار المستقبل، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٧٧ .

- ١٦- زكار، سهيل : التاريخ العباسي والأندلسي ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٨٢م.
- الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥ .
- ١٧- طاهر ، كاظم شمههور : الشيعة في الأندلس (الخلافة الحمودية العلوية) ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ٢٠١٠.
- ١٨- عاشور ، سعيد عبد الفتاح: أوربا في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
- ١٩- العبادي ، احمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة ، بيروت ، د.ت.
- ٢٠- عمران ، محمود سعيد : معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٦م.
- ٢١- عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، ط٤ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤م
- ٢٢- فرح ، نعيم فرح : - تاريخ أوربا السياسي ، ط٧ ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٧.
- الحضارة الأوربية ، ط٧ ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٩م .
- ٢٣- الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، ت. ح : محمد عمارة ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- ٢٤- كولان ج. س: الأندلس ، ت : ابراهيم خورشيد وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت .
- ٢٥- مؤنس ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ط٣ ، دار الرشاد ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- ٢٦- نسيم ، جوزيف نسيم يوسف : العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، مؤسسة شباب ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م .
- ٢٧- هويزنجا ، يوهان : اضمحلال العصور الوسطى ، ت. ر: عبد العزيز جاويد ، ط٢ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨.
- رسائل جامعية
- ١- بوتشيش ، ابراهيم القادري : أثر الأقطاع في تاريخ الأندلس (٢٥٠-٣١٦ هـ) ، (رسالة ماجستير) مطابع منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٩٢م .
- ٢- الكلاس ، فايضة : الأندلس ولاية مغربية (أطروحة دكتوراه) ، أشرف: سهيل زكار ، جامعة دمشق ، ١٩٩٢م .
- ٣- ملح ، هشام عبد الرؤوف محمد مصطفى : الدولة العامرية في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٧-١٠٠٩م) ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٤م ، ص ٢١٦ .

مواقع الكترونية

- ١- الدخيل، خالد : الأئمة في قریش ، صحيفة الحياة www.alhayat.com
 - ٢- الصفار، محمد : دولة بني حمود امتداد لدولة الأدارسة www.annabaa.org
 - ٣- محمود العبري : المكتبة الأندلسية ، alrostag@hotmail.com .
 - ٤- المسلمون في الأندلس سقوط الخلافة وقيام دولة بني حمود <http://www.islambeacon.com/index.php>?
 - ٥- المسلمون في الأندلس [www.facebook.com /al.andalus1492](https://www.facebook.com/al.andalus1492)
 - ٦- النهار ، عمار محمد : أسباب سقوط الدول والحضارات [www.facebook.com / Profil- ammar alnahar](https://www.facebook.com/Profil-ammarnahar)
- ٢٠١٧/٨/١٥

المراجع الأجنبية

- 1-Adams: George Burton, Civilization during the Middle Ages:, Charles Scribner's Sons, New York,1894+ 1922+**archive Microsoft -2007 c**
- 2-Ali khan , Refaquat : encyclopedic history of world civilization(Spain) , alkaashdeep publishing house ,new Delhi ,1992c
- 3-Durant: Will, The Age of faith; A history of medieval civilization-Christian, Islamic and Judaic- from Constantine to Dante, A. D (325-1300), Simon and Schuster, New York, 1950
- 4-France, John: Western Warfare in the age of the Crusades (1000-1300), University of Wales, Swansea
- 1024 c , pr 5-reuter , timothy: the new Cambridge medieval history 900- : univercity press Cambridge, 2008,
- 6-Strayer: Joseph, R., Western Europe in middle ages, Appelton century crofts, New York, 1955.

in comparing with France and western Europe we don't see any counts or barons destroyed legality ? What is the Hammoudia family and could they revive the caliphate ? What was their influence on Al-Andalus ? Then how was the rule system where the Umayyad state wasn't central state but was like

territories related to the central leadership? Then did feudalism in western Europe affect on Al-Andalus where Al-Andalus was considered a part of western Europe? And Al-Andalus with Did it play role in falling caliphate and rising states of the sects Alttawiff states had become as territories and sects or provinces ruled by princes and military leaders like barons and counts of medieval ages ? then why did caliphate fall ? and what was the results on Al-Andalus ? and both west European and Islamic and crusades and Mediterranean sea war?

division of research this research is divided into introduction and three chapters Introduction : contains the name of , Al-Andalus and its geography , then the political life in Al-Andalus , and both west Europe and Islamic before of tyrannizing Amiria state , first chapter : Amiria tyrannizing during period of rule child caliphates Hisham Ibn Al-ahakam Al-mostanser from (366-399hijri/976-1009c) The chapter starts with the tyrannical Al-Manzour ibn aby Aamer how , he reached to authority and he tyrannized in rule without Umayyad caliphate , and then period of his son Abd Al-mailik Al-mozaffer , and his second son Abd Al-rahman (Sansho or Shangol) , then the fall of Amiria state after revolution headed by the Umayyad Mohamed bin Abd Al-jabbar Second chapter : Contains civil war and attempt to save the caliphate by many Umayyad chiefs , and the Hammoudia family from(399-422\1009-1031c) , Then the fall of Umayyad caliphate , and rise states of sects or (Al-tawiff states) The third chapter : This chapter contains political places and ruling disciplines in Al-Andalus , and comparing to the political ruling discipline in western Europe , and studying influence considered a part of feudalism system in the western Europe on Al-Andalus , which was of western Europe , And then contains factors of fall of caliphate and results on Al-Andalus and both western European and Islamic then the effect on the crusades and war Mediterranean sea Research manner: Research manner was based on narrating – analyzing–concluding The most important result of research: Umayyad caliphate was destroyed by tyrannized AL Mansour ibn aby Aamer ,Feudalism system appeared in Al-Andalus clearly in the northern regions in the north of andalus in Zaragoza and toledo and mardaeh , which was always in insurgent provinces against the central authority , and Feudalism system in Al-Andalus was reason in fall the caliphate . Hammoudia family didn't play an important role in Al-Andalus , although it was from messenger family because the family conflict, Shangol was reason in fall of caliphate but many reasons which played a role in the fall , from theses reasons were Aamira tyranny and the effects of feudalism system , and ignore the Islamic principles , whereas rise of Christian soul , and then emerging the local chiefs and external intervention of Christian kingdoms and Morocco .

Tmmam Kareem 1439hijri/2017c

Summary of research

In the name of Allah the beneficent , the merciful

All praise is due to Allah the lord of the worlds , the prayer and peace upon our master Mohamed , and All prophets and messengers , and all his companions and followers to the day of judgment , Allah said :{ We narrate to you the best of narratives, by Our revealing to you this Quran, though before this you were certainly one of those who did not know.} (1) The holly verse refer to benefit of history , history is one of controversial human sciences which makes people think for a long time , people were telling the stories and passing legends the kings were entertaining stories before them to take morals , many of them wanted to memorize their memory , and their names by carving them on wall of towering building or coining their name on it , or building pyramid or library or mosque because they completely knew the next generation would narrate their stories and remind them, Because history is an eventful record for human efforts through ages , and generation after generation , there were many factors which courage to interest in Al-Andalus history , one of them was middle geographic position between western Europe and Islamic west if we can say that , and its position as peninsula is Considered a gate of Europe , which formed cultural bridge in which Islamic Arab culture clashed with western Europe culture at medieval age As result there were great development and educationa, scientific exchange , Al-Andalus and its palaces and architecture engineering was evidence for transition of Islamic Arab culture to Europe, Islamic existence in Al-Andalus stayed for eight centuries . Europe appeared after that as result getting science and thinking from the dark medieval ages , and has entered in development stage to this day, in fact Islamic culture didn't get out Al-Andalus from course of humanism cultures , nor its development and finished , its dawn was with Mousa ibn Nossir and Tariq ibn Ziad and , it has become more flourishead with Abd al-rahman Al-dakhel , and taken stronger position with Abd Al-rahman Al-naser , Its sun began to go down with Amiria state , and Umayyad state ended , Moravids and Al-mohadeen kept Al-Andalus culture from fall for many centuries , and ended with fall of Qernatta and its palaces 1492 c Short time was chosen from those stages , which had great influence on Al-Andalus history , and important change it was transitional stage since caliphate Hisham Ibn Al- Hakam until states of the sects (366-422hijri / 976-1031c) Controversy of research: It is one of the most important stages in al-Al-Andalus history, Al-Andalus history underwent many stages , one of them was rise of Umayyad caliphate , there is no doubt the fall of Umayyad state and decline are considered decisive events , many factors helped in falling of Umayyad state , one of them was Amiria tyrannizing , which attempted to replace legality of ummayyad with Amiria legality , but this attempt did not work. many attempts to save caliphate from the sons Umayyad family , and Hamoude family was from the dynasty of the messenger Mohamed , and like local forces . how conditions in Al-Andalus were at this stage ? How did Amiria tyrannizing fail to replace legality of Umayyad with Amiria legality ?

(1) the Quran the Kareem : sura Youssef , Aeah 3 .